

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



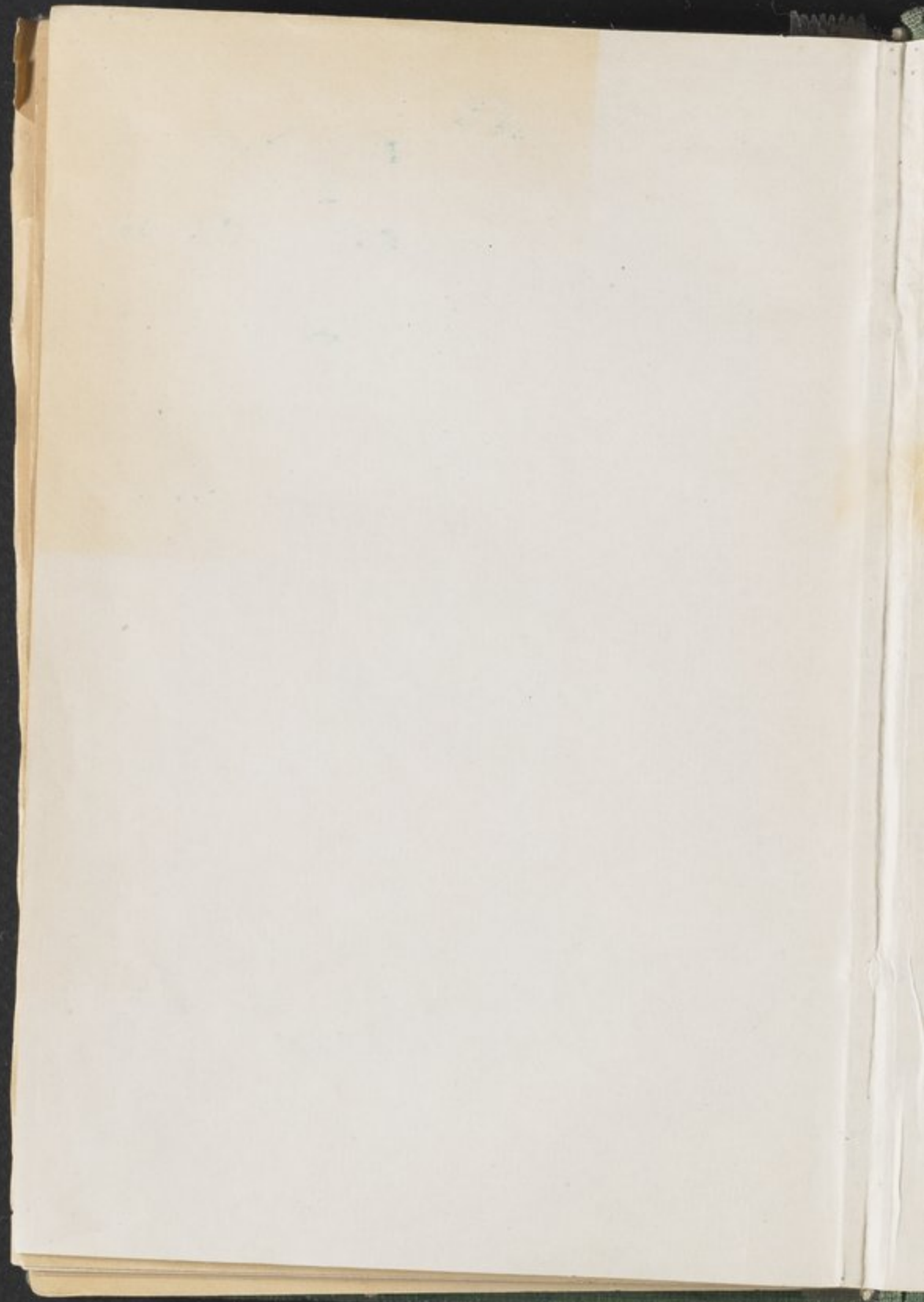
3 8534 00972 2160

HN  
78  
.B  
19



FROM THE  
LIBRARY OF  
THE  
AMERICAN UNIVERSITY  
IN  
CAIRO

من مكتبة  
الجامعة الأمريكية بالقاهرة



ID: a1=65080

00



HN  
786  
B5

1036

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاهراء

إلى الفلاح المصرى...

فهو أول من يتبين الحق واللهفة في تلك الصرخة  
الضعيفة يرسلها قلب فتاة شهدت من شقائه ما لن تستطيع  
نسيانه أبدا...

ابنة الشاطئ

لقد أغنى الفلاح هوذا الأمل  
ما الكوكاكيس وأصممت الحكومة منه وطأته وشحرفه  
من جبروت رجاله ولا تستطيع مقادفه قار

OCLC  
29249263

B12103093  
13393686



عطف جلالة الملك المعظم

على الفلاح المصرى

فى اليوم الثانى عشر من شهر سبتمبر ١٩٣٥ ، تشرف  
حضرة الأستاذ محمد أمين يوسف وزير مصر المفوض  
بواشنطن ، بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك ، فتعطف  
جلالته وقال :

« إني لا أعرفك معرفة شخصية كبيرة إلا أنى سمعت  
عن أعمالك ، وما تقوم به لخدمة بلادك وأرجو أن يوفقك  
الله إلى إلغاء الضريبة المفروضة على القطن المصرى الذى  
هو حياة الفلاح ، لأنى أشعر بعطف على الفلاحين وأرجو  
أن يعمل كل واحد ما يستطيع لمساعدتهم ، ثم إني أوصيك  
بأن تدرس وسائل الإنتاج الحديثة ، والتقدم الذى وصلت  
إليه بلاد أمريكا وهى تكاد تكون قدوة بذاتها لننسخ على



منوالها في بلادنا ، وهناك معدات لدراسة الآفات الزراعية ،  
فأرجو أن تبحث كل ما يتعلق بها ، لتستفيد البلاد مما وصلت  
إليه أمريكا ، ولنا في كليفورنا قنصل نشيط ومجتهد ،  
وكليفورنا مشهورة بإنتاج الفواكه والخضر ، وهي تبعد  
سنة أيام عن العاصمة ، ولكنك تستطيع أن تذهب إليها  
وترسل إلى الحكومة نتيجة مشاهداتك . »

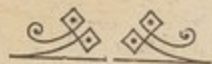
\*\*\*

ولست أجد ما أتوج به كتابي هذا ، أفضل من ذلك  
العطف السامي النبيل ، الذي يغمر به جلالة الملك المعظم ،  
فلاحنا المصري العامل . هذا العطف الذي يعرفه كل من  
تشرف بمعرفة جلالته ، أو سعد برؤية حال المزارعين  
في مزارع الخاصة الملكية ، والذي أثار إعجاب المسيو  
« المايير برتو » الخبير الفني الفرنسي ، فقام في المجمع الزراعي  
بباريس ، في ٢١ من نوفمبر الماضي ، يحدث كبار الفرنسيين  
وذوى العلم والخبرة منهم ، عن النجاح والتقدم العظيمين ،  
الذين شاهدهما في مزارع الخاصة ، وعن عطف جلالة

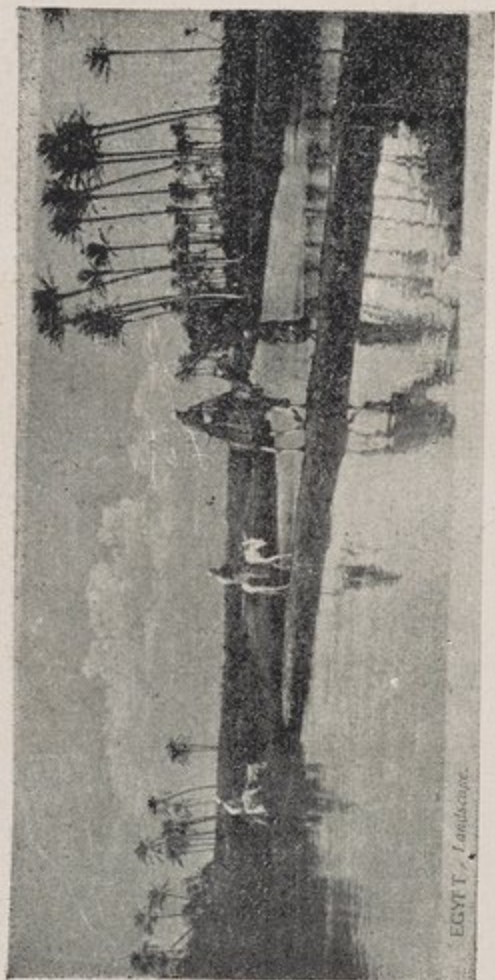
الملك فؤاد على طبقة الزراع ، وما لهذا العطف من حسن  
التأثير والنفع في البلاد كلها .

\*\*\*

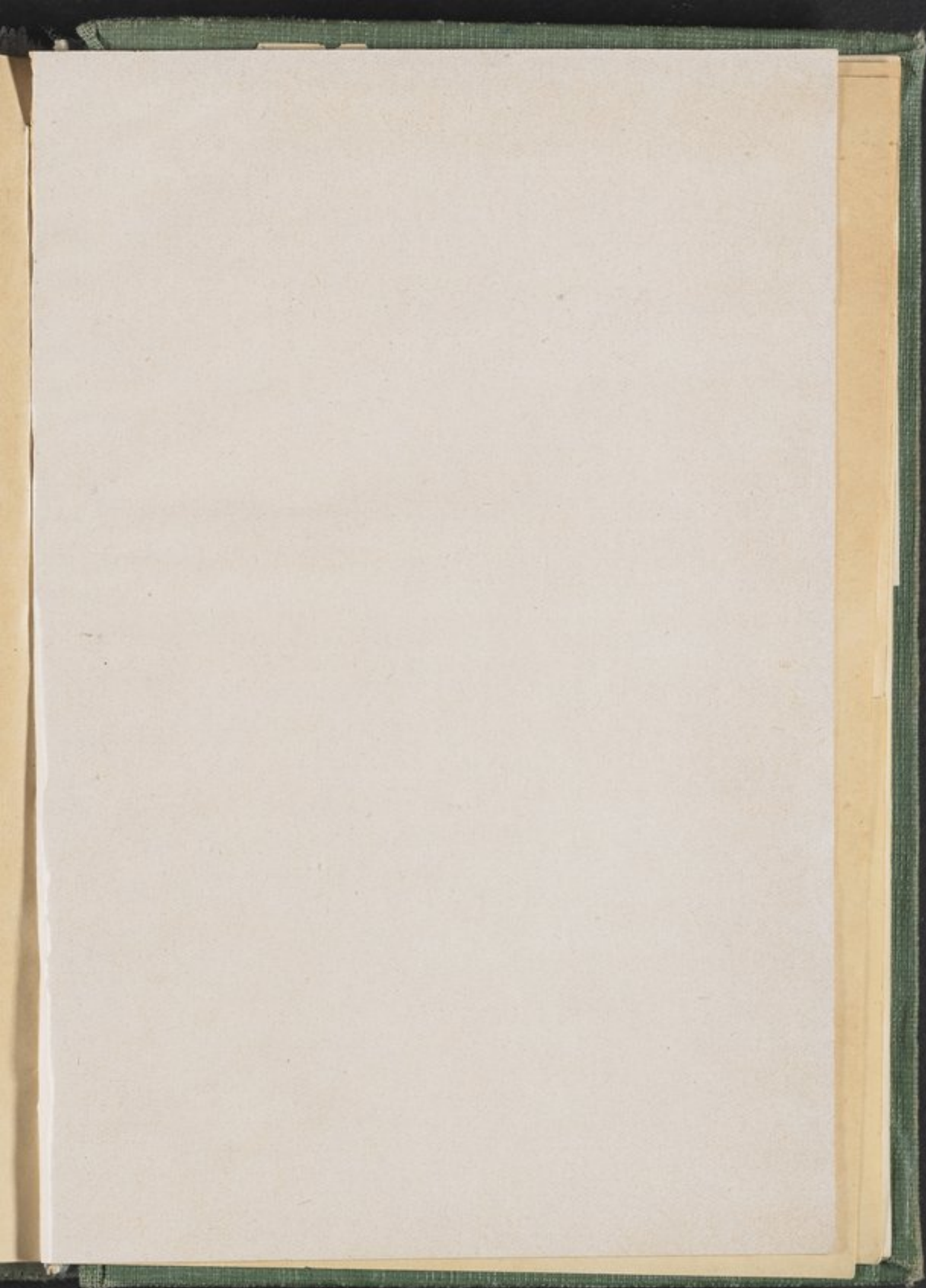
ولن يضيع الفلاح ، مادام له من هذا العطف السامى ،  
نور قوى يبدد شيئاً من الظلام الحالك الذى يعيش فيه .  
ابنة الساطىء







مهرل الريف ، وقتية الطبيعة



القسم الاول

—

شقاء الفلاح



## فهرمنا المسكين ، كم نظمه !

قال لي الطبيب : أسبوع واحد في الريف المصرى  
الجميل ، كفيل بتهدئة أعصابك الملتهبة وإراحة نفسك المتعبة  
المكدودة :

فذهبت إلى الريف . . .

ريف مصر الساحر الوديع ، ألتبس في سكونه نوعاً من  
العزاء ، وأنشد في بساطته ، راحة البال وهدوء الذهن  
المرهق .

\*\*\*

دخلت القرية وكأني خلفت ورأى دنيا الضجيج والثورة  
وطالعتنى صديقتاى الريفيات بوجوههن السكرية المرحية ،  
فرأيت فى ابتساماتهن القانعة ، شيئاً كثيراً من العزاء ،  
ووحياً يغرينى بوضع الحمل الثقيل المرهق الذى يروح  
كاهلى تحت ثقله ، ثم استنشقت نفساً طويلاً عميقاً وددت

فيه لو أحتوى كل ذلك الهواء المنعش فى صدرى الملهب .  
وفى طريقى مررت بالفلاحين . . . جيش مصر العامل  
القنوع ، وكنز رخائها ونعمتها ؟ فأدركت مقدار إهمالنا  
هذا الفلاح ، وتكرنا له وإنكارنا إياه ؟

الفلاح المصرى . . رمز الشجاعة والكرم ، حتى ليجود  
بلقمته التى يتبلغ بها ، ومثال النخوة والإيثار ، نتمتع نحن  
على حساب دمائه وقوته وساعده ، ثم لا يضحج بالشكوى ،  
ولا يبدى التذمر والثورة ، صورة الرضاء والقناعة ، يعمل  
طول يومه ثم تكفيه الكسرة اليابسة ، ابن الطبيعة والفطرة  
ومثال الصبر والتقوى والإيمان .

\*\*\*

فلا حنا المسكين كم نظلمه !

منذ دبت الحياة فى وادى النيل ، والناس ينظرون إلى  
نهر النيل الذى تخفق فيه ومنه الحياة ، نظرة الإكبار والدهشة  
تسامى هذا الإكبار حيناً من الزمن إلى درجة التقديس  
والعبادة ، وارتفع إلى حد اليقين بأن حياة الملايين من سكان  
واديه ، تكمن فى مياهه الدافئة العجيبة ، الخائفة الغنية .



و بين تقديس آبائنا لمياه النيل ، وعظم تقديرنا لفائدة  
النيل ، جحدنا اليد العاملة التى تستغل الحياة السكامنة فى  
مياه النيل ، وألھانا ذلك السحر العجيب الذى ينفثه النھر  
فى صميم الصحراء الملتھبة ، فيجعلھا جنة ناضرة ، عن ذلك  
المخلوق الذى أظهر عظمة النيل ، وأتاح السيل إلى تحقيق  
المعجزة . . . معجزة وجود الجنة المصرية بين ذراعين  
ملتھبتين من الرمال التى تغلى الدم وتصهر العظم !  
وإلا فليمض الفلاح بعيداً ، هل يكون النيل بعده إلا  
دموعاً تسيل على الشاطئين فى كرم وإسراف ، كأنما تبكى  
ابن النيل البار ؟ !

\*\*\*

الفلاح المصرى !

اليد الكريمة العمياء فى كرمھا ، تعمل وتشقى حتى تحصل  
على أشهى الخيرات ، ثم تنثرھا على بنى وطنھا الجاحدين ،  
ولا تنظر هل فيمن يتمتع بثمره كدھا عدو جاحد ! فما  
أبلغ هذا العمى الكريم ، وما أنبل ذلك الكرم الأعمى !  
ساعد مصر وعضدھا الأقوى ، وابنھا القنوع البار ،  
والجواب الساخر اللاذع لمن يقول إن من يزرع يحصد !



يا رحمة الله ! كم زرع فلاح مصر منذ دبت الحياة في  
وادي النيل حتى الآن ! وكم يزرع وكم يجد ، فهل حصد  
الفلاح ؟ أجل حصد ولكن لكل الناس إله ولأولاده ،  
إنه يجهز الوليمة دائماً لبطوننا النهمة ، لا لبطنه الجائع  
المحروم .

النشاط الذي لا يفتر ، والجسم الذي لا يستقر ولا  
يهدأ ، والآلة التي تعمل ولا تقف ! ولكن ما الذي جناه  
ويجنّيه ؟ الطعام يتباغ به ؟ جرعة الماء النظيفة يرتوى بها ؟  
الكساء السليم يستتر به ؟ اللهم فاشهد . . .

لقد يمضي النهار طويلاً بطيئاً كأنه عمر من الشقاء ،  
وكل ما يناله الفلاح المسكين قرصان من أرغفة الذرة الجافة  
وبضعة أعواد من حشائش الأرض مهما تفننا في تسميتها  
( شيكوريا ، جعضيد ، جلاوين ) فلن تزيد على الحشيش  
الذي نشتره للأرانب .

وأما المياه ، ففي كل جرعة يتناولها آلاف الجراثيم ،  
تعمل معنا على استنفاد جهود ذلك المخلوق ، واستلاب  
قواه ، وتأتي في مهل على ما احتازه من جلد واصطبار ،

وتأبى عليه أن ينعم حتى بلقمته الجافة القذرة ! ولباسه ؟  
أقسم غير حائشة ، أن منه ما لا يكفي ولو لستر العورة !

\*\*\*

ذهبت إلى الريف . . .

كانت الأرض تتفجر بالحياة ! حتى لتكاد قطراتها تنز  
على سطحها . . . امتلأت الأرض شبعاً ورياً فبدأ سطحها  
يهتز نباته حياة وجمالاً وسحراً ! وبدأت الأشجار في عنفوان  
شبابها وقوتها مثقلة بأثمارها الشهية الحافلة بدخول حلاوتها  
وقد أثقلها الحمل فأحنت رأسها في حياء العذاري وارتعشت  
كلها لأمسها الهواء أو غردت فوقها الأطيوار تغريداً يملأ  
المكان سحراً وفتنة وجمالاً !

دنيا حافلة بالروعة ، وحياة ممتلئة بالحياة !

لقد رواها النيل !

نعم ، ولكن لولا اختلاط الماء بعرق الفلاح المسكين  
لما كان لهذه الجنة الناضرة حياة ، ولما كان للأرض بالماء  
اكتفاء !

وغذاها الغرين والسماد !

أجل ، ولكنه غذاء جاف ما كانت الأرض لتتضممه



إذا لم يمزج بعرق الفلاح ولولاه إذن ما قيمة الماء ، وما  
نفع الغذاء ؟

وهذه الأشجار الفارعة الهيفاء ، وتلك الأرض  
المكتنزة الحية ، هل فكرنا في ثمن حياتها الذي دفعه  
الفلاح ؟

لا : ولم التفكير وفيم العناء ، مادما نرى خيرات  
الأرض تملأ الأسواق ناضجة شهية ؟ !

لقد تشمر الأرض أشهى الثمرات وأطيب الفاكهة ،  
وأغذى الطعام ، فيجمعه الفلاح وبنوه ، ويذهبون به إلى  
الأسواق لا إلى الدار ، ويتعamy المسكين عن نظرات بنيه  
الجائعة المحرومة ، تحمق في ثمرة جهادهم في لهفة وعجب  
بالغين !

وقد تعبث أيدي صغاره بالثمر الشهى الذى لم يتذوقوه ،  
وتحدثهم نفوسهم الطفلة بتذوقها ولو بدافع غريزة حب  
الاستطلاع ، فيمنعهم أبوهم متكلفا الجذ ، متغافلا عن  
الشهوة المحتلجة فى أعينهم ، وفى قلبه حسرة أليمة لولا المداراة  
لا انفجرت نائرة هدامة ، وفى عينيه دموع حبيسة لولا الحياء  
لسالت وانهمرت غزيرة ملتهبة !



يقتلهم الجوع وأمامهم الطعام الشهى ، ثم لا تستشيرنا  
حالتهم ، نحن الذين تتسكف الأسى والحزن حين نردد  
قول الشاعر :

والعيس في اليبدا يقتلها الظما \* والماء فوق ظهورها محمول !  
لعلما أجهد الطفل جسمه في مساعدة أبيه ! يسوق  
الحمار إلى الحقل عشرات المرات في اليوم ناقلا السباخ ،  
تحت لهب الشمس المحرقة ، وفي قسوة البرد العاتى ، ومتى  
جاع مديده الشاحبة النجميلة إلى جيبه ، يتناول لقيمات الذرة  
الجافة ، لا تسمن ولا تغنى من جوع ، ولقد نراه ونرى  
الحمار قد أثقله الحمل ، فشور للحمار ، ولا نرحم الطفل المسكين !  
فما أعجب رياءنا ! الحمار أكرم لدينا من الفلاح !  
والحيوان ينال من رحمتنا ما لا يناله أخونا الإنسان ! !

\*\*\*

في تمتعنا بجمال الريف وجلاله ، وفي إعجابنا بالزرع  
الحى النامى ، ننسى هذه المخلوقات الشاحبة الهزيلة ، تتحرك  
كالأشباح المترنحة بين الأشجار النامية الخضراء ، وتعالى  
عن النظر إلى تلك الوجوه الصفراء ، وهذه الأجسام  
الذليلة المسكينة ، تخدمنا فى صمت أليم ، وتبذل قواها قطرة

قطرة في سبيل تمتع بطوننا الشرهة التي لا تشبع !  
والفلاحة في دارها أيضا ؟ ! تصنع الزبد والسمن  
والجن وتربي الطيور وتعتنى بالبيض ، حتى إذا ما حان  
موعد سوق القرية ، جمعت هذه الأشياء في حسرة أليمة  
ظاهرة ، لأنها تعلم مبلغ اشتهاؤها لهذه الأطعمة ، وليس  
للرأة الضعيفة مثل جلد الرجل ومداراته ، وباعتها في  
السوق ، واستبدلت بها كمية أوفر من الشحم الرديء ،  
والزيت الرخيص ، كما باع زوجها القمح في سبيل مقدار  
وأوفر من الذرة !

وبين تجلد الأب الفلاح ، وجزع الأم الفلاحة ، يقف  
الأطفال ذاهلين مبهوتين ، لا يفهمون لماذا يأكل الناس  
دونهم ثمرة كدحهم ، ولا تساعدهم عقولهم الطفلة على  
فهم هذا الظلم المرهق !

فيا لله ! لشد ما نرهق عقل هذا الطفل ، ولشد ما نظلم  
الإنسانية فيه !

\*\*\*

هذا هو الفلاح فماذا فعلنا له ؟ ؟  
لقد تعاونا حكومة وأفرادا على التفنن في ظلمه وإرهاقه ،



فهو لا يسلم من سخریتنا وازدرائنا ، وننسى أن هذه اليد  
القدرة - كما نسميها ! - قد مهدت لنا سبيل الاستمتاع  
بأشهى الخيرات .

أما الحكومة فلا هم لها إلا إرهاقه بمختلف الضرائب ،  
فهل نقت له المياه ؟ أو عاجلته من أمراضه أو أصلحت مسكنه  
أو علمت أولاده ؟ اللهم لا شيء من هذا كله ، فمساكن  
الفلاحين لا تعرف الشمس ولا الهواء ، وطرق القرية  
تعلوها الأتربة وتماؤها الأقدار ويعمها في الليل الظلام ،  
والمياه التي يشربها قدرة ملوثة تحمل له البؤس والشقاء !  
والمضحك المبكى أن الحكومات تأخذ من مال المسكين ،  
لتمهد لنا معشر سكان المدن ، حياة ناعمة مترفة ! ترصف  
الطرق وترشها وتنظفها ، وتفتح المدارس ، وتنير الطرق ،  
وتكثر من المستشفيات ، وتتمتع وإيانا على حساب فلاحنا  
المسكين !

يحلولى أحيانا أن أفكر في مصير ميزانية الدولة ، إذا  
حذفنا من أبوابها ضرائب الفلاح ، وأجر نقل محصولات  
الفلاح ، ورسوم تصدير ما ينتجه الفلاح .



أرحموا الفلاح . . .

إلى القرية يجب أن تتجه ، وفي إصلاحها يجب أن تبذل الجهود ، والحكومة مسئولة أولا وآخرا عن انحطاط حال القرية ، وعن الشقاء المخيم عليها ، وعن البؤس الذي يعيش فيه المزارعون ، ولئن لم يكن لها يد في جوعهم وحاجتهم ، فعليها تبعة اللوم في قذارة المياه ، وانحطاط المساكن وانتشار القذارة والجهل والأمراض .

يظهر لى أن الحكومات المتعاقبة تتجاهل القرية حتى لتكاد لا تشعر بوجودها ، فليت شعري أية يد رحيمة حازمة ، تلك التي ستوقظ الأمة من تغافلها ، وتنهبها الى واجبها ؟ !

\*\*\*

أخيرا لقد عدت من القرية ، دخلتها بائسة تعسة ، وخرجت منها أشد تعاسة وشقاء ! وعفا الله عن الطبيب ، نسي أن في الريف ما يشوه جماله ، وأن بجانب فتنته بؤسا يبعث الحزن من مكنه ويشير الأسى من أعماق القلوب !



## جرعة ماء !!

شعرت بالخجل يشيع في جوانب نفسي حين انتهى إلى  
حديث أفراد العائلة التي أضافتنى في القرية ، يتناقشون في  
فناء الدار حول طعامي — كما توهمت — وأحسست بحزن  
أليم يهد كياني حين سمعت صديقتي القروية تقول :  
لا . . . أتم تقسون على بالخاصكم ، أنا أخجل من  
تقديم مثل هذا إليها !  
ارحموني . . .

وقال أبوها الفلاح الشيخ في صوت منخفض :  
أؤكد لكم أنني لن أجرو على مواجهتها وفي يدي مثل  
ذلك الإيذاء القذر !  
كيف تنظر إلينا بعد الآن ؟

وقفزت من القاعة في حزن مجنون ، وتفرست  
في وجوههم الشاحبة الذليلة ثم قلت في تأن :



- أتم تخجلونني وتعذوبونني دون أن تشعروا! كيف  
يطيب لي المقام بينكم ، وأتم كما أرى تخجلون من تقديم  
طعامكم إلي ! كأتني ولدت وفي فمي ملعقة من ذهب ..  
وفروا على أنفسكم هذه المشقة ، فلست أكذب حين أوكد  
لكم أني أمقت التأتق في الطعام . فكيف به إذا صحبه التكلف ؟  
أشعروني بأنني فرد منكم حتى لا أحس بشقلى عليكم ، وهذا  
وحده لعمرى كرم ميين .. واذكروا دواماً أننى لست ثرية  
ولا مترفة !

شئ آخر ، أريد قليلا من الماء البارد ، فإنى متعبة  
مكدودة أحس بظماً شديداً .

وصمت وصمتوا : ولم يجرؤ أحدهم على رفع نظره إلى ،  
وأخيراً عثر كبيرهم على لسانه فقال وهو يتكلف ابتسامة  
كاذبة حزينة :

هذه هى العقدة ، فنحن لا نملك ماء ! وفى هذا نتناقش  
لا حول طعامك كما تتوهمين .

قلت وأنا لا أكاد أفهم : ماذا تعنون يا أصحابى ؟ أو  
لا تشربون أتم هنا ؟



قال الشيخ : نحن نشرب والحمد لله ، ولكنه ماء قذر ملوث . . وليس لجسمك مناعة أجسامنا واحتمالها . تلك الأجسام التي تعودت شرب هذا الماء .

وقالت الصديقة وهي تكاد تبكي : لقد ظلمتني يا أختاه بهذا الموقف الحرج ! لماذا لم تخطرينا قبل قدومك ؟ كنت على الأقل أذهب إلى بنها وأشتري « نوى المشمش » لتنقية المياه .

وخانتني قواي ، فمضيت إلى القاعة أتعثر في خطاي لا تكاد تحملني قدماي ، وارتيمت على الحصير وأنا أردد في ذهول : في مثل هذا المكان يتوهم الطبيب أنني أستعيد هدوئي وقواي ؟ يا بؤسهم ويا بؤسى بهم ! ثم تذكرت المثل الذي ترده أمي دائماً « يابختها اتبعها ، أينما راحت روح ( اذهب ) معها »

لا يجدون ماء صالحا للشرب ؟ ! ارحمهم يا الله ! وتناولت الكوز وأنا لا أشك في أنني سأقذف بمائه في جوفي بلا تردد ، لأثبت لهم تواضعي أولاً ، ولأطفيء ظمئي الملتهب ثانياً . . ولكن شجاعتى الكاذبة تبخرت حين نظرت في الماء .

كدت أسألهم: هل تثقون في أن هذا ماء؟ فليست له تلك الشفافية المغرية التي تطفئ اللهب، وهذا اللون الأسمر الضارب إلى الحمرة يذكرني بما حفظته وأنا طفلة غريرة في درس « خواص الماء » الماء سائل شفاف لا لون له ولا رائحة.

سألتهم من أين أتيتم به؟  
قالت الصديقة: من الترعة.

من الترعة يشربون كما تشرب البهم والدواب وكما تشرب الأرض. وفي الترعة يغسلون أوانيهم التي فيها يأكلون، وينظفون الخضر إذا تفضلنا عليهم ونصحناهم بغسل الخضر قبل أكلها!

قطرة من هذه المياه قد تحمل ملايين الجراثيم والديدان يخرج أغلبها مع براز المصابين بالبلهارسيا والانكلستوما - وهم جل أهل القرى باعتراف مصلحة الصحة - فتعوم على سطح الماء، وتمكث هناك في تحفز وترقب وانتظار، حتى إذا ما أحست بحرارة أجسام إخواننا الفلاحين وأخواتنا الفلاحات، التصقت بها تنشد الدفء وتطلب حقها من الحياة، وفي بطنها تخرق جلدن الضعيف في



طريقها إلى الأمعاء ، حيث تكمن هناك ، تتوالد وتتكاثر .  
وتتغذى بدماء الفلاح المسكين بينما لا يجد هو ما يغذيه !  
ولا تصدقوا أن قرويا واحدا أو قروية واحدة تستغنى  
عن الذهاب إلى التربة ، إلا في النادر القليل .

وهم يعلمون يقينا أن جرعة الماء تحمل إلى أجسامهم  
الداء ، ولكن ما حيلتهم وأين المفر ؟ لم يخلق بعد ذلك إلا إنسان  
الذى يموت ظمأ وأمامه ماء ملوث يرفضه . . . وهم قبل كل  
هذا بنو إنسان ، يحملهم التشبث بالحياة على قبول آلامها ،  
فيجب ألا نخذعنا هذا التشبث منهم عن حقيقة مرة دامية  
وهي :

« إن الفلاحين يتشبثون بحياتهم ولا يقدمون على  
التخلص منها لأنهم متدينون ، ولأن هذا منشؤه غريزة  
الحرص على البقاء وليس حب الحياة لذاتها »

وأى شيء في حياتهم يحب ؟ إن الرجل منهم ليشقى  
طيلة يومه وينهك جسمه ، بينما تبخر حرارة الشمس المحرقة  
ما أبقتة الأمراض من قطرات قواه . وليته بعد هذا كله  
يجوع فقط ، ويسلم من قسوة المحصلين ، وسخرية أهل  
المدن ، وظلم المرايين ، وعار الدين وفتك الدماء ، وعذاب

Need a claim



النظر إلى الدودة وهى تلتهم ثمرة كده وتعبه أمام عينيه ،  
وتترك شجيرات القطن الخضراء التى ارتوت بعرقه وقوته ،  
عيدانا مجردة ، ينفطر لها قلب الفلاح ، وتتخاذل أمامها قواه .  
يا رب يا أرحم الراحمين ، إنهم يشقون لنا ويكدون  
فى سبيلنا ، ألئن رفضوا العمل وظلوا عاطلين ، أقتسوء حالهم  
عما هى عليه الآن ؟!

\*\*\*

حين يدركنا العطف على الفلاحين والثناء لهم ، نردد  
بضع نصائح صحية ، ثم يتنفس كل منا تنفس الارتياح ،  
ويصمت بعد أن أدى واجبه ( !! ) ومن هذه النصائح  
« اغسلوا عيون الأطفال دائما بالماء »

وفى القرية شاهدتهم ينفذون النصيحة مخلصين ، ولكن  
بماء الترعة . فهم يغسلون تلك العيون المصرية الجميلة التى  
تفيض سحرا وحيوية ، بتلك المياه القذرة الملوثة .. فتحمل  
تلك المياه بعد ملامستها الأعين ، كل ما فيها من فتنة وجمال ..  
ويا لفداحة الألم حين يلمح الإنسان تلك الزهرات الناضرة  
البريئة ، يفتك بها الرمد ، ويفترسها الصديد ، ويذهب  
بها الماء القدر ، وبنورها العمى الحزين !

وللأتربة المتصاعدة دواما من طرق القرية التي تجهلها  
الحكومات ، يد لا تنكر في مضاعفة الداء . .  
ولذلك أصبحت مصر بلد العميان ، لأن أمتها عن  
الفلاح عمياء !

كما اقترست البلهارسيا والإنكلستوما ملايين الأجسام  
المصرية القوية القادرة على خدمة مصر ، لأن الحكومة  
تضن عليها بجرعة ماء !

حدثت نساء القرية طويلا في جمال أعين أطفالهم الذي  
يذهب به الرمد ، فكان جواهن الباكي الحزين : مادما  
نرى موضع أقدامنا ، فالشكر لله ! يا لصدق الإيمان ، ولكن  
ما أهول هذا الشقاء !

هذه الطفولة الشقية المحرومة ، وتلك الأمومة الذليلة  
المعذبة كيف نجرؤ في مصر على تغافلها ؟ !

إن في هذه الأجسام الذليلة ، دليلا على أننا سائرون إلى  
نهاية محزنة ، ورحمة الله لمصر يوم تفتح عينيها فتري أعضاءها  
العاملين قد فتك بهم الداء ، وسممهم الماء ، وذهب بقوتهم  
الجوع والذلة والشقاء !

ويومئذ ما أتعس مصر بأبنائها الفلاحين الأشقياء !



هؤلاء الذين لو منحوا الفرصة ليعيشوا حياة ممكنة ، لأمدوا  
مصر بآمتن ثروة وأقوى حياة ! ورحم الله حافظ بك  
ابراهيم شاعر الشعب والبؤساء الذى قال :  
أيشتكى الفقر غادينا ورائحنا

ونحن نمشى على أرض من الذهب ؟  
فيا حافظ ! لقد مرت على وفاتك سنوات ثلاث ، لم  
يذكر القوم فيها آمالك وآلامك . وهاهى الأرض توشك  
أن تصير كالماحلة الجرداء ، لأن اليد الوحيدة القادرة على  
إخراج الذهب ، أضحت هزيلة ضعيفة ، ونحن عنها لاهون  
ولو أنصت القوم لسمعوا صوت قيثارتك الحزينة لا يزال  
يرن فى أفق الوادى شاحباً ، داوياً باللوعة والآنين .

\*\*\*

لقد وجدتها !

هكذا صاحت صديقتى الفلاحة وهى تحمل فى يدها  
الخطب وتوقد النار ، لتغلى المياه قبل أن أشربها ، ولمح  
أبوها حرارة الظمأ وشهوة الشرب تلمعان فى عيني فغاب  
برهة ثم عاد يقدم إلى « بطيخة » أروى بها الظمأ .

يا للسخرية اللاذعة الأليمة .  
ذكرت في ألم مستبد ، تلك الأحواض المنتشرة في أنحاء  
المدن ، ليشرب منها الحيوان ، وتمنيت لو أن حوضاً واحداً  
ينتقل إلى القرية ليشرب منه أخونا الفلاح . الإنسان !

\*\*\*

بجانبى الآن رسالة موقعة باسم - بنات القرى - تفضلت  
( الأهرام ) فحولتها إلى . وإنها لرسالة حزينة جياشة  
الأثر ألمح في سطورها النارية الملتهبة ، ذلك العذاب الأليم  
الذى يعجزنا ترفنا عن تخيله . وتبدو كلماتها أمام عيني  
مترقصة كأنما تترنح ترنح الأشباح .

« هيه يا ابنة الشاطيء ؟ كم نحن بحاجة إلى قلبك فدعيه  
يتكلم ولا يغلبك الأسى علينا فتسكتي ! لقد لمست حقاً  
بزيارتك لنا موضع بؤسنا وشقائنا ، قولى لولاية الأمور  
يا ابنة الشاطيء الماء . الماء الماء ؟ فقط هذا ما نطلبه ، قولى  
لهم وزيدى فى القول إن الماء فى القرى هو أصل البلاء الماء  
الذى يحمل إلى أجسامنا الداء ، لقد اتابنا منه ما يكفى لقتلنا  
أفلا يكفى كل هذا الزمن ؟ نعطيكم من دمنا وأرواحنا ما فيه



سعادتكم ، فهلا تعطونا مقابل ذلك ماء صافياً ؟ يا لله كم  
تظلمونا حقاً »

وهأنذا أصرخ يا أخواتي وأسأل الحكومة هل يعجز  
رجالها عن تمهيد الماء الصافي لرعاياها ؟ أنا لا أفهم السبيل  
إلى تحقيق هذه الأمنية المتواضعة ، ولكن الذى أفهمه أن  
إخواننا الفلاحين يجب أن يعيشوا ، وأن ينالوا جرعة  
الماء التى يطلبونها .

لقد قرأت منذ عهد بعيد ، أن لجنة اجتمعت لبحث  
مسألة الماء فى القرى ولكنى قليلة الايمان بفائدة اللجان فى  
مثل هذه المسألة الحيوية ورأى أن المسألة أخطر من أن  
تبت فيها لجنة يجتمع أعضاؤها ساعة وينصرفون على أن  
يجتمعوا فى فرصة أخرى ، [إنتى أريد علاجاً حاسماً شافياً .]  
إن عمق شعورى بشقاء الفلاحين ، يشل ملكة  
التفكير فى دماغى ، ولكنى أفهم أنه قد آن الأوان لأن  
تنشأ فى مصر البلد الزراعى المحض ، مصلحة دائمة تدعى  
- إصلاح القرية - وأعرف أن الحكومة التى استطاعت  
أن تمهد لسكان المدن ماء نظيفاً مرشحاً ، تستطيع أن تفعل  
مثل ذلك فى القرى تدريجياً بحيث تبتدىء بأشدها ازدحاماً

بالسكان وإلا فهل قدر لهؤلاء المساكين أن يعيشوا إلى  
الأبد ، تلك الحياة التي لا نرضاها للحيوان عندنا ؟ اللهم  
فارحم .

\*\*\*

وبعد فيقيني أن ولاية الأمور في مصر لن يضنوا على  
ظامئ بجرعة ماء لو لم يجدها لمات ظمأ أو تناول ماء يحمل  
الداء ، ولا على هؤلاء التعساء بنظرة عطف ، لو لم يلبسوها  
في وجوهنا لجدوا وأنكروا الرحمة في قلب الإنسان .





## الجمال المسوه الحزين

لعل مضيفتي القروية أحست بكبريائها جريحة مكلومة  
حين لمحت مرارة الفشل وألم الخيبة يبدوان في قسوة على  
وجهي حتى ليجوز في الرثاء ! فلم يكمد يستقر بنا المقام حتى  
علاها ذهول واجم حزين ، ثم أشرق وجهها فجأة ودنت  
منى وهي تقول في نبرة هادئة :

- أشعر في أعماقي بأنك لم تجدى في الريف الراحة التي  
كنت تبغين ، ولكن فيم اليأس ؟ يجب ألا يصرفك أول  
الشيء عن آخره ، وإن وراء هذا الشقاء الذي يبدو لك في  
القرية ، جمالا فاتنا ما أشك في أنه سيفتكك عن القاهرة  
بضجيجها وضوضائها ، وعن الجيزة بسكونها وجمالها !

وكانت الصديقة تعلم أنني لم أقصد الريف لأقضى فراغا  
ضنقت به ذرعا ، أو أعالج مللا شعرت به من حياة تجرى  
على وتيرة واحدة ، وإنما هي رغبة الطبيب التي لا ترفض ،  
وأمره الذي لا يرد .

وسألته في رفق حنون ما ذا أعددت لنا في القرية

يا أختاه؟ قالت : حين تتشاءب القرية بعد ليلها المظلم أى  
ظلام ، وحين تدب الحياة فى كل الكائنات بها ، سيوقظك  
حفيف الشجر وخرير الماء وتغريد الطيور التى هى أسعد  
طيور العالم جميعا ! وسيد كرك هذا بضجيج العربات والترام  
والباعة المتجولين فى القاهرة ! وفى لحظة قصيرة تكونين  
قد لبست الثوب القروى الواسع الفضفاص ، متحررة  
من قيود أزياء المدينة وما تسلب من وقت وتضيع من  
فائدة صحية محققة ، وبين الحقول صباحا نسير ، نستنفذ  
بأعيننا وعقولنا وقلوبنا جمال الشروق الرائع ، ونملا صدينا  
هواء طيبا باردا .. وتلمحين عن كشب كيف تنهض القرية  
كلها من الرقاد ، وكيف تبعث من موت يفرضه عليها الطبيعة  
والظلام ، وتفتح ذراعيها للنور والهواء ... تلك تعزية  
صادقة ... هل تنكرين ؟

\*\*\*

وأشرق الصباح رائعا ..

كان أجمل شروق شاهدت ، يطلع على أتعس قوم  
عرفت ! كانت الأشعة الذهبية الصفراء تتغلغل بين النباتات  
الخضراء فتمنحها الدفء والحياة بما يكمن فيها من سحر ،



وبلّس سطح الحقول بعصاها السحرية ، فتحدث فيه رعدة  
حية ، تبدو في موجات متتابعة متلاحقة ، تزرع الحقول  
جميعا في حنان بالغ عجيب ، بينما تلتوى القنوات بين الحقول  
وتنسب ، في خرير متسق هادئ ، له نوع من الموسيقى  
الغامضة الساحرة !

إن مجرد التفكير في متاعب النفس وآلام القلب ،  
نوع من الجناية والامتهان لقدسية ذلك الجمال ، وفيه انتهاك  
لحرمة تلك الفتنة الرائعة !!

ولكنني نهضت - ولا أدري كيف وفقت - إلى التحرر  
من أثر ذلك السحر والتفت حوالى أتأمل وأرى عجبا ...  
بجانب هذه الأشجار الهيفاء الحية المثقلة بأحماها ،  
أجسام نحيلة شاحبة مثقلة بالآلام والمتاعب والأمراض ،  
تبدو كأنما تدب إلى القبر ، وتهدى إلى حياتنا العاجلة آخر  
أنفاسها .

وفي جوار هذه الحقول التى تنبض بالقوة والحياة  
والشباب ، برك راكدة ، تحمل فى ثناياها وعلى سطحها  
عوامل القضاء على فلاحنا المسكين ، وتكاد أبخرتها العفنة

تسمم الهواء الذى يستنشقه ، وتطغى على عطر الرياحين ،  
وعرف الورود ، وشذا الأزهار .

وهذه الطيور التى سعدت بموسم الحصاد ، وأحست  
بالربيع وهو شباب الدنيا ، يبعث فى أجسامها النشاط  
وشباب الحياة ، تملأ الفضاء بتغريدها الحنون ، كأنما هى فرقة  
موسيقية اتحدت نغماتها واختلفت أصواتها ، يكاد الإنسان  
ينسى ما فى صوتها من حنين وحنان ، بتلك الجيوش من  
البعوض والذباب ، التى تطن فى أذنه بشكل مزعج مخيف ،  
كأنما تذكره بالحقيقة المرة القاسية التى اعترف بها الدكتور  
محمد حلمى السعيد مدرس علم الصحة فى كلية الطب فى قوله :  
« لقد أصبحت الملاريا خطرا داهما على حياة الكثيرين  
من أهل جلدتنا ، حيث وجد فى صيف العام الماضى أن  
٦٥٪ من سكان بعض القرى فى شمال الدلتا مصابون به ،  
وهو لعمرى رقم هائل ينذر بسوء العاقبة إذا لم تضاعف  
الجهود فى استئصال هذا المرض الذى اكتسح قرى بأكملها  
فى أواسط أفريقيا ، فأصبحت قاعا صفصفا بعد أن كانت  
آهلة بالسكان »

وأما المياه ذات الخزير الهادىء الحنون ، فيشوهها



ما تحمل من جثث الحيوانات وبقايا القاذورات ، بينما  
يتكاثر على حواف الترع ، جموع الفلاحات زرافات ووحدا  
يغسلن الثياب المهلهلة ، وينظفن الأوعية النحاسية التي يعلوها  
الصدأ ، ويتجملن بعمل - التواليت - بمياه التربة ، ملييات  
طبيعة المرأة التي لا تتأثر بزمان ولا مكان ، ويملأن الجرار ،  
ويتركن في نفس الرائي أثرا من الحزن عليهن عميق القرار .  
بقي من جمال الريف ، شمس الساطعة التي كثيرا ما يحدثنا  
عن فائدتها الأطباء ، وهو أوه الرعب الطلق ، الذي لا تحجبه  
المباني المتراسة العالية الذاهبة في السماء ، وأعترف بأن الفلاح  
ينال من هذين المنبعين ، شيئا من القوة ، يعينه على مقاومة  
شقاء معيشته ، واحتمال ما يفتك بجسده من أمراض ، ولكن  
في آخر النهار ، حينما يغادر الفلاح الطبيعة الحانية عليه ،  
الرفيقة به ، ويأوى ودوابه جميعا إلى تلك الأبنية القذرة  
المظلمة ، التي لا يجوز لنا أن نطلق عليها اسم المسكن أو  
المأوى ، ضاع أكثر ما اكتسبه من أثر الشمس والهواء  
وتبخرت تلك الكمية الضئيلة من الصحة التي أفادته إياها  
الشمس ، في الأبنية الطينية الواطية المسقفة بالقش والغاب  
والتي لا يرتفع أكثرها عن سطح الأرض إلا قليلا ، ولا

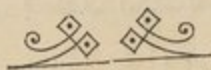
تعرف الشمس ولا الهواء ، سيلا إلى داخلها ، اللهم إلا  
شعاعا ضئيلا من النور ، ينفذ من كوة صغيرة في الجدار ،  
ليلقى الضوء على ما يخفى الجدار من تعاسة وعوز وشقاء ،  
يحملها الفلاح صابرا قانعا ، لا يئن ولا يجأ بالشكوى  
والاحتجاج ، بينما تسير بنا الأيام إلى مستقبل محزن رغم  
ما يكتشفه من غموض ، وإلى نهاية أليمة إذا ظل ولالة الأمور  
يتجاهلون وجود الفلاح ، ذلك الاسم الذي يجب أن  
يصبح رمزا للشقاء والحرمان ، لا كناية عن بقرة حلوب  
لا يفرغ اللبن من ضرعها ، تملأ خزانة الدولة مالا ،  
وأسواقها خيرات وغذاء شهيا طيبا !

إن لا أكثر أغنيائنا وحكامنا - إن لم يكن لهم كلهم -  
مصالح تربطهم بالريف ، والفلاح المسكين هو اليد الوحيدة  
التي تحيل أراضيهم الزراعية بإذن الله ذهابا نضارا يتدفق في  
خزائنها ويتيح لهم ما هم فيه من نعمة ورفاهة عيش ، فإذا  
أثار دهشة أحدها ، أن الفلاح يشقى في أمة زراعية ، يقوم  
على أمرها كبار الملاك الزراعيين ، وإذا تساءل الإنسان  
كيف لا يكون هذا الاتصال سببا في تعرف الأغنياء  
بشقوة الفلاحين البؤساء ، وبالتالي سببا في سعي الأغنياء



في تهيئة حياة صالحة لهم ، إذا دهش المرء فإن دهشته تزول ، حين يقرأ تلك الحقيقة الهائلة الصادقة ، التي ذكرها اللواء رسل باشا حكمدار العاصمة : « أتمنى أن يتعلق الشباب المصرى ببلاده تعلقاً شديداً ، ولن يكون ذلك إلا بحب الريف ، وأنت تجد الشبان الموسرين لا يعرفون موقع أطيانهم ، ولم يذهبوا قط إلى عزبهم ، ويجهلون اسم الخولى الذى يحرس أموالهم »

وهكذا نحن دائماً ، نلهو عما يحيط بنا من أخطار ، ونجهل عن مصر وأهلها ، حقائق يعرفها غير المصريين ، ولا نزال فى لهونا حتى يتحدث الأجانب بحمقنا وجهلنا وضعفنا ، وهذا الحديث هو - مع الأسف الشديد - إنذار من الحياة يلوح لنا ونحن فى رقادنا مستسلمين لأحلام الخيال ، كما تسوق الطبيعة الرعد والبرق ، إنذاراً بالعاصفة . فهل آن لنا أن نستيقظ ؟ من يدرى !!



## وراء الستار

كان عجيباً من صديقتي القروية أن تلح في إخفاء نقودي وحلي طالما أنا في القرية ، وأن تنكر على خروجي إلى الطريق وفي معصمي ساعتى ذات السوار الذهبي . وفي أصبعي الخاتم الماسى الذى لا يفارقه ! وكلها هممت بالسؤال والاحتجاج احتمت من إلحاحي بالصمت والمراوغة . وأشارت إلى أن أسكت فأمتثل لأمرها .

سألتني ذات مساء : أين تضعين حليك ونقودك ونحن نيام ؟ .

- أين ؟ فى يدي يا أختى وعلى هذا الكرسي فى جوارى ، لا زلت أعجب من اهتمامك بإخفاءهما ألا تتكلمين ؟  
- كان على أن أتكلم ، لولا أنى أحب ألا أجعلك فى مابق لك من هدوء الريف ! لقد تكشفت لك زيارتك لنا عن شقاء شعب عليك حياتك وسلبك راحة البال وصدق



اليقين . أفتحسبين أنى أجرؤ على إزاحة الستار أمام عينيك  
عما خفي عليك من شقاء الريف ؟

- ولكنك بكتمانك تثيرين فى نفسى ألماً عاصفاً غلاباً  
لا طاقة لى به !

- يا أختاه ! إنك تلهجين فى القرية أقسى أنواع الفقر  
والعوز والشقاء، ولكن لو قدر لك أنك تتغلغل فى صميم القرية.  
ولو كشف لك الحجاب عن قلوب القرويين، لانكشف لك  
ستار الشقاء عن مشهد أفظع هولاً ! ولأملك أن يستبد  
بالقرويين ظلم جرى كأن لم يكف ما هم فيه من فقر وبؤس !  
إن فى القرية لصوصاً يا صديقتى ! أنا أعرفهم . وكل فرد  
فى القرية يعرفهم ، ولكننا لانملك حيالهم إلا الصمت بل  
والرضاء .

- ما أفظع هذا الرضاء منكم ولكم كما أعلم نفوس أبية !  
- إنها لا تزال أبية يا أختاه ! وهذا الرضاء منا ليس  
خضوعاً وذلة لصغر فى نفوسنا ، ولكنه رضاء من يعلمون  
حقيقة ظلم البشر ، أو لست القائلة فى قصيدتك « وحي  
الشاطيء » ؟

يلاقى الهوان فيرضى به \* رضاء العليم بظلم البشر ؟ !  
 — إن زعيم العصاة تربطه بالعمدة صلة القرابة . وهو  
 يتحكم فينا معتمداً على هذه الصلة . يسرق ويهاجم ثم  
 لا يسأل عما يفعل . . . . . لن أنسى يا أختاه ليلة هاجم  
 اللصوص فيها خالتي ، وهى كما تعرفين تتجر فى الطيور  
 وتمتلك بعض المال وتحيا وحيدة بعد وفاة وحيدها . لقد  
 كنت حسنة الظن بالناس إلى حد بعيد . نشأت فى الريف  
 فألفت بساطته وظلت بعيدة عن دوافع الشر التى تقتحم نفس  
 الإنسان من أضعف ناحية فيه وهى حب المال . فتقذف  
 به وراء الإنسانية وتحيل ضميره قطعة من الحصى تلتهم  
 فى آخر النهار ! وكنت أسمع الهمس يكثر فى مغامرات  
 لصوص القرية ، وأنصت إلى ما يتحدث به الناس عن  
 قسوتهم واستهتارهم ، لكننى ما فتئت أتوهم فيها الإسراف  
 والمبالغة ، حتى ذلك اليوم المشؤم ! لقد هاجمها لصوص  
 أربعة ملثمون فى منتصف الليل . وهمت بالنهوض من  
 فراشها فخذلتها قواها وارتمت على الأرض شبه ذاهلة !  
 بقيت لها عيناها لتشهد بهما وحشية البشر وقسوة الإنسان  
 على أخيه الإنسان ! وفى توحش عجيب سلبوها كل ماتملك



من حبوب ومن مال . وتركوا لها ذل الفقر وقسوة المرض  
وأثر الخوف الهائل !

- وبعد ؟

- وبعد فلا يزال اللصوص يسطون ويسرقون . ولولا  
اهتمام رجال كل أسرة بحراسة الدار ليلا بالتناوب لكانت  
المصيبة أعم !

- وعمدتكم نائم في داره مطمئن لا تقلقه أشباح شقائكم  
وأصوات ضحاياكم ولا يردعه وجود الحكام والقضاء  
واحتمال ثورة كبار المزارعين ؟

- وما العمدة ياسيدتى ؟ إنه الحاكم المطلق التصرف في  
القرية . ونحن صغار المزارعين خدمه المسخرون ! أما  
كبار الملاك فهو يعرف كيف يرضيهم بأساليب نعرفها نحن ،  
لأنها على حساب قوتنا وقوتنا !

\*\*\*

وأغمضت عيني ليؤرقني سهد طويل . وبدت لي متاعب  
القرويين كأنها سلسلة آلام لا نهاية لها ! لأن استطاع الفلاح  
أن يحمل أثقال فقره وعوزة بما وهب من قناعة وصبر .  
فبأي ثمن يحمل وطأة الظلم وهو الكريم النفس الذي يأبى  
الضيم ؟

في عهد الإقطاع . وفي صميم العصور المظلمة الوسطى .  
كان الفلاح خادما للأمير المقاطعة . يزرع له الأرض  
ويحصد المحصول . ثم هو مكلف بان يعصر كرومه في  
معصرة السيد ويطحن حبوبه عنده . وعلى السيد واجب  
واحد ، هو حماية مقاطعته من الأعداء والفاحين .

والآن بعد أن اندك صرح الاستبداد بمعاول المصلحين .  
وبعد أن أعلنت حقوق الإنسان وأصبحت سلطة الحاكم  
مستمدة من الشعب لا من الحق الإلهي المزعوم . يقوم  
العمدة غالبا بتمثيل دور السيد في القرية . والفلاح المسكين  
لا يجرؤ على شكوى ولا يقوى على احتجاج .

إن دودة القطن مثلا ، في سبيل تشبثها بالحياة ، لا تميز  
بين حقل العمدة وحقل الفلاح المسكين ، بل تمضي في  
طريقها وسط الحقول لتلتهم النبات النامي الناضر ، دون  
أن تمنعها عن الحقل الأول سطوة صاحبه وقوة بأسه ،  
ودون أن يصرفها عن حقل الثاني شقاؤه وجوعه وضعفه .  
وفي أراضي العمدة يجتمع آلاف القرويين . يحاربون  
الدودة وينزعون الأوراق المصابة . وقد نشط إلى جمعهم  
خفراء القرية . يمر كل خفير في منطقة معينة وتكفي نظرة



قاسية مهددة من عينيه ، لتزرع الفلاح المسكين من حقله الصغير الذى ينتظر محصوله ليسدد ديونه المرهقة . وليحصل على ما يقيم أود أولاده الجياع . فيترك حقله لترعى الدودة فيه دون رقيب ، إلى حقل العمدة ليحمى ثروته من مجرد النقصان ! والأجر المعروف المصطلح عليه فى القرى هو رضا العمدة سيد القرية !

وفى مناوبات الرى ، حين يهجر الفلاحون دورهم ليلا . أحوج ما يكونون إلى بعض الراحة من شقاء الفقر والجهاد ، ويسهرّون فى حقولهم على حواف الترع منتظرين المياه ، كم يطول بهم الانتظار ! إن المياه محرمة على أراضيهم قبل أن تمتلئ أراضي العمدة وكبار الملاك شبعاً ورياً وحتى تصيبها التخمة فتلفظ ببقايا الماء إلى أراضي الفلاحين التعساء ! وفى موسم الحصاد ، يخرج الرجل فى الصباح الباكر حاملاً منجله ، ومودعا زوجته لتلحق به فى الحقل . ويسير فى الطريق ذاهلاً يحلم بيوم يبيع فيه القمح ويشترى رطل لحم لأولاده المحرومين الذين طال تشوقهم إلى اللحم ، وثوباً من القماش لزوجته التى أذلت رجولته وكبرياءه بثيابها المهلهلة البالية ، ولا يزال يحلم حتى يوقفه صوت الخفير ،

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

مكتبة  
الجامعة  
الأمريكية  
في القاهرة

ينزعه من أحلامه إلى الحقيقة المرة ، ويذهب به إلى حقول  
العمدة حيث ينتظره القمح النامى ! والويل له إن أبدى  
ألما أو تذمرا ..

\*\*\*

ارحموا الفلاح !

إن حياته أصبحت جحيمًا . طال عليه العهد وهو ينتظر  
الإصلاح البطيء . . وطال به الانتظار حتى ضاع منه الأمل  
الضئيل الذى كان ينير دجنة حياته الخالكة السواد . ولم  
يبق له إلا شقاء الفقر ومرارة اليأس وذل الاستبداد !

هناك بعيدا ! فى القرى التى نجهل شقاءها وشقاء من  
فيها . يفرض العمدة نظاما هو أعجوبة الأنظمة فى القرن  
العشرين . أى بعد مرور ثلاثة قرون على صرخة المصلحين  
أمثال مولير ومونتسكيو وفولتير ، بأن الحاكم الصالح هو  
خادم الشعب !

إن العمدة لا تجرى عليه نظرية فصل السلطات التى  
تجرى على الوزراء وكبار الحكام ، ففي يده سلطة الاتهام  
والحكم والتنفيذ . والحكومة لا تعلم عن هذا شيئا كثيرا .  
لأن صغار القرويين لا يجرؤون على الشكوى والصراخ



خشية الاضطهاد والإهانة . بينما لا يجد كبار المزارعين ما يشكون منه لأن العمدة يكلف الفلاحين الأجلاف بدفع ثمن سكوت السادة الأغنياء . وفي ذلك يقول « الفلاح المسكين » في رسالته إلى بالاهرام الغراء ١٤ - ٨ - ٩٣٥ « لو وقف شقاء الفلاح عند هذا الحد - فداحة الضرائب - لكان الأمر أسهل مما تظن الحكومة ولنادى الفلاح بعالي صوته . الفلاح الصغير في حاجة ملحة إلى حمايته من اضطهاد حضرات العمدة ومشايخ وأعيان القرى . فدافعوا أجور الخفر هم الفلاحون الفقراء . ورجال تنقية دودة القطن في زراعات العمدة والأعيان هم الفلاحون الفقراء . وواضعو فوانيس الإنارة أمام منازلهم في القرى هم الفلاحون الذين لا يتمكنون من إنارة مساكنهم »

« تذاكر التمثيل والجمعيات التي يتبرع حضرات العمدة والأعيان بتوزيعها ، تحصل أثمانها من فقراء الفلاحين . وتطهير مساقى الأعيان وتسهيل الطرق لسياراتهم في داخل قراهم ، وفعلة مبانهم ، وخدمة منازلهم ومزارعهم هم الفلاحون البؤساء التعساء . الذين إن اشتكوا أهينوا وإن صرخوا عذبوا »

هذه الصرخة الداوية التي يرسلها « الفلاح المسكين »  
من أعماقه يجب أن يكون لها صدى فى قلوبنا وفى عملنا . شقاء  
الفلاح وصل إلى درجة لم يعد ينفع معها علاج الكلام .  
والفلاح نفسه أصبح لا يطمئن إلى سياسة الوعود الخلافة  
التي يلوح بها المصلحون . والحاجة ملحة إلى علاج عملي  
عاجل .

إن التمثيل الحكومى معدوم فى القرية كأنماهى كم مهممل  
على الهامش ، وكأن مصر ليست « بلدا زراعية قبل كل شئ » .  
ولا يزال أهم قوام معيشتها مرتكزا على الزراعة . فهى  
لمصر أهم بكثير منها لإيطاليا مثلا « وانعدام التمثيل  
الحكومى ، والإشراف الفعلى على عمل العمدة ، يفسح المجال  
لعبث صغار النفوس منهم ، واستبدادهم بصغار المزارعين  
دون خشية أو رقيب ، والمثل العامى يقول « المال السايب  
يعلم الناس السرقة » . وبين تغافل حكام المراكز ، واستبداد  
العمدة ، يلاقى الفلاح صنوفا من الهوان والذل والشقاء ،  
لم يعد فى إمكانه تحملها ، وليس من العدل الإغضاء عنها .  
هذا « الفلاح المسكين » أتاحت له « الأهرام » الغراء  
فرصة الاحتجاج . فأرسلها من قلبه صرخة أليمة حافلة



بالمراة والشقاء ! ترى كم من صرخة تقف في حناجر غيره  
من القرويين ، ولا تجد مجالا للانطلاق ، لأن صاحبها  
لا يملك ثمن طابع يريد يحمل شكواه إلى منبر الأهرام ،  
فتعذبه وتضنيه !؟

لست أطلب تحقيقاً حكومياً في ذلك الموضوع . لأنني  
موقنة بصحة كل ما جاء في خطاب « الفلاح المسكين » بل  
إنني لأعلم يقيناً أن ما خفي علينا من شقاء الريفيين أكثر .  
والعمدة لا يعدم مئات من الشهود ، يديعون ضمايرهم  
برضاء العمدة . ويلفقون التهم على الأبرياء فراراً من قسوة  
الاضطهاد . أجل لست أطلب تحقيقاً ، ولكنني أتساءل هل  
تعجز الحكومة عن الإشراف على القرى ؟ إن في المراكز  
وعواصم المديرية آلاف من الموظفين ، يعملون أعمالاً  
تافهة . ويشغلون وظائف لا تتناسب أسماؤها ومرتباتها مع  
ما يقومون به من عمل فعلي ، وقد آن لهم أن يفهموا أن  
الوظائف كما قال حضرة الأستاذ حسين عنان السكرتير العام  
لوزارة الزراعة . « ليست أرائك للجلوس عليها . ولكنها  
مراكز محفوفة بالتبعات » فماذا لو أشغلت الحكومة بعض  
هؤلاء الموظفين في حماية رعاياها القرويين ؟ وما الذي يمنع

من أن يختص كل واحد منهم بوضع قري . يتغلغل في دور  
صغار مزارعيها . ويستمع إلى صرخات الأطفال ويصغي  
إلى شكوى النساء . ويكشف الستار عما تخفي صدور الرجال  
من ألم مكبوت وثورة مكبوحه ؟ وعما يجري في الريف  
من مهازل لا تليق بعصر يسمونه عصر الحرية والنور ؟  
ارحموا الفلاح !

لا بل ارحمونا نحن ! ارحموا الأجيال القادمة من هول  
المستقبل إذا ظل الفلاح كما هو كتلة ذليلة مهملة ، ارحموا  
أبناءنا وأحفادنا واذكروا واجبننا نحوهم .

لقد تستطيع الحكومة أن تلتمس لنفسها بعض العذر  
في بطل الإصلاح . ولكنها لن تجد عذراً في التقصير عن  
حماية مواطنيها التعساء من استبداد بعض الأفراد . ولا بد  
للفلاح من قانون حازم يحميه من الظلم ومن القسوة  
والاضطهاد !

\*\*\*

إن مجرد التأمل في نظام العمدية ، يكفي للدلالة على  
استبداد شهوة الحكم ببعض الأفراد . فالعمدة لا يقبض  
مرتباً ولا ينال على مركزه أجراً ، وكل ما يكسبه رسمياً هو  
بناء بعض أطيانه من الضرائب ، وإعفاء أولاده من واجب



القيام بالخدمة العسكرية - وتلك لعمرى مهزلة ! - فلو كان  
العمد يدركون مسئولية المركز حق الإدراك ، لما استماتوا  
في سبيل العمدية ، ولما استفحلت العداوة بين كبار الأسر  
في الريف من أجل العمدية ! هل يمكن تعليل تلك الاستماتة  
بغير شهوة السلطة ، وبغير الأرباح التي يجنيها العمدة ظلماً  
وعدواناً من استغلال صغار المزارعين ؟! إن الثمن البخس  
الذي يناله العمدة بالإعفاء من بعض الواجبات ، لا يغري  
بتحمل أعباء المسئولية ، لولا أن الكثيرين لا يفهمون أن  
للمركز أعباء وتبعات ولا يجعلون منه إلا أداة تحكم ورياسة  
واستبداد واستغلال .

الضرورة قاسية ملحة ، وقلم قضايا الحكومة لن يكلف  
الخزينة شيئاً في سبيل القيام بوضع القانون المنشود . وقد  
آن لحضرات العمد أن يفهموا أنهم وصغار المزارعين  
سواء أمام الحق والعدل ، وأن أكرم الأفراد على الوطن ،  
أكثرهم قياماً بواجبه ، وهم لن يفهموا ذلك إلا إذا حال  
بين الفلاح وبين استبدادهم وتمسكهم قانون حازم . يوقف  
كل فرد عند حده لا يتعداه . ويحمي الفلاح المسكين من  
قسوة الظلم وفاحش الاستغلال .

## في قبور الأحياء المجاهدين

آن لنا أن نفتش في القرى المهملة عن قبور الأحياء  
المجاهدين ، وأن نزيح عنها الأغذية الزائفة لنرى الجثث  
الحية ، يقتلها الجوع وتهشها الأمراض .

قال لى البعض : لم تدعى فى قاموس البؤس كلمة واحدة  
إلا استعنت بها على وصف شقاء الفلاح ، أما آن لك أن  
تهدئى ؟ ! فأذهلنى ذلك التعبير ومضيت أفكر . ذكرت أنتى  
حين مررت فى طرقات القرية ، وحين تغلغلت فى دورها  
القدرية المظلمة ، وأنصت بقلبي إلى الأنات اللاهثة الضعيفة  
التي تذيب القلب وتضنيه ، وحين ازدحمت الآلام فى دماغى  
تستبد به وتريد انفجاراً ، لم أكن أفكر فى أن للبؤس  
قاموساً ، وأن الكلمات التي نعبر بها عن الألم قد تنفذ إذا  
طالت بالإنسان الشكوى وطال منه الحديث ، والآن أتساءل  
أحقاً قد تنفذ الكلمات ؟ أترانى قد أقف مكتوفة اليدين  
صامتة اللسان وأنا أرى أمواج البؤس تطغى على الفلاح



الشقي المجاهد فتغمره وتغمره حتى يختنق ، ثم أقش في دماغه  
فلا أجد كلمات جديدة تصف بؤسه ، ولا أستطيع أن أرسلها  
من أعماق صرخة حزينة تهيب بالناس أن أنقذوا الفلاح؟!  
في صميمي ، أعتقد أن نظرة شاردة عجي ، يلقيها الإنسان  
عرضاً على فلاح مهدم يدب على الأرض وكأنه يخطو إلى  
القبر ، ويعمل في الحقل وكأنه يذيب قواه وقطرات حياته  
في الأرض التي يحرقها ، نظرة واحدة تكفي لأن تحمل  
إلى قلوبنا ، حديثاً بليغاً عن الشقاء العجيب .

لو أن طائفة المزارعين كانت أقلية ضئيلة لاستطعت  
أن أخنق في صدرى لطفة عطفي عليهم ، ولقلت في شجاعة  
متكلفة : لا بأس ، فئة قليلة تشقى لتسعد الأكرثين ، إذا  
كانت سعادة المجموع لا تأتي إلا بشقاء البعض وتضحية البعض  
وإذا كنا نحن أنانيين بطبيعتنا ، فقيم يا قلب التلم وفيم الآنين؟  
ولكن القرويين هم الأغلبية الساحقة في مصر الزراعية .  
بضعة ملايين تشقى وتتخبط في ظلمات مرضها وعوزها  
لتسعد الآخرين ، فلو أفناها الشقاء كان في فناءها هلاكنا  
جميعاً .

« شقاء الفلاحين فادح ، وإصلاحه يقتضى جهوداً

جبارة ، وليس من المستطاع أن نصلح قرى كل ما فيها يقتضى إصلاحا « هكذا يقولون دائما ، ولكن هل تدعو فداحة الشقاء إلى الصمت والسكون ؟ وهل كون كل ما فى القرية يقتضى إصلاحا ، يقعدنا عن الإصلاح ؟ إذا كنا فى مصر نفهم ذلك ونهضمه فى سهولة ويسر ، فالناس جميعا يعتقدون أن فداحة الشقاء تدعو إلى الإسراع فى الإصلاح ، وأن جهودنا يجب أن تتناسب مع قسوة الواقع ، وهكذا يفهم غيرنا ، وهكذا علمنا أساتذة المنطق .

\*\*\*

لست أخشى أن يتهمنى البعض بأنى خيالية ، وما أسهل اتهام الفتيات بذلك ! - حين أتحدى جميع المصريين متسائلة هل فىنا من لا يعترف بشقاء الفلاح ؟ وهل من فرد ينكر أن الفلاحين غالبا ، هم أشقى الناس وأشد هم عوزا ؟ قد أفهم أن يتردد البعض فى وجوب الإصلاح ، وقد أفهم أيضا أن يظن البعض أن الفلاح لا تزال لديه قوة الاحتمال ، ولكنى لا أصدق أن إنسانا يقول - وهو يعنى ما يقول - إن الفلاح ( أحسن من غيره ! ) نحن إذن مسلمون جميعا بشقاء الفلاح ، ولكن هذا



هذا التسليم معناه في بلادنا أن يسخر الفلاحون في أعمال  
مضنية مرهقة ، والأجر هو سلسلة من الشتائم القذرة  
الأيمة ، يقذفها أصغر موظف منتدب للمراقبة ، في وجه  
الفلاح ( الجلف الحمار ابن الحمار . )

\*\*\*

عند ما تمتلئ منابع النيل العليا بالماء ، ويدفعها التيار  
فتسير في طريقها إلى البحر الأبيض ، قوية صاخبة دافقة ،  
حاملة بين أمواجها الحياة والموت ، وحين تمضي إلينا تائفة  
غلابة ، تطغى أحيانا على الشواطئ ، وتغرق الأراضي  
المنخفضة بسيل من المياه وكأنما تقول للفلاح الحزين : إذا  
كنت تريدني سماءك التي تمدك بالحياة بإذن الله جل شأنه  
فلا تنكر أن يكون لي مع أنوارى سحاب ورعد وبرق !!  
وعلى جسور النيل التائر يحتشد الفلاحون . . . .  
الفلاحون المحرومون . الأشقياء ، ليصدوا هجوم المياه  
بأجسامهم الناحلة المنهوكة المريضة ، وليعملوا طول النهار  
تحت رحمة المندوبين السادة وفي قسوة الظهيرة ! ينتزع  
الرجل من حقله ومن بين أولاده ، ويرحل إلى مكان بعيد  
لتم المهزلة ! ليعمل مسخر آيينا تعمل الآفات والمياه التائرة

في أرضه الصغيرة التي لا يكاد ثمن محصولها يرحمه من قسوة  
المحصلين وظلم المربين ! وبينما تخط دودة القطن في حقله  
سطور ذله وعاره وخرابه !

يا رحمة الله ! الفلاح الشقي المجاهد ، الذي يؤدي واجباته  
نحو الوطن كاملة ، والذي لا يظفر بعد جهاده وتعبه بمال  
يدفعه للضرائب المرهقة ، الفلاح الذي تلتهم الملايا  
والبلهارسيا والانكستوما والبلاجرا والانيشيا قواه ،  
وتهد كيانه هداً ، ثم يسكن إلى آلامه ويحتملها صابراً صامتاً  
لا يئن ولا يتوجع ، فيعاني الموت البطيء حتى لا يكلفه ذهابه  
إلى مستشفى المدينة ترك أرضه التي لا تكاد تمده بالكسرة  
يتبلغ بها والسترة يستر بها عورته ، هذا الفلاح ، ينزع قهراً  
واعتسافاً إلى جسور النيل في أى مكان ليعمل مجاناً ؟  
وليحمى ثروتنا الزراعية من النقصان واوكلفه ذلك حياته !  
ومهزلة المهازل أن ينتدب الموظف المنعم لمراقبة  
تسخير الفلاحين التعساء فيمنح مكافأة إضافية فوق مرتبه  
كأنما كان في مكتبة بالقاهرة عاطلاً فهو يمنح مرتباً إضافياً  
حين يعمل ، مع اعتبار مرتبه الأصيل ميراثاً أو رثته إياه  
آبائه أو أجداده من قبل ! أو كأنما ننسى أن الموظف الذي



يندب لعملٍ ما ، لا يحق له أن يأخذ مليماً واحداً فوق مرتبه  
الأصلي ، لأنه لا يعمل عمليين في وقت واحد . . . لقد ترك  
عملاً وندب لعمل آخر فكيف يكافأ على العمل الواحد  
مرتين ؟ .

المال لمثل هذه المكافآت الظالمة موجود ومتوفر والحمد  
لله ، وإن استنفد ففى الاحتياطي العام ما يسد الفراغ ويملا  
الجيوب المنتفخة الأنيقة ، ولكن المال لإصلاح القرى ،  
المال الذى قال « الدكتور أبولس بولس » إنه الداء والدواء ،  
هذا المال من نوع آخر . . . من عملة أخرى لم نهتد إليها بعد  
ولا محل لها من خزانة المصروفات فى مصر !

مائة ألف من الجنيهات أنفقت كاملة فى هذا العام  
لمقاومة الفيضان من وزارة الأشغال ، وما يقرب من  
نصف هذا المبلغ فى وزارة الداخلية ، وما كان لنا أن نشكو  
هذا الإسراف ، لو لم تقترن به حقيقة فادحة وهى أن هذا  
المبلغ الضخم ينفق فى فيضان يقاومه الفلاحون الفقراء  
دون أجر مطلقاً !

وأعجب من هذا ، أن يحدث ذلك فى وقت يكاد أكثر  
الفلاحين يموتون فيه جوعاً وأن نطلب نصف هذا المبلغ

لا نقاذ آلاف من المزارعين الذين هم ثروة الأمة ، فتصاب  
الحزينة فجأة بصداع هائل وشلل في اليد ومرض الإرهاق  
والعسر !

معالي وزير المالية أجدر الناس بالعطف على تلك الفئة  
الضالة ، وأعتقد يقيناً أننا لا نطلب محالاً حين نسأل أن  
يكون الفلاح آخر شخص في مصر يفكر في تسخير  
وتشغيله دون أجر ! حسبته شقاؤه ومرضه وعوزة ! حسبته  
الحياة الوضيعة المنحطة التي يتخبط في ظلامها ! حسبته  
المذلة والاحتقار وكونه لا يحيا كإنسان !

مسألة عدم مكافأة الموظفين المراقبين حين الفيضان  
لا يعدو أثرها حرمان الموظف من صيف ممتع يقضيه في  
أوروبا وتحت ظلال الأرز في جبال لبنان الساحرة ، أو  
تغيير السيارة طراز سنة ١٩٣٠ بأخرى رشيقة « موديل  
١٩٣٥ ! » بينما مسألة عدم منح الأجور للفلاحين ، هي  
مسألة حياة وموت ! له ولنا وللأمة جميعاً !

\*\*\*

آن لنا أن ننش قبر الأحياء المجاهدين !  
يترك الموظف عمله الأصلي ، ويندب لمراقبة العمال



- وهو مركز أدبي يطيب للبعض التمتع بما يلبسه من رياسة وسلطة - فيمنح أجراً مضاعفاً ، ونفقات انتقال ، وبدل اغتراب ، ثم يعود فيجد في انتظاره خطاب شكر رقيق من المصلحة ، وخطاب تمجيد لبطولته ينشره النفعيون الصغار في الصحف ، وتبحث معى عن العمل المجيد الذى قام به ، فتجده ممثلاً فى أوامر قاسية مستبدة وقحة ، يذل بها الفلاح المسكين ، ويتمتع بشهوة الأمر والنهى حين يبتعد عن أوامر رؤسائه ونواهيهم ، ويجرب فى الفلاح مقدار استعداد حضرته لمراكز القيادة وكراسى الرياسة !

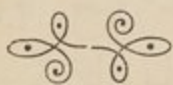
وينزع الفلاح الجائع المريض من أرضه للعمل ، فيكون جزاؤه الإذلال والحرمان ، ثم يعود فيجد فى انتظاره الخراب حيناً ، والعمل المتراكم أحياناً !

ورغم هذا كله نعتف جميعاً بشقاء الفلاح ، وهذا هو أقسى ما فى الأمر كله !

\*\*\*

كم من المصريين يعرفون أن حفر ترعة المحمودية وحدها سنة ١٨١٩ أهلك اثني عشر ألفاً من الفلاحين المستخرين ؟ إنها حقيقة صادقة دامية ، ومع هذا دارت عجلة

الحياة في سيرها المعتاد ، وظلت السماء زرقاء صافية ، ولم  
تجعلها دماء الضحايا التي تبخرت مع الشمس ، حمراء قانية  
ملتتهبة ! والآن ؟ كم من ضحية لقانون العونة حين الفيضان  
كل عام ؟ لا أدري ! فقد تعودنا أن نقرأ إحصاء دقيقاً عن  
الأموال التي أنفقت ، وألا نقرأ شيئاً عن عدد الضحايا  
وعدد الأسر الريفية التي قد يهدمها ذهاب عائلها إلى مناطق  
المقاومة دون أجر ! ولعل إغفال هذه الناحية فيه نظر وإلا  
فتى كان لأرواح الفلاحين سعر وثمان في سوق التعامل ؟  
ولكنني أخيراً ، أرجو ألا يخذعنا أن عجلة الحياة تسير ،  
وأن السماء ليست دامية حمراء ، فلا تزال لها زرقها الصافية  
الفاتنة !





## القسم الثاني

---

متى نستيقظ ؟

## فطر ناسرو عنه فيلارو بنا

بدا صوته مرتعشا تخفق فيه رجولة تأبى أن تكون  
ذليلة ، فيكبح جماحها ويتكلف عدم الاكتراث وهو يقول :  
فقط أريد أن أعيش .

قلت ولكنك تسألني البحث عن عيش ذليل .  
- ذليل ؟ إن جوع يوم واحد يأسدني ، كفيل بأن  
يمحو هذه الكلمة من قاموس رياتنا العجيب ، وقد يقذف  
بالإنسان وراء إنسانيته وإنسانية الناس جميعا ، فلا يهتم  
في سبيل تهدئة ثورة أمعائه ، هل يهتم مع الحيوان يأكل  
العشب ويقتات بقشور البطيخ وورق النبات ، أو يثور  
على القوانين فيسرق ويختلس .

- إذن فأنت تصر على أن أبحث لك عن منزل تخدم  
فيه ؟ إني لمشفقة على رجولتك يذلها الزمن ، فتنال لقمتك  
مغموسة في الذل والمهانة .

- وما العار في أن أكون خادما ؟ أو أنال طعامي أجرا

---

نشرت في الأهرام الغراء في ٢٧ من يونيه سنة ١٩٣٥



على عملي؟ ومع هذا فأرجو أن أوفر عليك شفقتك، فأنت لا تشفقين على رجولتي، وإنما - اغفري لي صراحتي - تخجلين من أن يعمل رجل تربطك به صلة قرابة بعيدة، في منازل معارفك كخادم. لا ألومك على هذا بل أؤكد لك أنني سأخفي عن الناس جميعا، أن أخي كان زوج ابنة خالة أهلك. لماذا يبدو عليك الألم هكذا؟ أو تظنين أنني أتألم؟ أنت إذن غبية، معذورة في غبائك. لقد مرت علينا في الريف أيام كان كل منها عمرا من الشقاء كاملا، كنا نضع في «المشنة» بضع لقمات من الخبز الجاف ونجلس حولها - أنا وأمي وزوجي وطفلي - أتناول اللقمة متباطئا، وأضعها في فمي في ببطء أشد. ثم أطيل المضغ حتى أترك للباقيات فرصة الأكل دون أن يشعروا أنني إنما أظهار بالأكل. كانت هذه العملية تضغط على قلبي بألم، لولا نبل التضحية، لكاد يهدمني. غير أنني نظرت عفوا إلى زوجتي نظرة شاردة عجي، فأحسست أنني أختنق. والتفت عامدا إلى أمي فإذا بقلبي ينخلع، وكأني من هول الألم في ذهول عن الألم، كانت كلتا هما تتكلف الطعام وتعاني التجربة الهائلة التي كنت أعانيها، كان كل منا يخدع نفسه ويضلل رفقاءه، أفبعد هذا تظنين أن في خدمة

البيوت مذلة ومهانة ، وأية عزة أبقتها لي نظرتي إلى أمي وإلى زوجتي ، وهما تتظاهرا أن بالأكمل ، وتبطنان في المضغ كأنما هما موكلتان بتنفيذ الحكمة الطبية « أطيلوا المضغ » في دقة بالغة ، لقد عدت حينئذ طفلاً ذليلاً مسكيناً يود لو يبكي ويسرف في البكاء ، وأحسست بسهم يخترق أحشائي حين سمعت أمي تردد في مسكنة وخضوع ، الحديث الشريف « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » .

قلت وأنا أغالب الدمع :

- إلى هذا الحد المؤلم وصلت بكم الحال في الريف ؟  
ومع ذلك فأنا لا أفهم فيم يأسك وعلام الحزن ؟ الرأي  
عندي أن تعود إلى القرية الحبيبة ، فاستأجر لك فداناً .  
- وبعد ؟

- ازعه قمحاً ثم ذرة ، تأكلون منهما طول العام ، ثم  
ازعه في المرة الثالثة قطعاً لسداد الإيجار ، وأجر السباد  
والعمال .

- كل هذا جميل ومعقول ، بشرط أن نسمعه ونقوله ،  
أما إذا تعدى القول إلى العمل ، فهنا يتبخر المنطق ، ويطيح  
العقل ، وتسخر منا الحقيقة المروعة ، لكي أستأجر فداناً



يجب على أن أدفع عشرة جنيهاً للمالك، وخمسة للعمال حين  
الرى وحين محاربة الحشرات، وحين الجنى والحصاد.  
وثلاثة جنيهاً للسماذ في ثلاث زراعات ثم يجب أن يكون  
لدى حمار وجاموسة، وأن يتوافر لهما طعام ليتنا نجده  
لنا كله نحن.

فإذا دفعت هذا كله من المحصول، فلن يبقى لنا إلا  
ما يكفيننا شهراً واحداً مع شديد التساهل، خبزاً فقط، ثم  
لا كساء ولا طعام، وهذا هو ثمرة جهاد عام طويل.  
يا سيدتى، أنا لم أفر من القرية إلى المدينة إلا بعد  
أن أجهدت نفسى فى التفكير فاحتسبها يداً عند الله، لن  
ننساها لك، وابحثى لى عن عمل خادم، فسأجد ما آكله،  
وأبعث أجرتى إلى من أشقاهم الله بى، وبعد فلست أطلب  
إلا عملاً شريفاً، لا أمد يدي للسؤال، وإنما أبحث عن عمل  
أعيش به.

\*\*\*

قام المسكين إلى الصلاة، فالفلاح المصرى يذكر ربه  
فى السراء والضراء، يذكره فى الأولى شاكرًا، وفى الثانية  
راضياً، قام وتركنى أفكر؛

وهاجمتني الذكريات . . .

ذكرت أن هذا البائس هو أحد الآلاف الكثيرة التي  
نزحت وتنزح من الريف إلى المدن ، في سبيل لقمة ذليلة  
متواضعة .

ذكرت ثلاثة من أقوى شبان قريتنا ، جاءوا منذ شهرين  
إلى القاهرة ، واشتغلوا في أحد المخابز ، يحملون ( العجين )  
من البيوت ويعودون به خبزاً في آخر النهار قانعين بثلاثة  
قروش لكل منهم وخمسة أرغفة شهية .

وذكرت أخوين من جيراننا في القرية ، يهزان بالضعف  
ويحتملان أشد الجهد ثم لا ترى للتعب أثراً عليهما ، تركا  
القرية واشتغلا بخدمة أسرتين ، فأما أولهما ، فيحمل سيده  
الطفل ويدلله ، ويسير بسيدته الشابة التليذة بالسنية  
الثانوية ، وأما الآخر فيحمل السلة ويذهب إلى السوق ،  
يشترى الفجل والبصل والخيار .

ومددت يدي أمسح دمعة حارة ، ألهبت وجنتي حين  
ذكرت أبا إحدى صديقتي الريفيات . كان في رغد من العيش  
وسعة يعيش على غلة أفدنة ثلاثة ، ويعمل مع ولديه في الحقل  
راضين قانعين ، ثم ألحت عليهم الأزمة فاستحال عليهم دفع



الأموال الأميرية . ثم أعلنهم المحصل الأفرار من بيع  
أفدنتهم - وهى حياتهم - بالمزاد . فتمر وعار فأين الرحمة ؟  
رأتها أعينهم العمياء فى بنك رهونات . وفى عام واحد  
غلق الرهن ! فقتشتوا فى البلاد لم يعرف أحد مصيرهم ، إلا  
أنى رأيت أحدهم يتقدم إلى ذليلا بأوراق اليانصيب ،  
يا سبحان الله ! ألئن باع فى يومه خمس ورقات ، فكم يكون  
مكسبه فيها ؟ قرش ، قرشان ؟ اللهم رحمتك !

يا بائع الفجل بالمليم واحدة \* كم للعيال وكم للجلس البلدى ؟  
دسست فى يده خمسة قروش ، ففارس فى وجهى ثم  
قذفها على الأرض ، وفر من أمامى كالمنجون لا يعى .

ثم ذكرت أيضاً خمسة شبان أعرفهم كانوا يشتغلون فى  
زراعة أحد أقاربى ، واستغنى عنهم ، فجاءوا إلى القاهرة ،  
وانضم أربعة منهم فى سلك حرفة عجيبة ، يحملون الخيار  
فينادى أحدهم ( خيار يالوييا ) فيرد الباكون بصوت واحد  
فيه حزن رغم ما له من جرس ( عشرة بقرش ) .

آه ! إن صوتهم لا يزال يلاحقنى فى كل مكان داويا  
حزينا متهدجا . وأما الخامس فيبيع أكياس النفطالين . ومحل  
المختار سلم ( الترام ) . وأقسم لقد سمعته بأذى عند باب الخلق

يقول : « ما حدث عندنا نفتالين في البيت ؟ نا كل إحنا  
وأولادنا نفتالين بأه يا ناس يا هوه »

\*\*\*

والآن إلى مصر المسكينة . . .

أرأيتم هذا المصير المحزن الذي يصير إليه أبناءها الأقوياء ؟  
لقد فكرنا طويلا في جيوب الأجانب ، تلتهم الثروة  
المصرية ، فجاهدنا في تشجيع الصناعة المصرية ، وفكرنا  
طويلا في البحر الأبيض المتوسط ، يفغر فاه فيلتهم ماء  
النيل أحوج ما نكون إليه ، فأنشأنا الخزانات وأقمنا القناطر  
والسدود .

وفكرنا في المخدرات تتقد ناراً ، وقودها ثروة أبناء  
مصر ، فتبخر قواهم وعقولهم وحيويتهم ، فأنشأنا مكتب  
المخدرات ، تساعد مصالحي الحدود وخفر السواحل  
والطيران .

وفكرنا في كل شيء ، إلا شيئاً واحداً هو مع شديد  
الأسف أخطر الأشياء .

لم نفكر في المدن تجذب شبان الريف ، لأن انحطاط  
مستوى المعيشة في القرية ، يغري أبناءها بالنزوح إلى المدينة ،  
وفيها عيش وماء نقي ، وفيها لهُو ميسور .



لم نفكر في الأعمال الحقيمة ، يشتغل بها أقوى شبان  
الريف ، وأقدرهم على خدمة مصر .

إنهم يدللون الأطفال ويخدمون في البيوت فهل يسمع  
المصلحون ؟ وهناك في الريف ، أرض خصبة غنية تحتاج  
إلى سواعدهم ، وثروة مخبوءة في الأرض ، تريد أبناء  
الريف الأشداء .

وإذا مضينا في تغافلنا عن هذا الخطر ، فمن للقرية  
والزراعة إذن ؟ ألا فاسمعوها كلمة صريحة : إن استمرار  
نزوح الشبان من القرية ، واحترافهم أبسط الحرف في  
المدينة ، سيؤدي بنا إلى المجاعة ولن يشفع لنا حينئذ خصب  
التربة المصرية ، وسحر ماء النيل .

لقد اشتغل بعض الشبان في مخبز ، وآخرون في خدمة  
البيوت ، فهل خسروا شيئا ؟ لا ، فهم يعيشون عيشة إن لم  
تكن أفضل من معيشة الريف فلن تنحط عنها ، ويشربون  
ماء نقيا منعشا ، ومصر هي التي خسرت وتخسر ونحن  
لا هون .

والآن أتساءل ، إذا كان هذا هو مقدار النازحين من  
قريتنا ، وهي في صميم ( المنوفية ) أخصب بقاع العالم ، فما هو

حال قرى شمال الدلتا والوجه القبلي ؟  
ثم لا تنسوا أن أبناء الصعيد الذين يملئون المدن  
وخاصة مدينتي مصر والإسكندرية ، هم من صميم الريف .  
حدثني أحد كبار الملاك في مديرتي الشرقية والدقهلية  
قال : إن مائة فدان من أرضنا لا تنتج ما تنتجه عشرة أفدنة  
من أراضى المنوفية . .  
لا تحسبوه مغاليا .

والعلة ليست ضعف الأرض كما توهمت وكما تتوهمون .  
بل هي في قلة الأيدي العاملة .

مصر بلاد زراعية ، وستظل هكذا ما عبد الله في  
الأرض ، ثروتها في أرضها ونيلها ، وحياتها في يد الفلاح  
الجائع المحروم ، فلا تنسوا هذا واذكروه دائما .

هل نلوم الفلاح ؟ إنما إذن نكون كمن :

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له \* إياك إياك أن تبطل بالماء !  
أصلحوا القرية فيتشبث هو بالبقاء فيها ، مهدوا له عيشا  
سهلا ميسورا في تواضع ، فلا يستبدل به حياة المدن . إنه  
يعشق الريف وهو يتركه محسورا ملتا بعد أن تعينه الحيل ،  
وبعد أن يجد العيش فيه غير مستطاع .



حين تفكر الحكومة في مصايف الأطفال ، يجب ألا تنسى أن في الريف أطفالا قد لا يجدون كسرة أو سكرة ، يذهب الرمد بجمال عيونهم وتضرب عليهم الذلة والمسكنة .  
و حين تفكر مصلحة السكك الحديدية في تسهيل النزهة لمتوسطى الحال ، بقطر البحر والنزهة ، يجب ألا تنسى أن في الريف رجالا مصريين ، يشربون الداء مع الماء ، ويحيون حياة لا نرضاها لحيواناتنا .

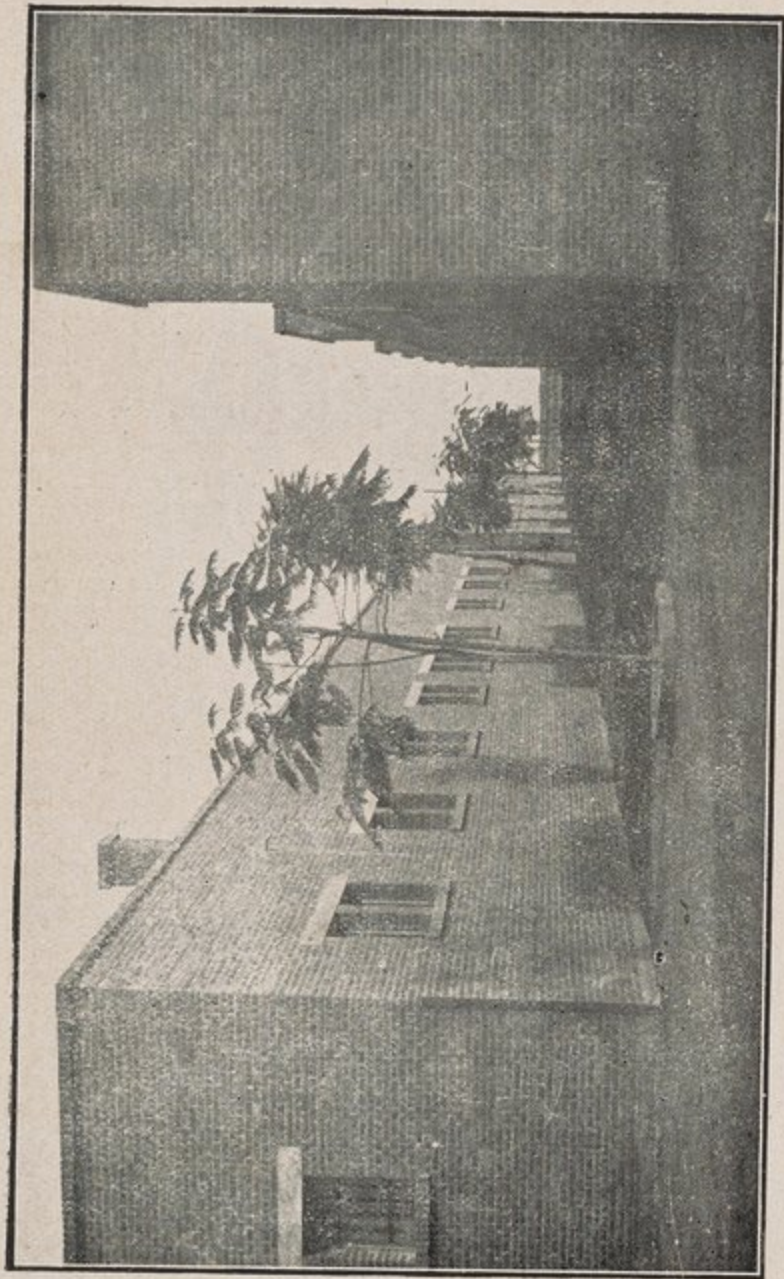
إن أول الواجبات هو تيسير العيش الممكن ، لمن صارت حياته أقل من الممكن .

نحن لا يضيرنا أن نقضى الصيف بعيداً عن السواحل فلكل بلدة في مصر مغانيها ومناظرها الجميلة ، ولمصر في ليالي الصيف هواء منعش جميل ، ولن تفارق أرواحنا أجسادنا إذا لم تسعفنا الحكومة بتسهيل وسائل الترف لنا ، ولكننا جميعاً ، بإهمالنا الفلاح ، نخسر اليد العاملة التي تمدنا بالطعام ، والخدام القنوع الأمين الذي يفنى في سبيلنا صابراً صامتاً .  
موكلنا في الخسارة سواء .

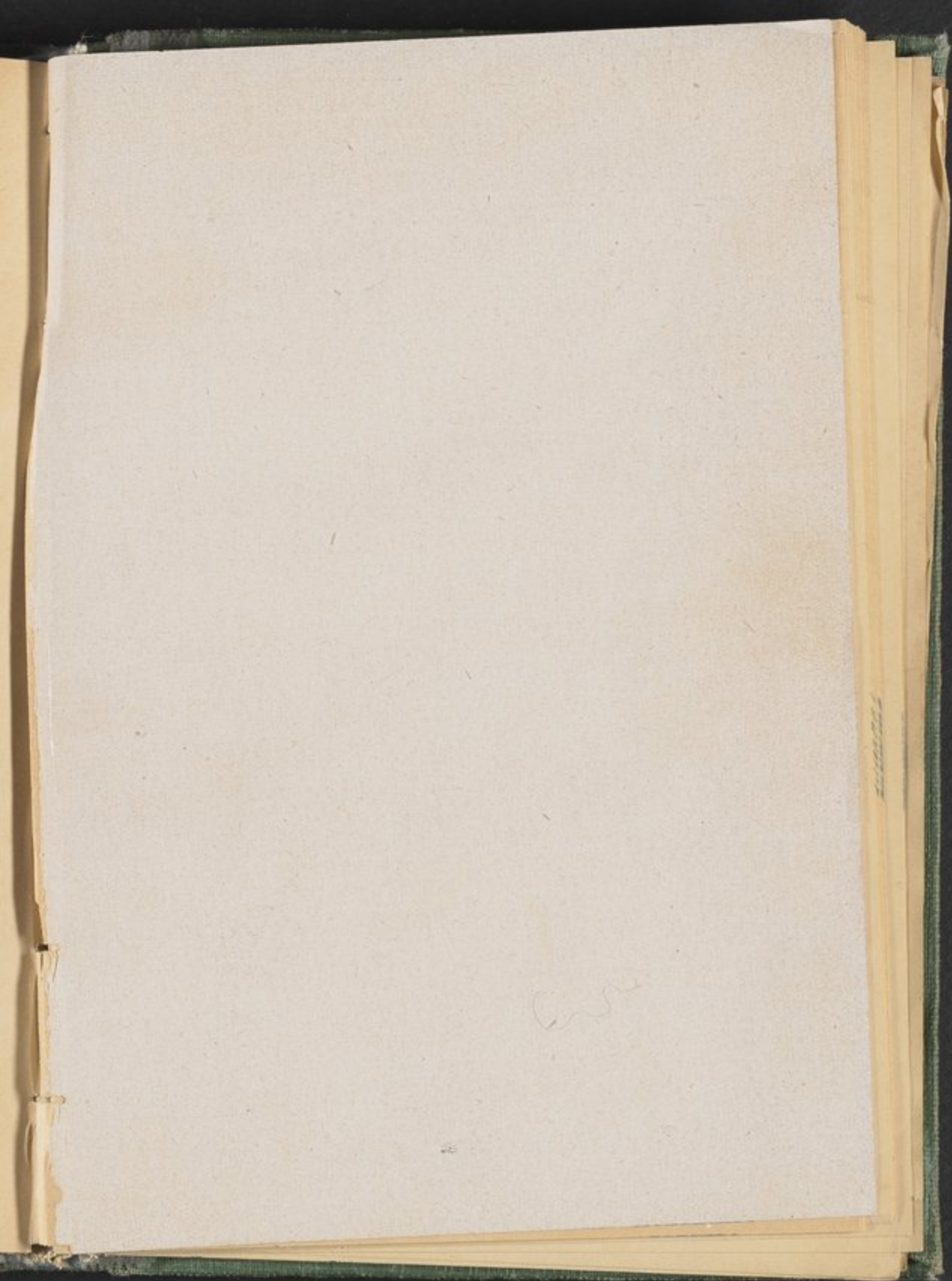
إن الفلاحين - سواء رضينا أو كرهنا - هم أعضاء من  
جسم الأمة ، لا يجوز التغافل عنهم وإلا فالويل لنا منا .  
فلنفكر جديا في مصلحة القرية وإصلاحها ، ولنصلح  
حال الفلاح بمال الفلاح ، فإن مهزلة المهازل أن يكون لنا  
معشر سكان المدن الحقوق ، وعلى الفلاحين الواجبات -  
القرية ! إن فيها مقتل الأمة ، كما أن منها حياتها







صحة وجمال (طريق القرية ، كما يجب أن تكونه)





## ماذا أعمدنا للغمر؟

أفتغفر لى صديقتى القروية ، جهري بما يغمرها من فقر وشقاء ؟ لقد تشبثت بى يوم الرحيل ، تسألنى فى تواضع ذليل أن أنسى الصور المحزنة التى طالعتنى فى القرية وأن أذكر دواما جمال الريف وسكونه وفتنته ، حتى أحن إلى زيارته ، ثم تفرست فى وجهى ، وأحسبها لمحت فى عيني صورة الألم الدفين فأشاحت بوجهها ثم قالت وكأنها تحدث نفسها : ستشغلين عنا وسنشغل بك ! متى العودة ؟ هل أطلب محالا إذا سألتك أن تنسى شقائى وشقاء الريف وألا تدعى تلك الذكرى تفسدك علينا وتفسد عليك حياتك ؟ وتحرك القطار وهو يلهث فى حشرة بطيئة ، وظلت هى تشير بيديها إلى أن ابتلعها الظلام ، وبذلت مجهوداً جباراً لأنسى القرية فلم أوفق ، كانت الصور التى شاهدتها هناك ، تتابع سراعا أمام مخيلتى ، متلاحقة مترنحة ، مستبدة بأفكارى .

ويح الفتاة التعسة ! إن كبرياءها تخفى الكثير من الألم  
العساف وإن لها جلدًا عجيباً ، كان أبوها يملك ثلاثة أفدنة  
يوم بنى بأمها ، وأحاطت به ظروف عصيبة كفيلة بابتلاع  
عشرة أفدنة وعشرين ولكنه ظل محتفظاً بها حتى اليوم ،  
بعد أن كلفه ذلك ثمنًا غالياً . واليوم ؟ لقد أصبح رب عائلة  
كبيرة فله ابنته الشابة وابنه المراهق ، وثلاثة أطفال ، وقد  
مات أخوه ولم يخلف شيئاً إلا زوجة حزينة محطمة وأربعة  
أولاد أذلهم اليتيم والفقر ، والرجل يعول هؤلاء وهؤلاء  
يأفدنته الثلاثة .

وتلك مسألة المسائل في الريف اليوم ، فالأراضي  
الزراعية في مصر لا تزدد ، بينما يزداد عدد السكان في  
سرعة عجيبة . ومصر التي تبلغ مساحتها حوالى مليون  
كيلومتر مربع لا يصلح للزراعة منها إلا « ٣٢٠٠٠ ك  
م م » أو أقل من  $\frac{1}{10}$  من المساحة الكلية ، وهذا الجزء الصالح  
للزراعة يسد حاجة عدد محدود من السكان ، ويزدحم  
بالسكان إلى حد كبير ، فأكثر من  $\frac{99}{100}$  منهم يسكنون  
في الأراضي الزراعية المحدودة والموزعة في الوادى والدلتا .  
ثم إن هذه الآلاف المحدودة من الكيلومترات



المربعة الصالحة للزراعة ، موزعة بين الأفراد توزيعاً عجيباً ، فعدد الذين يملكون من عشرين فداناً إلى مائة ومائتين قليل في حكم النادر ، بينما يتضخم عدد كبار الملاك الذين يملك الواحد منهم أقل من مائتي فدان إلى عدة آلاف ، تضخمها هائلا لا يشبهه في الكثرة إلا عدد صغار المزارعين البؤساء ، الذين يملك الواحد منهم أقل من خمسة أفدنة ، وأحسب أن ضخامة عدد كبار الملاك توهم البعض منا بأننا قوم أثرياء ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، ففي هذا التقسيم دلالة على فقد التوازن في تملك الأرض الزراعية ، وعلى أن العدد الضخم الذي يعبت بالنضار ويتراكم المال لديه إلى حد الحيرة في كيفية إنفاقه ، يقابله عدد ضخم كذلك ، لا يكاد يجد الكسرة من الخبز يتبلغ بها .

وفئة صغار الملاك تسير إلى نهاية أليمة ، إذا لم يوفق أولو الأمر إلى إيجاد حل حاسم عاجل ينقذها . . . إن الموظفين المصريين مثلاً ، ينعمون بحياة مترفة إذا قيست بحياة الفلاحين الأشقياء ، ومع هذا نحن نصغى دواماً إلى صيحات عالية ، يشكون بها من إطالة فترة العلاوات ، نصغى إلى شكواهم وهم يتساءلون كيف يسير المرتب سيراً بطيئاً

وأسرة الموظف تزداد فتكثر مطالبها ؟ بينما تنبعث من  
الريف صيحات خافتة لاهثة ، ترسلها حناجر منهوكة  
أضعفها المرض وذهب بقوتها الشقاء ، تتساءل هي الأخرى  
كيف يعول الرجل أسرة يزداد أفرادها كل عام بالزواج  
والتناسل ، بقطعة أرض لا تزيد إن لم تنقص ؟ تنبعث هذه  
الصرخات خافتة ولكنها لاتصل إلى آذاننا ، إما لأننا عنها  
فى شغل ، وإما لأنها لا تملك من الوسائل ما يساعدنا على  
إبلاغ صرخاتها إلى الرأى العام ، قوية عالية ، فيها قوة  
الحق ومرارة الاحتجاج ، ودوى الشقاء .

\*\*\*

لم تعد الأرض مصدر ربح لصغار المزارعين ، كما  
اعترف بذلك سعادة وزير المالية القائم على ثروة البلد ،  
والفلاح اليوم يدفع الضرائب التى كان يدفعها منذ أكثر  
من ثلاثين عاماً ، ولا يزال يسرى عليه الأمر العالى الذى  
وضع فئات الضرائب على أساس ٢٨٠٦٤ / من قيمة  
الإيجار المقدرة بمعرفة لجان شكلت خصيصاً لهذا الغرض  
فى عامى ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ لا بمعرفة لجان مركزية تشكل



في كل عام ، وتقدر الإيجار تبعاً للزمان والمكان . وفي  
القرية يحيا المزارع حياة أليمة لا تساعد على كثرة الإنتاج  
أو على الاحتفاظ بمستوى إنتاجه العادي ، وتفترسه  
الأمراض ، وتلتهم الآفات الزراعية ثروته ، فإذا استطاع  
بعد هذا كله أن يخلص بأرضه من براثن الأزمة ، وأنياب  
المرايين ، فذلك مجهود جبار نقنع به منه وتلك نتيجة سارة  
يشكرها هو لله جل شأنه .

وفي هذا جواب لمن يتساءل كيف لا تزداد ثروة  
الفلاح بعمله وباستغلالها . اطلبوا الماء من الحجر الصلد  
واسألوا الجبل أن ينتقل من مكانه ، ولكن لا تسألوا  
الفلاح أن ينمي ثروته . إن الضرائب تبتلع نصف إنتاجه  
وتمن المحصولات في تدهور مستمر ، والفلاح بشر ،  
ولا حتماله حد معقول لا يتعداه . هذا الحد أشبه بما يعرف  
في علم الطبيعة بدرجة نهاية الضغط ، حيث تنهشم الأجسام  
عندها مهما عظمت صلابتها . والفلاح المصري كما يقول  
سعادة وزير الزراعة « وهب صبرا على العمل وقناعة في  
المطالب ، وبساطة في العيش » ولكنه لم يوهب قوة فوق  
البشرية . فحسبنا منه إذن أن يحافظ على ملكيته الصغيرة

أما أن نعجب لعدم نمائها . فاسألوا عن ذلك حياة الفلاح ..  
ولكن لا تسألوا الفلاح !

ونحن نحيا في بلاد تزدحم بالسكان إلى حد التخمّة ،  
وتكاد تضيق بنا لولا رحمة الله ! والفلاح يتزوج ، ويفعل  
ذلك مبكراً لايعوقه عن الزواج فقره وعوزه مهما اشتدا ،  
والقرية لا تعرف شيئاً اسمه أزمة الزواج ، فيكفي لصدّق  
الفتاة ما يمكنها من شراء لوازمها الضرورية المتواضعة ،  
ويكفي لتأثيث البيت صندوق خشبي للملابس ، وحشية من  
القطن نادراً ، ومن قش الأرض حيناً ، وقطعة من الحصير  
أحياناً ثم عدد قليل من الأوعية النحاسية تدخرها الفتاة قبل  
أن تتزوج .

والفلاح يرغب من النسل ، لا يزهده فيه عوز ولا  
فاقة ، ولا يرغبه عنه جوع واحتياج . ولست تدري السر  
في ذلك ! قد يكون لأن عيشه بلغ من الضعة حداً لا يمكن  
تجاوزه ، فوجود الأولاد لن يزيد في شقاء عيش هو غاية  
الشقاء ، أو كما يقول الشاعر :

ولو أنى استزدتك فوق ما بي

من البلوى لأعجزك المزيد ..



ولو عرضت على الموتى حياة

بعيش مثل عيشى لم يريدوا .

وقد يكون لأن الفلاح يحيا على الفطرة ويؤمن بالله ،  
ويثق فى أن خالق الطفل كفيل برزقه ، وأن المولى عز  
وجل أرحم بالولد من أبيه وأمه .

وفى سرعة عظيمة يزداد عدد سكان القطر المصرى ،  
ولسوف يزد من هذه السرعة ارتقاؤنا فى الشؤون الصحية ،  
والنقص الظاهر فى الوفيات تبعاً لذلك ، ويقابله دون شك  
زيادة فى المواليد ، ولو كانت هذه الزيادة ناشئة من ازدياد  
الأسر الغنية الموفرة الرزق لما قابلناها إلا بالغبطة والحمد ،  
ولكن الأغنياء فى مصر هم المتعلمون فى الغالب ، ولهم من  
مالهم وعلهم ما يجعلهم يتحكمون فى عدد الأولاد إلى حد  
ما ، وأغلب الشبان المترفين لا يعرفون الزواج المبكر ،  
حيث تلهيهم عنه ثروتهم التى تفتح لهم أبواباً من اللهو والمتعة  
لاحظ للفقر فيها ، بينما الأسر الفقيرة تزداد ويزداد فقرها  
وكل زيادة فى عدد سكان البلاد هى زيادة فى عدد مواطنينا  
الفقراء .

وانى لألمح شبح العاصفة فى نهاية الأفق يقترب فى بطء .

ولكن بالتأكيد ، فهل نلهو عن الخطر كعادتنا حتى نصبح ونمسي فإذا بمصر تضيق بسكانها ، أم ماذا أعددنا لهذا الغد الخطير ؟

ليس لمصر مستعمرات حتى يجد أبنائها مكانا لعيشهم ، وحتى السودان الشقيق ابتلغته السياسة الانجليزية في جوفها ، وتمخضت لنا عن نظام هو أعجوبة الأنظمة في القرن العشرين . فرضت علينا أتاوة ندفعها سنويا للحكومة السودان ، كأنما هي الجزية التي كانت الأمم المغلوبة على أمرها تدفعها للدولة الحاكمة الغالبة ، ويبقى لنا بعد هذا كله ، قطعة واحدة من الأرض يحدها البحر الأبيض المتوسط شمالا والسودان جنوبا والبحر الأحمر شرقا والصحراء غربا ، وفي هذه القطعة سكن أبناء مصر في أوائل القرن التاسع عشر حين كان عددهم مليونين ، وفيها سكنوا في أواخر ذلك القرن حين كان عددهم لا يتجاوز سبعة ملايين ، وفيها سكنوا في الربع الأول من القرن العشرين حين كان عددهم اثني عشر مليونا ، وهم يسكنون فيها الآن بينما يتجاوز عددهم ستة عشر مليونا ، وفي تلك الحالات كانوا يستغلون المزرعة المعروفة ، التي لا تنمو إلا ببطء عجيب . فهل سيستغلون القطعة نفسها



حين يصبح عددهم عشرين مليوناً في القريب وثلاثين أيضاً؟  
أنا أضع الآن أرقاماً رسمية توضح مقياس زيادة  
السكان ، التي تكاد تتضاعف في فترات متقاربة ، كما حدث  
في سنة ١٨٤٦ حين زاد عدد السكان بقدر الضعف في  
ربع قرن ، ولمصلحة الصحة برنامج صحي للمستقبل ، لا أشك  
في أنه سيجعل الزيادة أكثر إسرافاً وسرعة ، وهذه الأرقام  
وحددها تدعو الى التأمل وتقتضى منا اليقظة :

| عام  | عدد السكان | مصدر الإحصاء       |
|------|------------|--------------------|
| ١٨٠٠ | ٢٠٠ ر ٢٤٦٠ | من الحملة الفرنسية |
| ١٨٢١ | ٤٠٠ ر ٥٣٦  | من كشوف الضرائب    |
| ١٨٤٦ | ٤٤٠ ر ٤٧٦  | من تعداد المساكن   |
| ١٨٨٢ | ١٣١ ر ٨٣١  | من تعداد الأفراد   |
| ١٨٩٧ | ٤٠٥ ر ٧٣٤  | من تعداد الأفراد   |
| ١٩٠٧ | ٣٥٩ ر ٢٨٧  | من تعداد الأفراد   |
| ١٩١٧ | ٩١٨ ر ٣٥٠  | من تعداد الأفراد   |
| ١٩٢٧ | ٨٦٤ ر ٢١٧  | من تعداد الأفراد   |
|      |            | (الإحصاء الأخير)   |

## سُرُوة مسمومة

طال حديثي عن الريف ولكن ما حيلتي؟ كلما حاولت الصمت التماسا لتهدئة ذهني المسكود ، شعرت بأنني إنما أطفئ النار بالزيت . وأقسم غير حاشة ، أنني يوم ذهبت إلى الريف لم أكن أنوي أن أكتب حرفا واحدا لأن الطبيب أمرني ألا آخذ معي كتابا واحدا ، وأن أنقذ نفسي من أكداس الكتب وضوضاء المدن ، ولكن كل ساعة قضيتها في القرية ، وكل دقيقة ، كان لها حديثها وشقاؤها ، وأثرها البعيد القرار في نفسي ، وكانت كل خطوة في أرض القرية ، تنكشف لي عن شقاء أليم يصعب تصوره . ولقد أفلح الطبيب وأفلحت أمي في الحيلولة بيني وبين الكتب ، ولكنهما عجزا عن شل ملكة التفكير في دماغي ، وسلب قوة الابصار من عيني ! كان يجب أن أكون ساذجة عمياء حتى لا أفكر ولا أرى ، أما وقد كنت غيرهما ، فقد رأيت وما أهول ما رأيت ! كنت أشهد شقاء القرويين ، وأنا



صامته مكتوفة اليدين ، ثم ما كدت أعود إلى المدينة حتى شعرت بالأفكار تزدحم في رأسي وتشقيني وتريد انفجارا ففزعنت إلى قلبي ، أحاول أن أنفث فيه بعض الآلام المتجمعة في رأسي ، وأن أخفف به شيئا من الضغط الهائل الذي أشعر به جاثما على صدري وفي دماغي .

\*\*\*

مساحة القرية : ٣٥٤ فدانا .

عدد السكان : ٦١٣ نسمة .

عدد المزارعين وأفراد عائلاتهم : ٥١٣٢ نسمة .

المتوسط بالنسبة للمزارعين ١٤ نسمة لكل فدان تقريبا .

لم أكد أشهد هذه الأرقام حتى زالت دهشتي من فقر

قوم يمشون على أرض من الذهب ؛ أربع عشرة نسمة

يأكلون ويكتسبون ويدفعون الضرائب ويطعمون

حيواناتهم بربع فدان واحد ؛ إن الفدان يؤجر هناك بثمانية

جنيهات ، يدفع الفلاح منها ١٦٤ قرشا ضريبة أطيان

وتسعة عشر قرشا ضريبة لمجلس المديرية ( ١٢ ٪ من ضريبة

الأطيان ) وثلاثة وثلاثين قرشا ضريبة للخفر ، ويبقى بعد

هذا كله مبلغ يزيد قليلا عن خمسة جنيهات ونصف . أمن

السهل أن يتصور أحدهنا إمكان كفاية ذلك المبلغ التافه ،  
لمطالب شخص واحد عاما طويلا ؟ كلا بالتأكيد ، ولكن  
من السهل أن ندرك جميعا إلى أية درجة انحط عيش الفلاح  
ما دام ذلك المبلغ هو قوام حياة أربعة عشر نفرا !  
وفي الغد ؟ سيزداد عدد سكان القرية دون شك ،  
وستبقى مساحة القرية كما هي دون أقل ارتياب ، فمن لى  
بعقل آخر أتصور به إمكان حياة الفلاحين فى ذلك الغد  
القريب ؟

لقد بينت فى كلمتى السابقة كيف يتضخم عدد السكان  
فى سرعة غريبة ، وكيف يزداد عدد مواطنينا الفقراء  
بازدياد عدد سكان القطر ، لأن الفقراء والفلاحين هم  
أسرع المصريين تكاثرا ، وأبعدهم عن فكريتى الزواج  
المتأخر وتحديد النسل ، كما بينت أنه بينما تزدحم الأراضى  
الزراعية فى الوادى والدلتا ازدحاما لا طاقة لهما بأكثر  
منه ، توجد أراض أخرى فى مصر أيضا ، لا تكاد نسبة  
عدد السكان فيها تبلغ نسمة واحدة لكل ثلاثة عشر كيلو  
مترا مربعا .

ليست المسألة مسألة الأرض التى نحيا فوقها ، وإنما



يمكن الخطر في الأرض الصالحة للإنتاج، فالقرية التي تسكنها مائة أسرة وفيها مائتا فدان مثلاً، ستبقى كذلك حتماً من حيث المساحة، حين يزداد عدد الأسر إلى مائتين. ترى هل يحتمل الفلاح شقاء أقصى مما يتخبط فيه الآن؟ ونحن لا نملك حيال هذه السرعة العجيبة إلا أحد حلول ثلاثة، أولها تحديد النسل حتى نحفظ النسبة بين عدد السكان، وبين الأرض الصالحة للإنتاج، فنحفظ التوازن بين حاجة الاستهلاك والكمية المعروضة له، وثانيها استغلال ثروتنا غير الزراعية، لأن سياسة الاقتصار على استغلال الثروة الزراعية لم تعد صالحة للتنافس في عصرنا الحافل بالاضطراب، وإن تقوى مصر بها على الكفاح في المحيط الاقتصادي العالمي المضطرب، وثالثها إصلاح الأراضي البور حتى نجد منفذاً لتضخم عدد السكان وحتى يكفي الإنتاج لسد حاجة المستهلكين الآخذ عددهم يقينا في الازدياد.

\*\*\*

فأما تحديد النسل فلا سبيل إلى البحث فيه، لأن هذه المسألة تتصل اتصالاً وثيقاً بالناحية الدينية، ولأن

الفلاح كما قلت يرغب في النسل ، ولا يزهده فيه عوز ولا فقر ، لثقته في الله عز وجل من ناحية ، ولا انحطاط مستوى معيشته ، انحطاطاً كلياً من ناحية أخرى . على أن تحديد النسل لا يخلو من خطر ، من حيث الناحية الاجتماعية ، فليس من المعقول أن تتقدم بنا الأيام وعددنا لا يتغير ولا يزداد . ثم إن الأمم التي أخذ أبناءها بهذا المبدأ ، عادت حكوماتها تجار بالشكوى من قلة النسل ، كأنما هي تخشى الانقراض . وفي إيطاليا قانون يمنح الأسرة إعانة كلما ازداد عدد أفرادها بالتناسل ، وينظر إلى رب العائلة نظرة خاصة في الوظائف وأجور المساكن ، وفي ألمانيا قضى هتلر بأن تمنح العاملة إعانة لتتزوج وتترك عملها ، ولها أن تحل خطيبتها العاطل محلها ، ولها أن تؤثت بيتها على أن يدفع الثمن أقساطاً متباعدة معقولة ، لا تشعر بضيق أو إرهاق ، وقد يبدو هذا كعلاج للبطالة ، ذلك حق ، ولكنه في صميمه تشجيع لإنشاء الأسر الجديدة ، وازدياد عدد الأفراد .

وفي فرنسا تمنح الأم إعانة معينة إذا بلغ عدد أولادها حداً معيناً ثم يزداد مقدار الإعانة بازدياد عدد الأولاد .



ونحن أمة تجتاز الآن فترة انتقال حافلة بالقلق والاضطراب ، وعلى كتفها أعباء ثقال من أثر الجهاد في سبيل الحياة منذ عهد البطالسة حتى مارس سنة ١٩٢٢ ، وفي سبيل الحرية والاستقلال غير المزيف حتى اليوم والغد . ولا بد لها في هذا الجهاد من قوة معنوية تستمدّها من أبنائها . وقد يكون من الجناية عليها منع التكاثر في الأولاد .

\*\*\*

أما استغلال ثروة مصر غير الزراعية فلست أقصد بها مجرد الاهتمام بالصناعة والتجارة ، وإنما يجب أن يتعداهما إلى الثروة المعدنية والحيوانية ، ومصر غنية بهما إلى حد يجهله الكثيرون . إن ارتفاع سعر الذهب حالياً فرصة يجب ألا ندعها تفلت من أيدينا ، فنناجم الذهب في الصحراء الشرقية أهمل استغلالها لعظم النفقات لا للشك في وجود الذهب بها . وتلك العقبة لم يعد لها أثر منذ ارتفاع سعر الذهب ، والأمر لا يحتاج إلا إلى شيء من العزيمة والمثابرة ، ثم إن الأبحاث التي ساهمت فيها مصلحة المناجم

والمحاجر ، أثبتت وجود خامات الزنك والرصاص بالقرب من القصير ، ويتراكم حجر الزبرجد في البحر الأحمر إلى درجة كبيرة ، وحجر الزمرد جنوب القصير ، هذا إلى وفرة البترول والأحجار في مصر .

فأما الثروة الحيوانية ، فيكفي دليلاً صادقاً على إهمالنا إياها كوننا نستورد سنوياً من الأغنام ١١٠٠٠ رأس ثمنها ١٠٠٠٠ ج م ومن الجبن ٢٤٠٠ طن ثمنها ٢٠٨٠٠٠ ج م ، ومن الأسماك المملحة والمحفوظة ٧٢٧ طن ثمنها ٢٠٨٠٠٠ ج م ، بينما تملك مصر من الماشية عدداً ضخماً يكفي لتوفير تلك المبالغ الطائلة لو أحسن استغلاله ، ففي إحصاء وزارة الزراعة لسنة ١٩٣٤ ما يأتي :

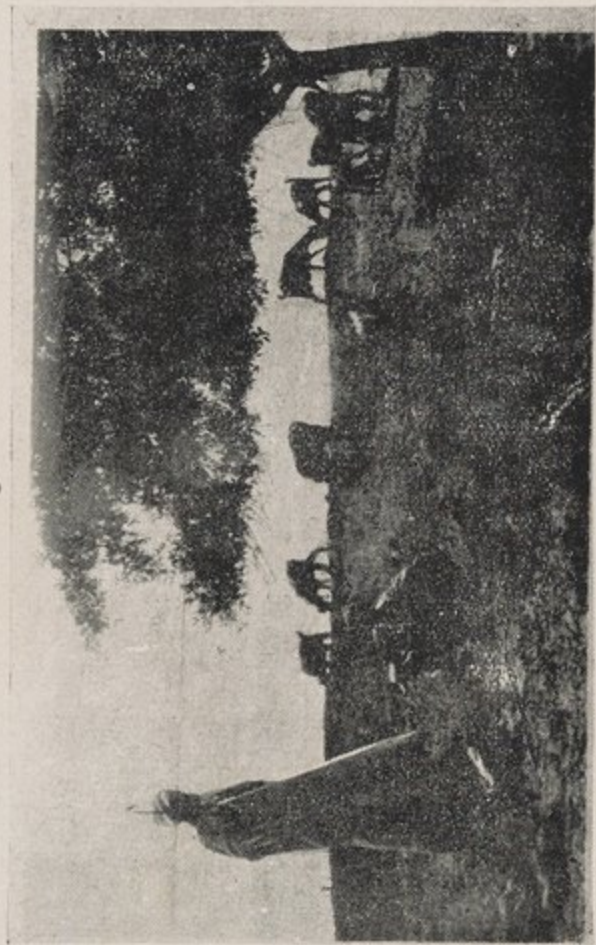
٢٩٢٠٣٤ ثوراً و ٦٣٢١٧٤ بقرة فتكون الجملة ٩٢٤٢٠٨ رأساً .

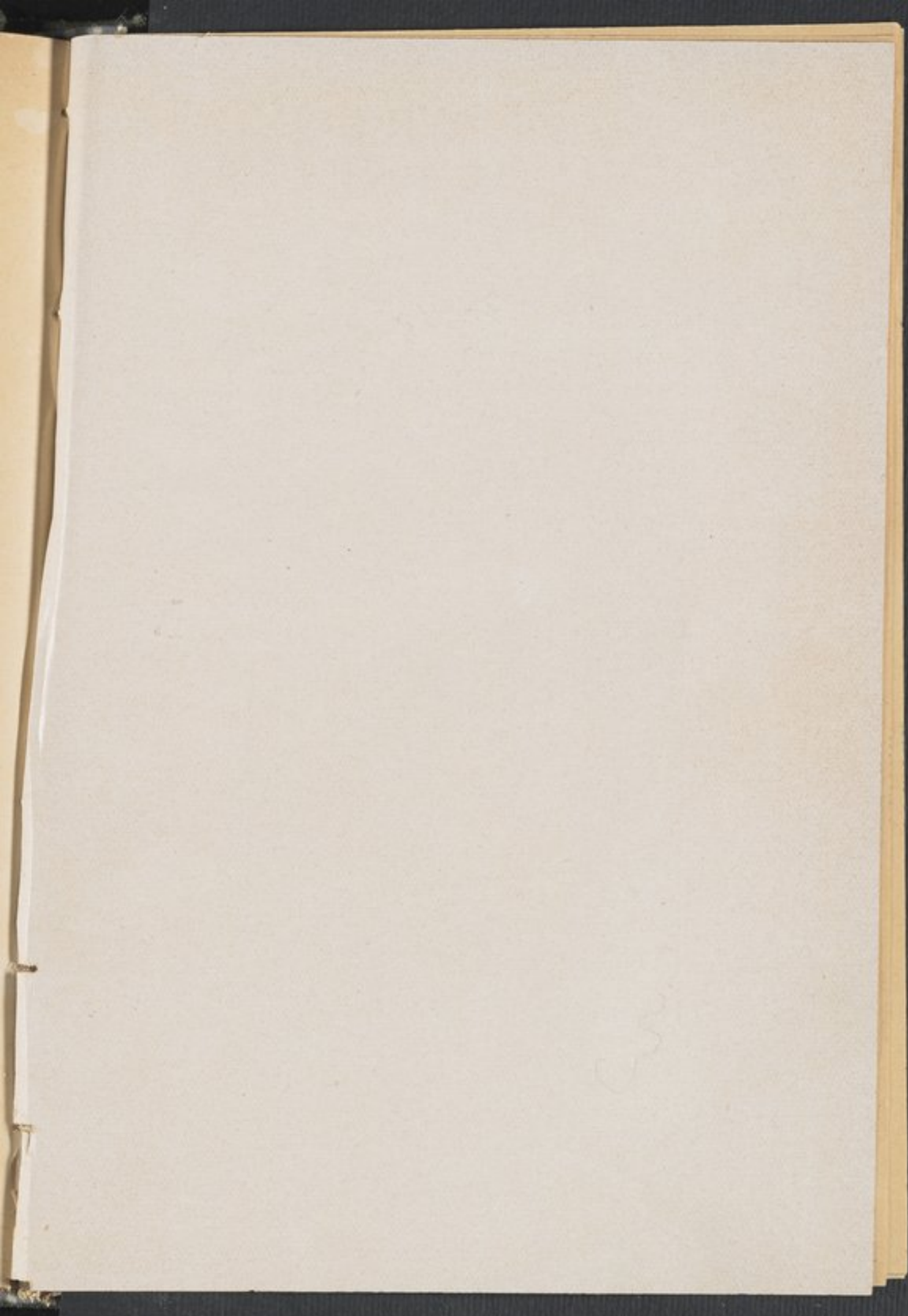
و ٤٣٠٨٣ ذكر جاموس و ٨٤٤٤٩٣ جاموسة فتكون الجملة ٨٨٧٥٦٦ رأساً .

و ٢٧٣٣٣٧ خروفا و ١١٣٤٣٠٣ شاة فتكون الجملة ١٤٠٨٧٤٠ رأساً .



السراعي







و ١٨٠١٣٤ جديا و ٥٠٨٢٢٧ عنزة فتكون الجملة  
٦٨٨٣٦١ رأسا .

وهذه الأرقام تشير إلى أنه قد آن الأوان للاهتمام  
بصناعة منتجات الألبان ، كصناعة رئيسية مضمونة الربح  
موفورة الخامات ، ثم إن الأسماك تتراكم في النيل والمياه  
البحرية ، وفي البحيرات المصرية ، وقد شاهدت بعيني  
رأسى أكواما من السردين في بورسعيد ، لا تجد من  
يشتريها ولو بأبخس الأثمان ، والسردين المصري كما صرح  
سعادة خيرى باشا لا يقل جودة وصلاحيه للحفظ ، عن  
الأنواع الأجنبية ، ويبقى لى بعد هذا كله أن أصرح فى  
حق و يقين ، أن للأجانب بعض الحق إذا « استغفلونا »  
واحتلوا أسواقنا الاقتصادية ، مادمننا نهمل موارد الثروة  
العجيبة فى بلادنا ، وإلا فقيم الشكوى من الفقر ، وموارد  
الثروة لدينا مفرطة شاذة ؟ وفيه سكوتنا عن استغلال الثروة  
السكامة فى كل شبر من أرض مصر ومياهاها ؟

لقد طال علينا الأمد ونحن نتغنى بمصر الزراعية ،  
ويبدو لى أن تلك الفكرة قد دعتنا إلى الاستكانة ، وحببت  
إلينا الدعة والسكون ، ولكن ها هو ذا الفلاح المصرى

يد مصر العاملة ، لم يعد فيه شيء من القوة يعينه على القيام  
بحاجة ملايين المصريين ، حياته البائسة الشقية قد استنزفت  
كل ما فيه من قوة ، وهى فى طريقها إلى التهام ما احتازه من  
جلد واصطبار ، وهامى ذى الأراضى الزراعية تضيق  
بسكانها اليوم ، وسيشتد ضيقها غدا ، أفما آن لنا أن نفسح  
المجال لصناعتنا المصرية كي تأخذ نصيبها من الحياة ، وتظفر  
بمكانها اللائق ؟

إن لبنك مصر من المجهود الجبار فى إحياء بعض  
الصناعات ، ما يكفل ملء شيء من الفراغ العظيم فى نهضة  
مصر الصناعية ، ولكن هناك بعض الصناعات التى تقوم  
على غير المنتجات الزراعية ، ولا تنال حقها من الرعاية  
والاهتمام ، ولست أشك فى أن قليلا منهما ، كفيل بأن يبق  
فى جيوب المصريين مبلغ ٥٠٦٣٤ ج م متوسط قيمة  
الوارد من الأثاث سنويا . ومبلغ ٧٤٠٠٠ ج م ثمن  
ما نستورده من الأحذية . ومبلغ ١٥٣٠٠٠ ج م ثمن  
ما نستورده من الصابون المنزلى العادى . ويحضرنى فى تلك  
اللحظة ، حقيقة مؤلمة ذكرها حضرة الرجل المصلح فؤاد أباطة  
بك عن دمياط الصناعية ، عند افتتاح المعرض العام ١٩٣٠



حقيقة لا تزال تترك في قلبي أثرا داميا كلما ذكرتها - وقليلًا ما انسأها - أكد ما معناه أن الأحذية المحلية تفوق الأجنبية جودة ومتانة، ولكنها لا تروج لأن بعض الأغنياء المولعين بالظهور الزائف، يفتخرون بلبس الحذاء الأجنبي، ويرون أن أحذية الشاذلي والرفاعي مثلاً - هما صاحباً مصنعين للأحذية بدمياط - لا تأتلف مع أقدامهم الأنيقة الرشيقة، وقد رأى بعينه أحذية مصرية، مصنوعة في دمياط، تنزع بطاقتها الداخلية ليكتب عليها زورا وبهتانا أنها مصنوعة في خارج مصر. وكل ما أرجوه أن يكون المصريون قد أدركوا الآن واجبه نحو أمتهم، وأن من غير المعقول أن تنهض صناعتنا، دون عطفنا وتشجيعنا ولو اقتضى ذلك منا بعض التضحية.

والأثاث المصري أصبح يضارع الأثاث الأوربي، ويمتاز عنه برخص الثمن. ولم يعد ينقصه إلا الكثير من اهتمامنا وتشجيعنا.

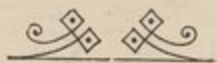
\*\*\*

والحل الثالث والأخير لمشكلة ازدياد السكان، هو

إصلاح الأراضي البور . إن في شمال الدلتا وحده ،  
مساحات واسعة من الأراضي البور تبلغ مساحتها نحو  
مليون فدان ، موزعة في مديريات الدقهلية والغربية والبحيرة ،  
وهي لا تستغل ولا تنتج ولا تخفف شيئاً من ضغط السكان  
في الأراضي الزراعية . وإلى هذه الأراضي يجب أن نتجه  
بأنظارنا ، وأن نهتم بها كمنفذ للزيادة المطردة في عدد السكان .  
لدينا الآن مئات من متخرجي مدارس الزراعة ينتظرون  
عملاً ، وتحشد في أدمغتهم نظريات عملية يودون لو تتاح  
لهم الفرصة لتحقيقها عملياً . ولدينا مئات الآلاف من  
القرويين ، يريدون العيش ومن واجبنا أن نمهده لهم ،  
وينتظرونا في الغد ملايين من المصريين يريدون مكاناً جديداً  
ومنتجات أخرى ، ولئن أقعد الحكومة عن الإسراع  
في إصلاح تلك الأراضي كلها قلة المال ، ومشاكل السياسة  
الداخلية والخارجية ، فإن الجمعية الزراعية الملكية ذات  
الآثر المشهود في حياتنا الزراعية ، ترحب بالعمل ، وقد  
عرضت فعلاً على أولى الأمر ، أن تمنحها الحكومة من  
عشرين ألفاً إلى أربعين ألف فدان ، لتصلحها الجمعية بمعرفتها



وعلى نفقتها وبإشرافها ، وعرض خريجو مدارس الزراعة  
مثل هذا الطلب على الحكومة ، فلو تعاونت الهيئات  
الثلاث - الحكومة والجمعية وخريجو الزراعة - على إصلاح  
تلك الأراضي التي لا نستفيد منها شيئاً ، لصارت في القريب  
العاجل أراضى زراعية يدفع أصحابها الضرائب للحكومة ،  
وينتجون القطن وهو أكسير الحياة الذهبي للخزينة المصرية ،  
وقد تكون النتيجة إصلاح حال الفلاح الذي يهيم في ظلمات  
الجوع والعوز والشقاء .



## ترف بالغ وسقاء ألميم

ما أقسى شعور الشقي بمرور لحظات السعادة القصيرة التي تلوح في حياته التعسة كالبرق يلمع لحظة في السماء المظلمة ثم يتلاشى ! ولشد ما يعذبه شعوره بها وهي تمر سراعا بخلفة له مرارة الذكرى ولوعة الحنين !

لقد قضيت لحظات هادئة سعيدة في بهتيم ، وهناك بين الفلاحات السعيدات كنت أنظر إلى ساعتي في حركة عصبية مؤلمة ، وكنت أود لو أوقف عقربها حتى لا تشعرني دقائقها بأن الزمن يلتهم في جوفه لحظات الهدوء والسعادة التي نعمت بها هناك ، لولا على أن ساعة الحياة تسير في انتظام ، غير مكترثة بآلامنا وآمالنا إلا بقدر ما تكترث الرياح بذرات الغبار المتطايرة في الفضاء ! ومرت الساعات وعدت إلى المدينة ، ولكن ظلت لي غيبوبة الحلم !

وانتزعنتي من أحلامي رسالة قصيرة من الأنسة « م . أحمد بالحويتية » حملها إلى بريد الأهرام الغراء صباح اليوم الثاني من سبتمبر ، كان كل ما فيها « لن تبخلى علينا بلحظات



قصيرة تقضيها في قرينتنا الحوتية على مسير ثلث ساعة من  
كوبرى الزمالك . نريد أن نراك وأن نلمس في وجهك  
نظرة العطف التي يفيض به حديثك عن الريف ، ونريد  
أن نبكى بين يديك وأن نريك بؤسنا ، لا لتتقدينا منه ولكن  
لنشعر بعزاء الرحمة والحنان »

وساقتني قدماى إلى هناك ، رغم يقيني أنتى إنما أسير إلى  
البؤس والشقاء . لم يكن فى استطاعتى أن أصم أذنى عن  
النداء المتهلف الحار الذى فى سطور خطاب الأخت الفلاحة .  
قضيت فيها ساعة واحدة ، وكأنا كانت وحدها عمراً  
كاملاً من الشقاء ! لقد أثر فى قلبى ترحيب القرية بى وأهلانى  
كرم لقاء أهلها عن التطلع إلى أجسامهم الهزيلة الشاحبة ،  
ولكنى لم أكّد أتجول فى القرية ، وأشهد نوع الحياة الوضيعة  
الذليلة التى يحيونها حتى شعرت برغبة فى البكاء ! وحتى  
أيقنت أن من المحال أن تنهض مصر ، وفى جسمها تلك  
الأعضاء المريضة التعسة !

\*\*\*

فلنعترف بريائنا !

إن فى الكثير من أعمال الإصلاح شيئاً من الرياء ،  
وتلك حقيقة يجب الاعتراف بها رغم مرارتها ، ذلك لأن

الباحث المدقق حين يقرب المجهر من بعض المشروعات  
الإصلاحية الهامة ، يرى أنها لم تكن خالصة لوجه الإصلاح  
المحض ، وإنما قصد منها نوع من الغرور والتظاهر الزائف ؛  
ونحن في حاجة إلى عيون نفاذة بصيرة تخترق ستار  
الرياء الذى يلف الشقاء المنحط السكامن فى صميم مصر ،  
وتتخطى المدن الجميلة المزوقة إلى القرى التى أصبحت وكأنها  
تحمل العوامل الهدامة فى نهضة مصر بعد أن كان تاريخ مصر  
كما قال حضرة الأستاذ حسين عنان السكرتير العام لوزارة  
الزراعة « يكاد يكون جهاداً فى استثمار الأرض ، فقد أقام  
الشعب المصرى مجده على أسنة الفئوس »

ولست أجد وصفاً أبلغ فى الدلالة على حالنا من البيت  
الكبير ، يروك ما على جداره الخارجى من نقوش ورواء ،  
حتى إذا ما تغلغلت فيه طالعك منه بناء خرب مهدم ، تتصاعد  
منه رائحة نتنه عفنة ، وتحتل الحشرات ضيافة منه .

هذه المباني الفخمة التى تملأ المدن والتى شيد أكثرها  
أغنياء فروا بأموالهم من سكنى الريف القذر ، وتلك الطرق  
النظيفة الممهدة ، والمدارس المنبثة فى كل حي من أحياء  
المدن ، والمستشفيات الكثيرة التى تسهر على صحة السكان ،



هذه الأشياء وأمثالها ما كان أصدقها في الدلالة على نهضتنا  
لولا أن وراءها قرى يحيا فيها ملايين المصريين ، حياة  
لا يشرق فيها شعاع واحد من أشعة الإصلاح والاهتمام ،  
حياة شقية أليمة مريضة ما أشك في أنها ستبث سمومها في  
المدن كما يقتل الجسم عضو واحد مريض !

هذه المشروعات الإصلاحية ما كان أجدرها باسم  
النهضة لولا أنها طلاء مزوق لبیت خرب مهدم !

وبعد هذا يخذعنا ويطربنا إطرء الأجانب حين يهدئون  
شهوة غرورنا ويؤكدون لنا أن مصر صارت حقا قطعة من  
أوروبا ؟

أقول الآن - وأنا أعنى ما أقول - أنهم يسخرون منا  
ويتفكّهون بنا ، وإلا فما هذه المساخر والأكاذيب ، التي  
يفترها كبار الكتاب الغربيين على مصر وأبنائها في كبريات  
صحفهم ومجلاتهم ؟ وفيم تشبّثهم بالتهامنا ما داموا يعترفون  
بمدنيتنا الأوربية ؟ وهل ترى يغنيننا هذا الاعتراف يوم  
نطالب جديا بحقوقنا وحين تريد هم أهواؤهم على إنكار  
ما أكدوه من قبل ؟

إن المؤرخ المحقق ، حين يهيمه أن يسجل لمصر نهضتها ،

لن يكتفى بالنماذج التي نقدمها له ممثلة في المدن ، وإنما سيدتجول في نواح أخرى غير هذه المدن ، ليشهد من شقاء الفلاح وانحطاط مستوى معيشته ، ما نحاول دائما أن نتغافله وتناساه ، كيلا يشوه علينا ترفنا ونعيمنا ! ومثله في ذلك مثل المفتش الماهر حين يفاجئ المدرسة بزيارته ليرى جهودها في التعليم ويحكم لها أو عليها ، فهو يتغافل عن نماذج « الكراسات » التي يجتهد المعلمون في اختيارها ، ليجتهد في كراسات يطلبها بنفسه من التلاميذ !

والأجنبي ، حين يهمله أن يقف على حال مصر لغرض في نفسه ، أو لمجرد المتعة ، أو لمحض الاطلاع ، أترى يشرفنا عنده جمال المدن وبهاؤها حين ينتقل فجأة من القاهرة إلى شبرا البلد مثلا ، وكأنما يقذف به من النعيم إلى الجحيم ؟ أتراه لا يحتقر زيفنا ورياءنا حين يسير به ترام الهرم من الزمالك إلى الجيزة ، فيشهد عن يساره أنوار العائمات الساطعة تخترق الظلام متمزجة بضحكات أهل الثراء والنعيم بينما يرى عن يمينه قبيل « العجوزة » أكوأخا حقيرة واطئة لا يصلح أحدها لسكنى الحيوان ، وتضىء كلا منها ذبالة ضئيلة باهتة لا تقوى على اختراق الظلام ، بينما تختفي في



حيات الهواء أنات ضعيفة من أجسام منهوكة مريضة ، تتراكم  
في هذه الأكواخ وقد هدمها العوز وأذلها المرض والشقاء.

\*\*\*

بينما كان أعضاء المؤتمر الجغرافي الذي انعقد في القاهرة  
في إبريل سنة ١٩٢٥ يزورون القصير طبقاً لبرنامج الزهرة  
الذي أعدته لهم الحكومة المصرية ، أرادت آنسة بلجيكية  
في كثير من الإلحاح أن ترى « عزبة مصرية ؟ » ثم اختفت  
الآنسة وكأنما ابتلعها الأرض ؟ أين عثروا عليها بعد  
الجهد ؟ في قرية مصرية من القرى البائسة التي لا تشرفنا  
بالطبع وفي يديها آلة التصوير تلتقط بها مناظر شقية قدرة ،  
لا أقوام يتخبطون في ظلمات الفقر والمرض ، لتعود بها إلى  
بلادها وقومها وترتهم نماذج من حياة المصريين ! ولعلها  
تسيت أمام ذلك البؤس الآليم ، الصور الشيقة التي أعدها  
البرنامج ! ومن يدري ؟ ربما أصبحت هذه الصور وثائق  
في يد السياسة الغربية ، تقدمها دليلاً على انحطاطنا وقت  
الحاجة ، كتلك الصور التي يلوح بها موسوليني ، ويرى فيها  
مبرراً لإخراج الحبشة من عصبة الأمم ، حتى يخلو له الجو  
ولا يفسد احتجاج جنيف عليه لذته وهو يلتهم الفريسة  
في نهم واستمتاع ؟

لست أجهل أن نسبة الإصلاح لا يمكن أن توزع  
عادلة على جميع البقاع المصرية - وهي ليست كذلك في  
أوروبا - ولست أجهل ما لنظرية التفاوت في الثروة من  
أثر كبير في حفظ كيان المجتمع ، ولكنني أفهم أن التفاوت  
في الثروة ، ليس معناه أن يكون نصف الناس ملوكا ،  
ونصفهم شحاذين مثلاً ، كما أفهم أن صعوبة حفظ النسبة  
في توزيع الإصلاح ، ليس معناه أن ترفل المدن في ترف  
بالغ وتهيم القرى في شقاء أليم !

أصلحوا المدن ، ارتقوا بها إلى عظمة المدن الأوربية -  
لكن لا تنسوا القرى ومن في القرى !

اجعلوا المدن قطعة من صميم أوروبا كما تريدون ، ولكن  
على ألا يكون الفرق بينها وبين القرى ، فرق ما بين السماء  
والأرض !

لقد توهم البعض أنني أبتغي إنهاض الفلاح ، عن  
طريق رفع سعر الحاصلات الزراعية ، حتى يبقى له بعد  
دفع الضرائب وأجر السهادر والرى ، ما يمهده له حياة معقولة ،  
ولكنني لم أفكر في هذا ولن أفكر فيه ، ذلك لأن الأخذ  
بتلك النظرية الخاطئة - إن أمكن ذلك جدلاً - معناه القضاء



على ثروتنا ، واضطراب ميزانية الدولة ؛ لأن انخفاض سعر القطن مثلاً ، هو أكبر العوامل التي تمنحنا قوة المنافسة العالمية وتثبت أقدامنا في المحيط الاقتصادي المضطرب ، وقد أيد ذلك الرأي ، الأستاذ جون تود كبير خبراء القطن في إنجلترا فقال : « كان القطن المصرى يخشى عليه من مزاحمة أقطان السودان وبيرو وإفريقيا الشرقية ، ولكن الآن وقد أصبح القطن المصرى أرخص أقطان العالم نسبياً ، فقد بدأ يسترجع مكائته ، وأصبح ينافس الأصناف المتفوقة من القطن الأمريكى منافسة جدية » ، فإصلاح حال الفلاح عن طريق رفع الأسعار يكاد يكون مستحيل التنفيذ والفائدة .

إصلاح الفلاح يجب أن يقصد به تمكينه من زيادة الإنتاج ، ولن يتيسر له ذلك إلا إذا مهدنا له حياة صحية ممكنة ، وإلا إذا عملنا على تخفيض نفقات الإنتاج .

يقوم الفلاح المصرى بواجباته نحو الوطن كما لا يقوم بها سواه ، إنه يطيع القوانين ، ويدفع الضرائب الفادحة ، ويتقدم إلى الخدمة العسكرية دون أن تساعد ظروفه المادية العvisية ، على تمثيل مهزلة البذل النقدى ، الذى يعتبر وصمة

في جبين المصريين ، وهو بعد يعمل نهاره وليله في ملء  
أسواقنا بالخيرات ، وخزانة الدولة بالمال ، فأما حقوقه ،  
فأما واجباتنا نحوه ، فعبثا نعثر على شيء منها ولو بمصباح

ديوجين !

إن الفلاح الذي يملك ستة أفدنة دخلها أربعون جنيها ،  
يدفع اثني عشر جنيها ضريبة سنوية للأموال ، عدا ضريبة  
الخفر ، وهو بعد هذا لا يشعر بأننا نحس بوجوده إلا  
ساعة يطالعه وجه الصراف ، بينما يدفع ساكن المدينة ثلاثة  
جنيهات عن مثل ذلك الدخل فتمهد له الحكومة سبيل  
العيش الآمن الصحي الراقى ، فهل تكون القرية جزءا خارجا  
عن الحدود المصرية ؟ هل هي من القلة والتفاهة بحيث  
لا يؤثر شقاؤها ومرضها في جسم الأمة ، ولا يعوق سير  
القافلة ؟ أم قد فرض القانون حقوقا لسكان المدن وواجبات  
على القرويين ؟

يقول « الفلاح المسكين » : « لقد عزم كثير من إخواني  
الفلاحين على الهجرة من أوطانهم ، فهل لك يا سيدي أن  
ترشدنا إلى بلد نعيش فيه آمنين مطمئنين ، ولك من الله  
الأجر الجزيل ؟ » وأنا لا أملك إلا أن أوصيهم بالصبر



إن كان إلى الصبر سبيل . إن الفلاح يفارق القرية الحبيبة إليه وفي قلبه لوعة وفي عينيه دموع حبيسة توشك أن تنهمر لولا الحياء المداراة . والفلاحون يتحملون هول الفراق لو كان هناك مكان آخر يعيشون فيه آمنين مطمئنين ، ولكن أين هذا المكان وكل الأراضي الزراعية في مصر تضيق بسكانها ، وكل القرى المصرية يغمرها الشقاء ؟ لم يبق إلا أن ننتظر كلمة المجلس الاستشاري لمصلحة الأملاك في مسألة إصلاح الأراضي البور ، ويهمني والمجلس على وشك الاجتماع كما جاء في الأهرام الغراء ، أن أردد ما قاله سعادة مدير الجمعية الزراعية الملكية : « إذا لم يستنفع بهذه الكميات العظيمة من المياه التي صرفت الملايين من الجنيهات المصرية في سبيل الحصول عليها ، لتحسين وسائل الري الحالية وإصلاح الأراضي البور ، فإنها تترك لتذهب سدى في البحر الأبيض ، وهذا يبدو أمرا عجيبا أمام العالم ، مهما قدمنا المعاذير والأسباب فالواجب القيام بأسرع ما يمكن في العمل على إصلاح البور من الأراضي ، حتى يمكن الانتفاع بهذه المياه ، وتشغيل الأيدي العاملة العاطلة التي تضيق بها

الأقاليم المصرية ، وتكتظ بها المدن ، فيمكن تخفيف  
الضغط عنها واستغلال رؤوس الأموال المخزونة في الإنتاج  
النافع فيقل العاطلون »

فإذا ماسعت الحكومة إلى الإصلاح العاجل ، فيومئذ  
نوفق إلى إنشاء مناطق زراعية جديدة يفر إليها الفلاحون  
الذين ضاقت بهم قراهم ، وضاقوا هم ذرعا باستبداد العمد ،  
فيجدون شيئاً من الرحمة والرخاء ، ينسيهم ما قاسوه من  
ظلم وقسوة وشقاء .

\*\*\*

لقد قست الحياة على سكان الصحراء الغربية ، من  
المصريين الأعراب الذين يعتمدون على الزراعة في عيشهم  
ففروا إلى الإسكندرية ، مفضلين ذل الخدمة وقسوة العمل  
في المباني ، على الموت جوعاً ، وأحسب أن هجرتهم يجب  
أن تكون نذيراً لنا ، كي نفكر في البؤس الأليم الذي انحط  
إليه عيش الفلاح ، أما إذا تغاضينا أو اعتمدنا على الإصلاح  
الاسمى البطيء الذي لا يتناسب مع فداحة شقاء الفلاح  
فإن العاصفة ستفاجئنا ويومئذ لن نملك إلا قولنا « ليتنا !! »  
حين لا تنفع ليت .



# القسم الثالث

---

اصلاح القرية

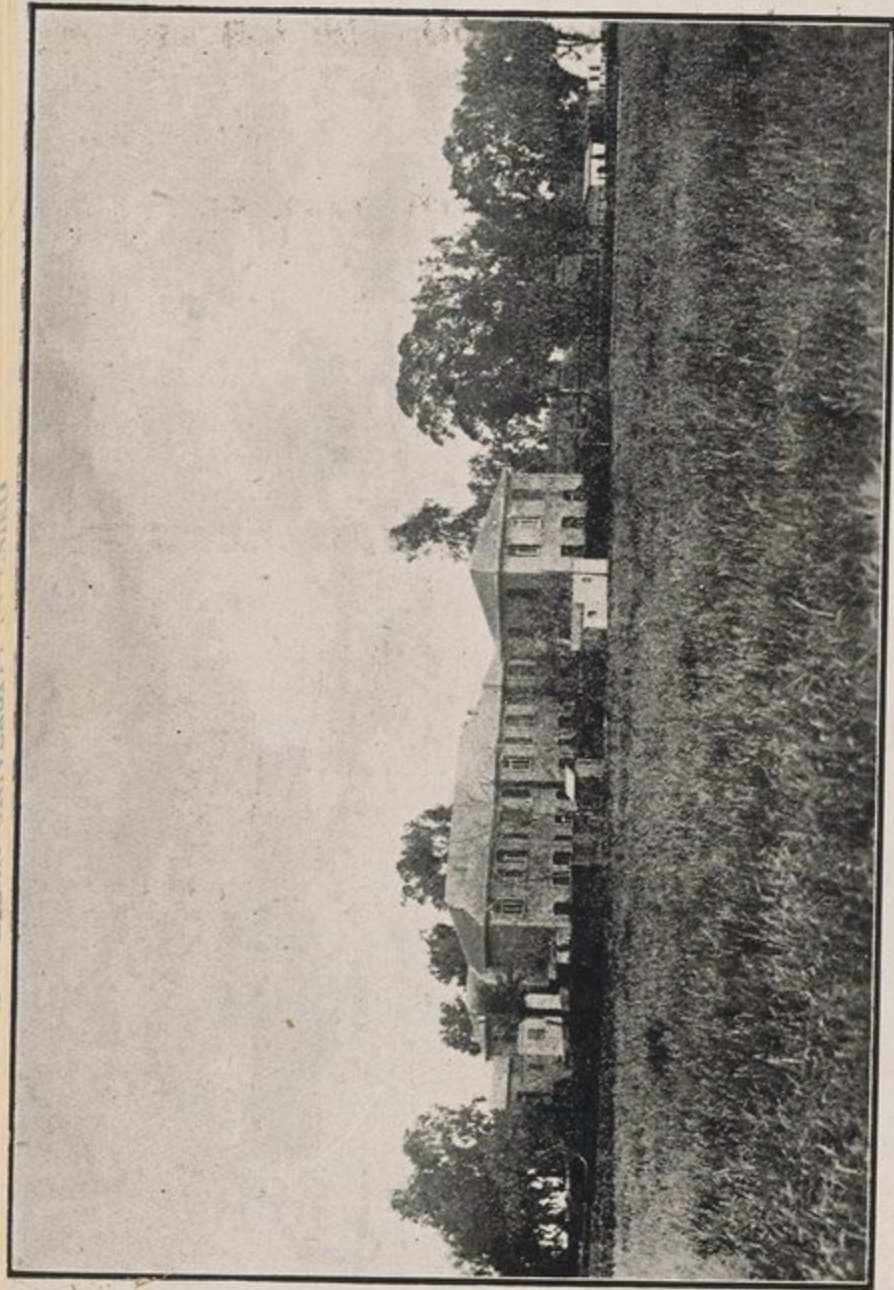
## في هبة الريف !

١ - بين الحقيقة والخيال :

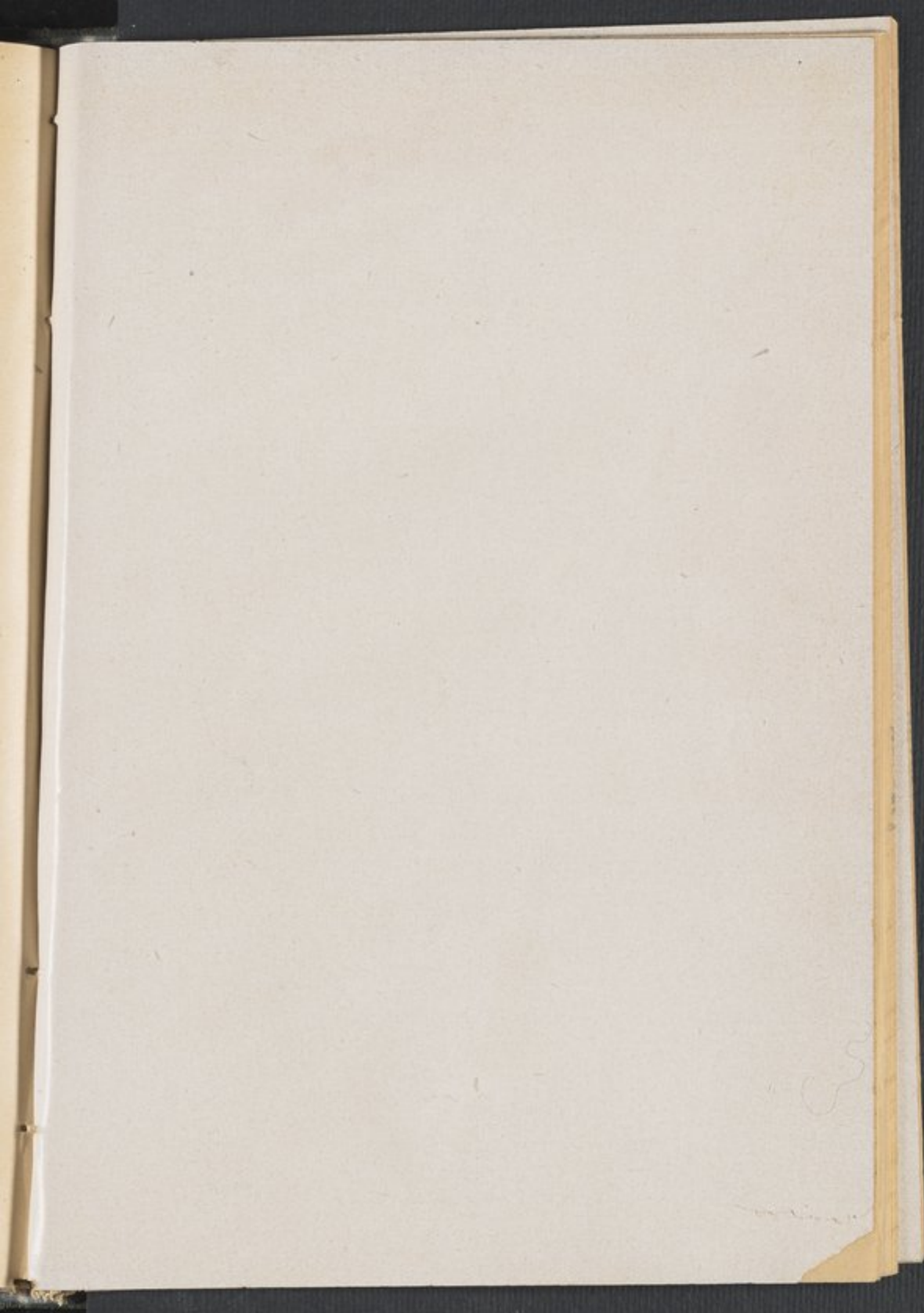
أما أن قرية بهتيم النموذجية كانت تلوح لي في أحلامي  
فاتنة رائعة الجمال فهذا ما لا شك فيه ، وأما أن خيالي  
استطاع أن يصور لي حقيقة تلك الفتنة ومقدار ذلك  
الجمال ، ففي هذا الشك وفيه الارتباب !

لقد اعتدنا أن نقرن الخيال بالإسراف والمبالغة ،  
وتعودنا منه أن يجمع فيرينا صوراً أروع من الحقيقة والواقع  
ولكن هذا الخيال قد يعجز أحياناً عن السمو إلى روعة  
الحقيقة ، ولا يقوى بجناحيه على التسامي بنا إلى جمال الواقع .  
عزبة بهتيم ليست مدينة صغيرة بديعة وسط المزارع  
كما توهمت ! وكنت في هذا التوهم ساذجة حمقاء ، لأنها  
لو كانت نموذجاً مصغراً للمدينة ، لسكنت أشبه بالغراب  
الذي فتن بالطاووس ، فغطى جسمه بالريش الزاهي البديع  
واندس بين أسراب الطاووس ، فأهاجها حمق ذلك الدخيل





منازل موظفي قنصلية برنتيم في أمضاة الحقول والاسمجار





المفتون ، وأرغمته على الابتعاد عن حظيرتها ، فلما حاول الرجوع إلى حاله الأولى ، كان قد نسي مشيته وعوائده ، وكل ما ناله هو التعلق بين السماء والأرض ! لا يقوى على الصعود إلى سماء الطاووس فيهدأ غروره ، ولا يذكر طريق النزول إلى أرضه فيستريح !

وعزبة بهتيم . . . أين يكون سر الجمال فيها لو أنها كانت صورة للمدينة مصغرة ؟ أكانت تسمو إلى المدن الكبيرة فتذكر بينها ؟ أكانت تعد شيئاً مذكوراً بجانب أبسط المدن وأصغر المراکز ؟ لا والله ، وتكون بعد هذا فقدت سحر الريف وسذاجة القرى وفتنة البساطة !

\*\*\*

## ٢ - كيف وضع المشروع ؟

حين عمدت الجمعية الزراعية الملكية إلى إنشاء المثل الأعلى للقرى ، لم تفكر في المدن كما فكرت أنا ، ولم تلق بالآ إلى نظام المعيشة والمباني ، وإنما عمدت إلى الريف ، تستلهم من عيوب القرى وانحطاط مستوى المعيشة فيها ، وحيّاً لتصميم العزبة النموذجية !

لقد نشأ مدير الجمعية في صميم الريف وشاهد عن كسب وهو طفل ، أى نوع من البؤس يهيم فيه الفلاح ، فلم يملك

له إلا التآلم والرتاء ، ولكن هذا التآلم كان نواة المشروع ،  
التي نمت مع نمو الطفل ! فلما شب غلبت عليه نزعته العملية  
الصميمة فرأى أن نظام تأجير الأطيان غير عادل ! ذلك  
لأن تأثير الظروف الجوية والمائية على كمية المحصول ،  
وتأثير تقلب الأسعار وكثرة المضاربات في سعر المحصول  
يجعلان أحدا الطرفين - المالك والمستأجر - ظالماً ، والطرف  
الثاني مظلوماً ! وأرقه التفكير أياماً وليالى حتى اهتدى  
وهو في سن العشرين ، إلى نظام الاشتراك ، يزرع الفلاح  
الأرض ويقتسم هو والمالك ما ينتج منها !

ثم مرت الأيام ، وأتاح له عمله كمدير للجمعية الزراعية  
الملكية ، أن يعيد التغلغل في الريف ، وأن تعاوده ذكرى  
الشقاء الأليم الذي شاهده بعينه يستبد بالفلاح المجاهد !  
وتحركت بذرة المشروع في رأسه تطلب الحياة ... فحمل  
أوراقه وقاد قافلة رجال الجمعية إلى القرى ! وهناك ...  
في الغرف الضيقة المظلمة التي يملؤها دخان الفرن ورائحة  
روث البهائم ، وضع تصميم غرف مزرعة بهتيم ! وبجانب  
حظيرة المواشى التي تختلط بغرف الدار وتملأ المكان  
رائحة نتنة قدرة ، وضع تصميم حظائر بهتيم الصحية



النظيفة ، وفي كتاب القرية حيث يحتشد الصغار أمام «سيدنا»  
وتحت رحمة عصاه الغليظة القاسية ، وضع تصميم مدرسة  
بهتيم الصحية المشمسة الواسعة ، وعلى حافة التربة حيث  
تكثر القرويات يملأن الجرار ويغسلن الثياب البالية  
والأواني المتواضعة الرخيصة ، وحيث تعوم جراثيم  
البلهارسيا والانكلستوما ، منتظرة أجسامهن الدافئة  
للتلصق بها وتفترسها ، وضع مشروع مياه بهتيم ، التي ترفع  
بالآلات الرافعة من بئر ارتوازية إلى خزانين مرتفعين ،  
يغذيان مرافق العزبة بالماء النقي الطهور ، وهكذا تم المشروع ،  
في صميم القرى ووسط غمرات شقاء الفلاحين ، وليس في  
المدن كما توهمت وكما يتوهم غيرى كثيرون !

\*\*\*

٣ - في الطريق إلى جنة الريف :

محطة شبرا ، مفترق الطريقين ، المدينة والمزارع !  
تطلعت من نافذة السيارة إلى القاهرة ورائي تتضاءل  
وتتلاشى بضجيجها ، وتطلعت أمامي إلى الفضاء المتسع  
الرحب الذي لا يدرك نهايته الطرف ، وإلى الحقول الحية  
تترامى منبسطة حتى نهاية الأفق نابضة بالقوة والحياة والجمال  
شم . . . تطلعت إلى السماء وفي عيني أذل أنواع الزراعة

والإبتهاال : رب إني بأثمة تعسة ، وأعلم أن من المستحيل  
نسيان الآلام العاصفة التي تستبد بي ، ولكن يا رب ! هبني  
النسيان !

وانسابت السيارة بنا وسط المزارع الرائعة ، وكلما بعدت  
عن المدينة وتلاشى الصوت ، خف ضغط الألم الذي يحتم  
على صدرى ، ثم ما كادت السيارة تجتاز بنا مرشبرا (المزلقان)  
حتى تحررت من أفكارى - لا أدري كيف ؟ - وأحسست  
كأنما أنا بعيدة عن العالم بشروره ومتاعبه ... كم وددت  
لو أغادر السيارة ، وأغمر وجهى الملهب ، برطوبة سيقان  
القطن الفارعة الخضراء ، ثم أصلى ركعتين لله العلى العظيم !  
ولمخنا عن بعد لافقة كبيرة عليها « مزارع الجمعية الزراعية  
الملكية » فعلمنا أننا مشرفون على معقل الجهاد والوطنية  
العاملة ، ثم انحرفت بنا السيارات يمينا وكأنما هى تنحرف بنا  
إلى حياة أخرى غير الحياة المقيدة التي نعرفها ! وبدأت  
أفواج القرويات تطالعنا وتهتف بي أن ألتفت محمية !  
فانصرفت بوجهى وقلبي إليهن لأشهد وجوهها مشرقة  
بسامة تفيض سحراً ووضحة ووداعة ، ولأذكر الوجوه  
الشاحبه الذليلة التي تشوه جمال الريف المصرى ، ووجوه



النساء الكاذبة المزيفة المصنوعة التي تطالعنا في المدن ! ولم  
أملك أن صحت من أعماقي : ما أجملكن !  
أين نحن ؟

في العزبة القديمة ! آه . . . كأنما خشيت الجمعية على  
زائريها قسوة المفاجأة ! أو كأنما أحبت أن تدع لنا فرصة  
المقارنة . . .

وأحاط بي الأطفال يسألونني في سداجة محبة إلى النفس  
عن اسمي ، وكأنهم ينكرون على سعادة المدير عدم تقديمي إليهم !  
ولما أجبت مطلبهم عادوا منتصرين ، وسمعت زينب الطفلة  
الصغيرة الوديعه تهمس في أذن أخيها الصبي : أنت مش  
عارفها يا عبيط ؟ دى ست فلانه ! وألحوا على أن أزور  
دورهم ، فاستسلمت في ضعف مضحك ، وقادتني زينب إلى  
الدار ، حيث كانت أمها تقطف ورق الملوخيه في نشاط  
وبشر . وقدمتني إليها فرحبت بي أكرم الترحيب .

وساء لتهن . . . ألا يؤلمكن العيش هنا في العزبة  
القديمة ؟ فأجبن جميعا : حفظ الله سعادة البك ، سيبنى لنا  
عزبة ثالثة إن شاء الله ، لأن الجديدة لا تتسع لنا جميعا . . .  
دور القرية القديمة لا تختلف عن الدور الريفية المعتادة .

ولكن ساكنيها ينعمون بعيش هنيء إذا قيس بحياة غيرهم  
من القرويين ؟ ففي الدور خبز وافر وجبن مخلل ، وفي  
أغلبها طيور وحبوب كثيرة ، وعلى المواقد شاهدت أواني  
البامية والملوخية والفاصوليا . ووجوه المزارعين تشعر  
بأنهم يحيون حياة بسيطة معقولة .

إلى العزبة الجديدة إذن ؟ لا وإنما إلى معامل التجارب  
وحظائر الماشية واصطبلات الخيول أولا ؟ وأشرفنا على  
فناء متسع رحب ، على جانبيه اصطبلاب صحية جميلة  
التنسيق ، تضم أكبر وأجود مجموعة للخيول العربية  
الأصلية . وأعطيت الإشارة ففتحت الأبواب ، ووقف على  
كل منها سائس ممسك بعنار جواد وأشار إلينا الجميع  
مرحبين ثم سارت الخيول أمامنا في استعراض دائري  
عجيب ، يتقدمها « ابن ريدان » الجواد العجوز الذي سُم  
المجد وكسب معارك السباق ما يقرب من عشرين عاما حتى  
لم تعد تغريه ، فهو ينظر إلى بقية الخيول وكأنه يدل عليها  
بتجاربه وسعة علمه ، وكأنما تبدو له آمالها صغيرة ساذجة .  
وتبعه خميس وعمره تسع سنوات ، مثال الجواد العربي !  
ضامر البطن طويل السوق والعنق ، مرفوع الرأس في شيء



من الدل والكبرياء ، وانتهى الاستعراض « بابن ابن ريدان » الصورة المصغرة من « ابن ريدان » الشيخ في سن الثمانية ، ومثال الجمال والقوة والشباب — أخبرني يا دكتو ! أنذا أعقب « ابن ابن ريدان » مهرا ، أفقسمونه ابن ابن ابن ريدان أم ابن حفيد ريدان ؟

فعلا ضحك الجميع وأنبت أن الجمعية ستختار له اسما آخر كما ستغير اسم جواد أوربي الاسم .

وانطلقنا إلى ضيافة البقر والعجول ! فحيتنا صغارها بالقفز والوثب ، وحيثنا كبارها تحية رزينة حيث ضربت الأرض بحوافرها لتشعرنا بقوتها وهيبتها .

وشاهدت بقرة لها لون نادر لا عهد لنا به في مصر ، وأخبرني حضرة الطبيب البيطرى أنها أوربية ، اشتريت لتجربة الإنتاج المختلط ولأنها تدر لبنا أوفر من البقرة المصرية ، وإن يكن مقداره أقل مما لو كانت في موطنها . فقلت : هذا كرم منها ! واستدرك الطبيب : لا ولكنها تأكل طعاما أكثر من البقرة المصرية — يا سبحان الله ! حتى البقر الأجنبي لا يعطى شيئا إلا بالثمن !

واسترعى سمعنا صياح الديكة ، فلبينا النداء وانطلقنا

إليها فاذا بها حبيسة في أمكنة ضيقة ! هل جنت ذنبا ؟ لا .  
ولكنها تجربة لمعرفة أثر قلة الحركة في زيادة « السمينة » .  
وتركت حضرة الأخصائي يشرح نظرياته ، وذهبت  
إلى أسراب الأوز التي فتنت عيني بريشها الأبيض الناصع  
المنفوش كأنه ريش النعام ! نعم يا ربهم

\*\*\*

#### ٤ - في جنة الريف !

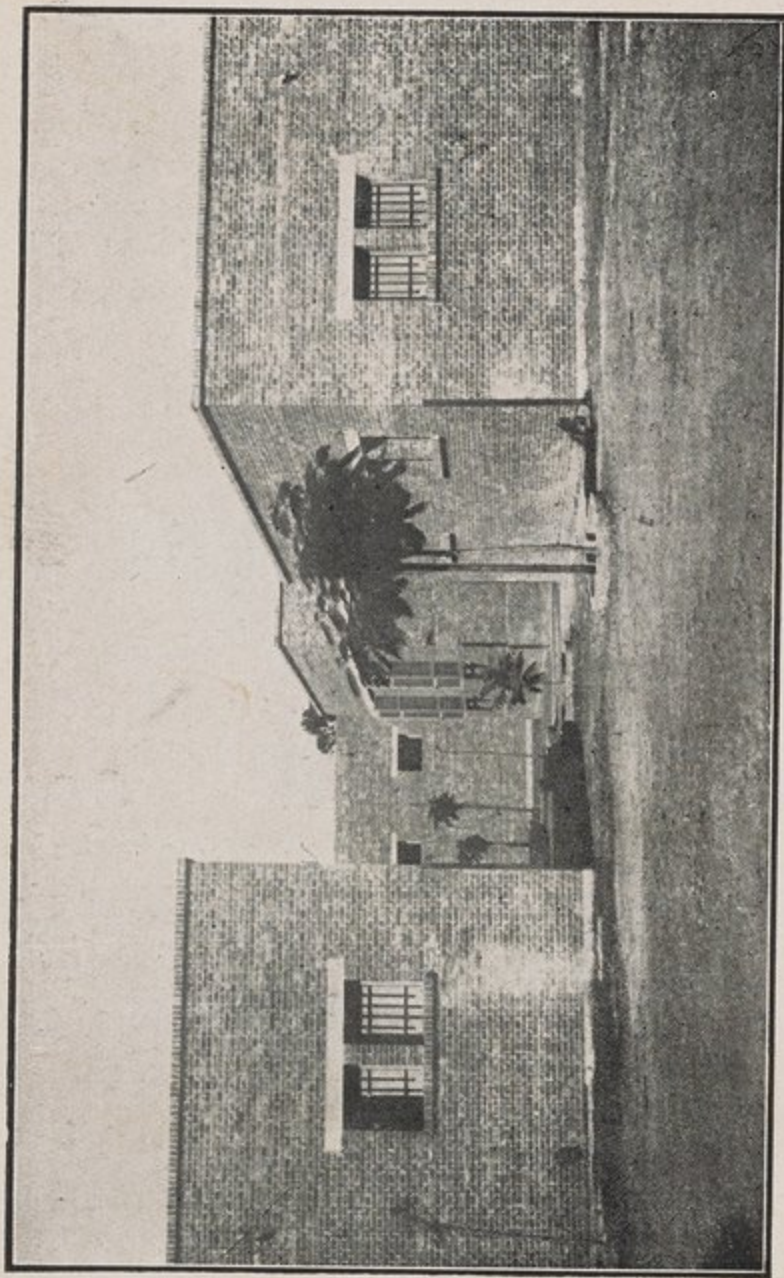
واحتوتنا بعد هذا العزبة النموذجية لتفتتني عن حياة  
المدن ، ولتثيرني على المعيشة بها ! الجملة الصادقة التي تصف  
العزبة هي أنها « شيء لا يتصور بالخيال ولا يوصف بالكلام  
المبتذل المعتاد ، وإنما تعرف وتدرک بالعينين ! »

هنا تبدو عظمة الريف المصرى وروعة بساطته !  
لا في القرى الأخرى التي يشوه جمالها بؤس اليم وحياة  
شقية ، ومساكن مظلمة بأئسة !

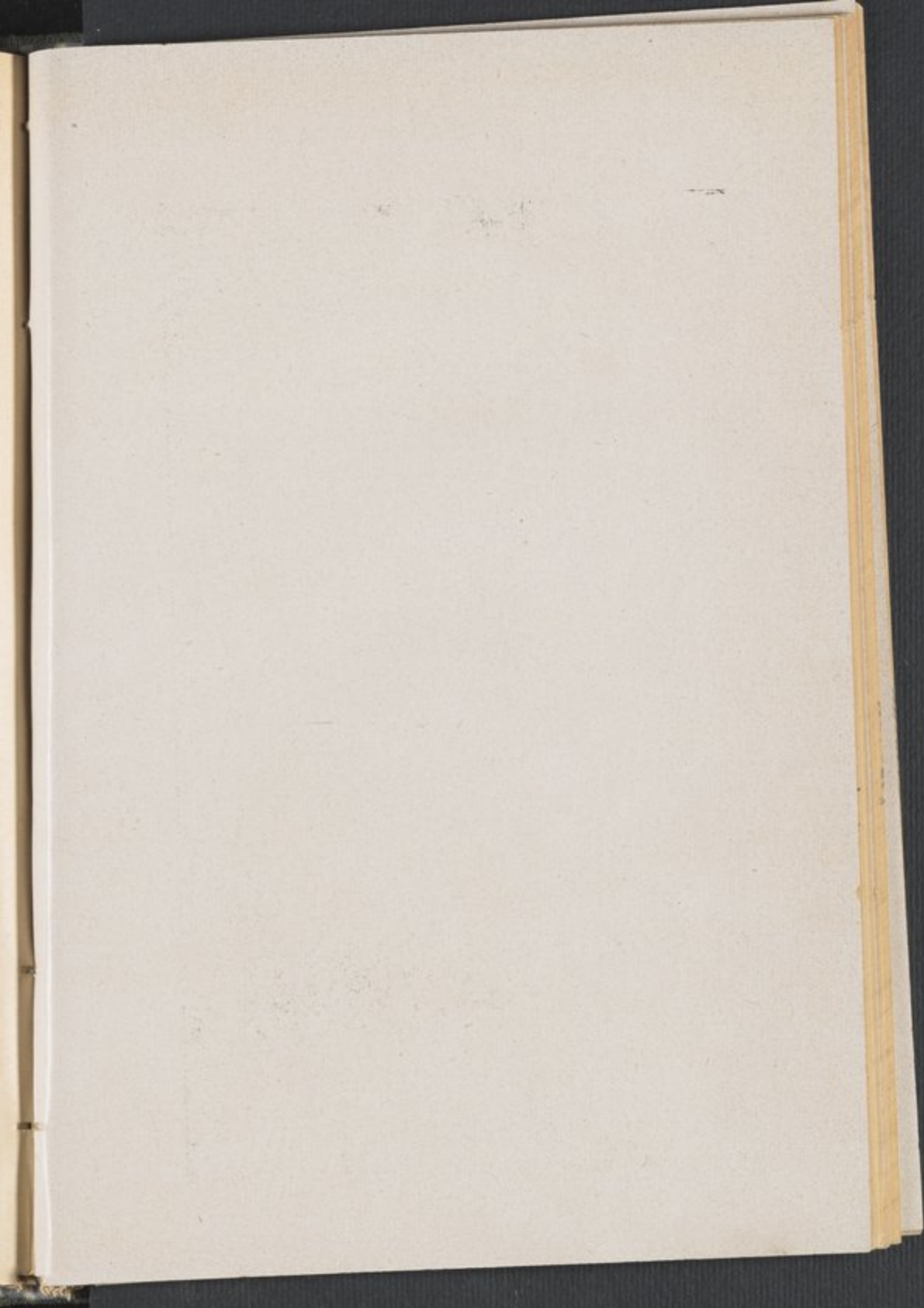
هنا يتحقق مبدأ حضرة الرجل المصلح فؤاد أباطه بك  
في أن الإسراف في الأناقة يجعلنا أصدق شعورا بألم البؤس ،  
وأرق قلبا على التاعس المسكين .

هنا يتخلص الإنسان من آلامه ومتاعبه وينسى كل  
شيء إلا روعة الجمال الذي ينكشف أمامه سافرا !





فندق الريف كما يبدو في القرية النموذجية





هنا يحتقر الإنسان رياء المدن ، وتبدو عظمتها ضئيلة  
قافهة أمام روعة الفطرة والبساطة .

أفى الريف نحن ؟ أجل ، ولكن فى أفن جنة به !  
المباني لا ترتفع فى الجو ولا تحجب الهواء ، والطرق  
نظيفة واسعة تسمح للشمس بأن تلقى أشعتها على الدور  
طول النهار ، وتنتهى إلى ميدان متسع كأنه قلب القرية ،  
والغرف صحية عالية الجدران يملؤها ضوء الشمس والهواء ،  
والقرويون يمشون هنا وهناك ، وعلى وجوههم نضرة  
الصحة والقوة والرضاء ! والأطفال يملئون المكان بهجة  
ومرحا ، ويلوحون فى ثيابهم النظيفة البيضاء كالملائكة ...  
دخلت فى أول دار قابلتني فأخذتني روعتها وبساطتها ،  
هذا « الزير » فى الصدر محمولا على حامل ساذج من جذوع  
الشجر ، وحظيرة المواشى والمرحاض الصحى التنظيف إلى  
اليمين ، والفرن إلى اليسار وفناء الدار رحب مكشوف  
يتجدد هواؤه فى كل وقت ، وتغمره أشعة الشمس ، وفى  
الصدر بهو يؤدى يمينا إلى غرفة نوم على أرضها قطعة حصير  
وعلى المصطبة - سرير الفلاح - كليم مصرى زاهى اللون ،  
وعلى الصندوق الخشبى وسادتان وغطاء ، ويؤدى يسارا

إلى حجرة واسعة أعدت للجلوس واستقبال الضيوف ،  
أنيقة على بساطتها وبساطة ما فيها ، فقد صفت الأرائك  
الخشبية مغطاة بالأكلية ، وزينت الأرضية بقطعة حصير  
نظيفة . واسترعى انتباهنا نقطتان من الأهمية بمكان ، الأولى :  
كون الفرن بعيدا عن غرفة النوم ، والفلاح مولع بالنوم  
فوقه عند ما تشتد قسوة البرد في الشتاء ! والثانية ، كون باب  
حظيرة الماشية مطلا على فناء الدار .

وتمهلت قليلا أفكر ! لو أن الفرن وضع في غرفة  
النوم لضاعت الفائدة الصحية التي ضحت الجمعية في سبيلها  
بآلاف الجنيهات ، ولتصاعد الدخان مختلطا بهواء الغرفة  
ليستنشقه أخونا الفلاح كما هو الحال في القرى الأخرى ،  
ولو أبعدنا حظيرة الماشية عن الدار ، لفرقنا بين الفلاح  
وبين ما يحب ! فللجاموسة عند المزارع منزلة الابن ، ولن  
يهدأ في نومه ما لم تملأ الدار بصوتها المنكر ! ما العمل  
إذن ؟ الجواب عند حلال المعضلات ، فؤاد أباطه بك  
صديق الفلاح .

فأما عن الفرن فهو يرى أن خير وسيلة لتحقيق رغبة  
الفلاح ، ولا تتنافى مع قواعد الصحة والاقتصاد ، هي أن



يخترق الفرن الجدار ، بين غرفة النوم وفناء الدار ، بحيث تكون فتحة في الفناء لتقذف بدخانها إلى الجو بعيدا عن الفلاح ، بينما يكون جسم الفرن في غرفة النوم ، حتى لا نحرم الفلاح ولا نحرم دليلنا عم الحاج أمين (وهو شيخ في الثمانين من عمره يتمتع بصحة جيدة) من نشوة الاستمتاع بنوم الفرن في الشتاء !

وأما عن حظيرة المواشى ، فالرأى عند سعادة حافظ عفيفى باشا ، أن يسد الجدار المطل على فناء الدار ، ويفتح لها باب آخر من الخارج تدخل الماشية منه وتخرج ، على أن نرضى لهف الفلاح عليها بفتحه صغيرة في الجدار « كوة » يطل منها على ما شئته كلما أحس برغبة في رؤيتها والاطمئنان عليها !

واقترحت أنا - العفو ! - أن يدق مسماران على جانبي إحدى زوايا غرفة النوم ، يوضع بينهما جبل من الليف يجذله العم أمين وتعلق عليه ملابس النوم والمناشف والجوارب حتى تجف من عرق أو بلل ، بدلا من وضعها رطبة في الصندوق .

وذهبنا إلى المدرسة حيث رحب بنا حضرة الناظر في

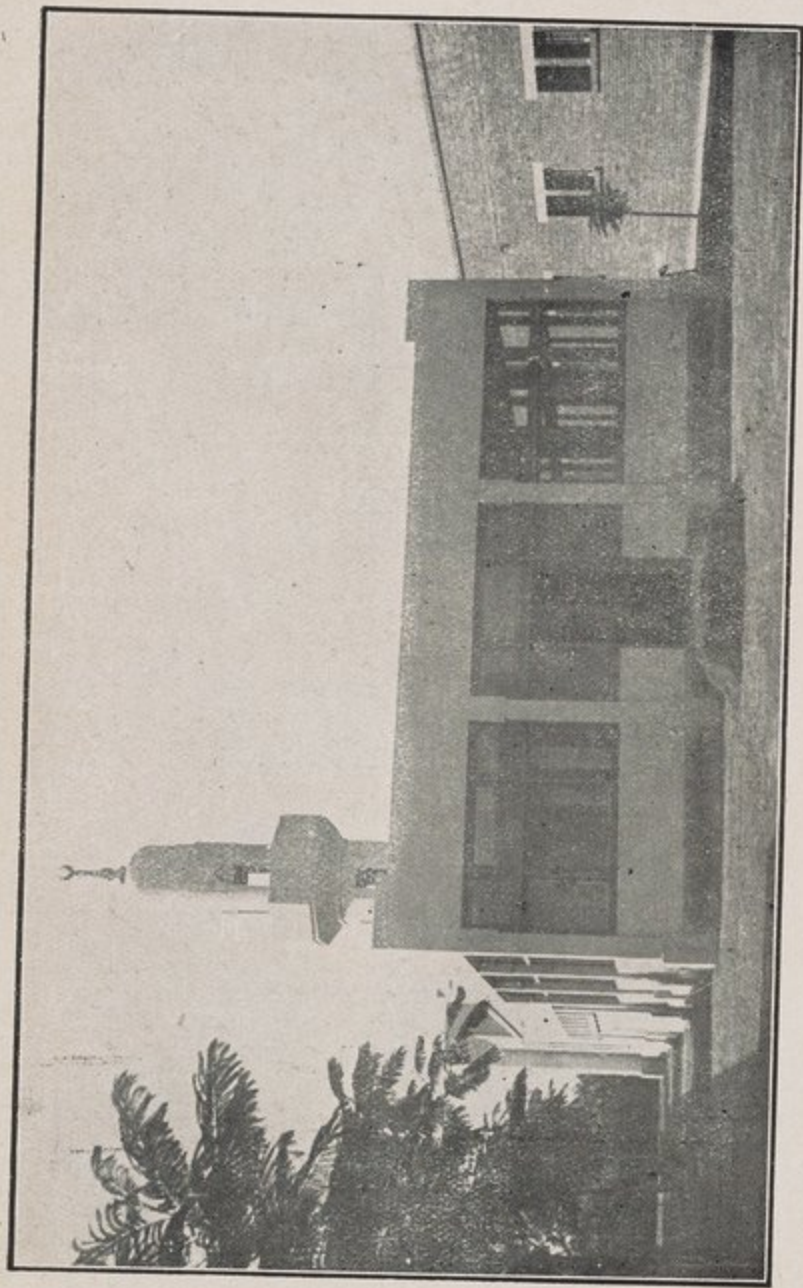
أدب جم غزير ، وأفرحتني بساطة ثياب الأطفال وتقارب  
بيئة المدرسة من بيئة البيت ، وشاهدنا من ذكاء الأطفال  
عجبا ! وفي قسم البنات راعتنا نظافة الطفلات وجمالهن في  
الثياب الزاهية البراقة بقدر ما أعجبنا بطريقة المناقشة في  
درس الحساب ، وحسن استعدادهن وتفكيرهن !

وهتفت وأنا أضحك ! إنهم أسعد حضا مني ! كنت  
أجلس على أرض كتاب القرية وأنا أرتعد من ( فرقة  
سيدنا ) التي أذاقتني هولا !

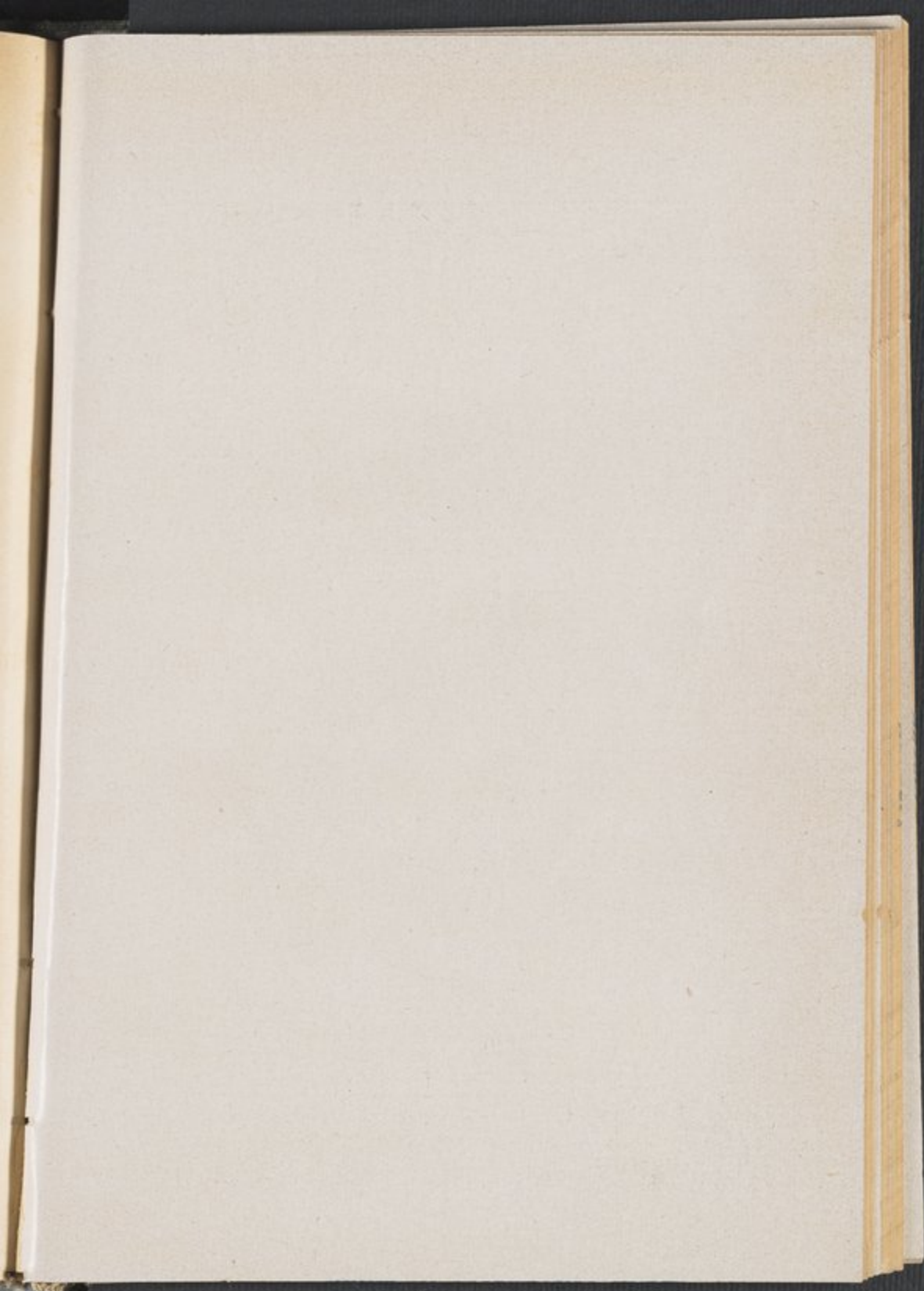
وانتهينا إلى المضيقة ! أين منها شرفة أنخم الفنادق ؟  
إنها أشبه بالجوسق الذي يتوسط الحدائق الكبيرة عادة .  
بناء رحب يسع نحو سبعين شخصا ، يغمره النور من  
جوانبه المكشوفة ، ويتوسطه صفان من الأعمدة تزيد من  
بهائه ، وإلى الجدران صفت الأرائك ليجلس عليها القرويون  
ليلا يسمرون ويتناقشون ، ترى كم هي فاتنة في ضوء القمر  
الفضي الهادي ، حين يهب نسيم الليل محملا بعطر الورود  
وشذا الأزهار !؟ ترى كم هي فاتنة في المساء الساكن حين  
تحيطها أسراب العصافير مغردة بلحنها الشجي الحنون ؟

وفي الجامع الجميل قرأت سورة الفتح ، ثم ابتلعت إلى





جمال وجبل  
مضيفة قرية براتيم وخلفها المسجد





الله أن يوفق رجال الجمعية ، فيما يبغون من خير للفلاح ،  
يد مصر العاملة ، وخادمها المخلص القنوع ، ثم تركت الجمع  
أسيراً في قيد الفتنة ، وجريت منفردة إلى دور القرويين !  
كنت موقنة أنني سأحب نساء القرية فصيح منى اليقين !  
إذ ما كدت أفاجئن حتى أحسست وأحسسن بأنى واحدة  
منهن ! غلبت على نشأتى الريفية ، فأخذت أقفز وأصيح  
أشد ما أكون سعادة وانطلاقاً ! وأبت كل واحدة إلا أن  
تضيفنى ! فاعتذرت مؤكدة أتى لا شك سأعود . . .

ونسيت نفسى ! ونسيت الزائرين والزائرات ،  
ونسيت أعمالى ومشاغلى بالمدينة ! عميت عيناى عن كل  
شئ إلا عن المكان الذى هو صدى لأحلامى منذ شاهدت  
الشقاء الأليم الذى يغمر الفلاح !

سرعان ما ائتلفت بكل من فى القرية ! لم هذا ؟ أ يكون  
لأنى ريفية المنشأ والنزعة ؟ أم يكون لأن فى قلبى جراحاً  
دائمة من ذكرى شقاء الفلاح فتشبثت بالمكان الذى تسعد  
فيه فئة من الفلاحين ؟

وفى الدور شاهدت مثال الحياة التى يجب أن تمنح

للفلاح ، وأفن ما راغنى صوت القرويات المرح ، يملأ  
المكان جمالا وحياة !

سألت كلا منهن على حدة : أسعيدات أنتن ! فكان  
جوابهن الواحد : وهل فى ذلك شك ؟ ثم تتجه كل منهن  
إلى السماء بقلبها ، تسأل الله للمنقذ النيل سعادة وتوفيقاً .  
وأحاطت بى الصديقات مودعات ، يسألننى متى تكون  
العودة ، قلت : قريباً إن شاء الله ، أقرب مما تتوهمن !  
أفتحسبن أنى أجلد للفراق طويلاً ؟

وتطلعت ورائى أسائل النفس : هل يمكن أن أنسى  
اللحظات السعيدة التى قضيتها فى عزبة بهيم ؟ هل يقوى  
الزمان على طرحها فى زوايا النسيان ؟ وهتف بى قلبى أن  
اطمئننى ، فلن تنسى مادمت أنبض فيك !

وخلفت العزبة ورائى ، واعتمدت رأسى بين يدي وأنا  
أجتز الجمال الذى وعيته هناك فى زهول حالم ! بينما كانت  
رائحة المانجو التى أتخفتنى بها الأخت الكريمة « السيدة  
هانم » تملأ أنفى ودماء ، ! وبينما كانت زهرة الفل المرتعشة  
فى يدى الذاهلة ، توحى إلى أننى لا زلت فى جنة الريف !



## مولينى الفروع

فى قسوة الظهيرة من شهر يونية ، حيث السماء تقذف  
الأرض بالنار ، وحيث الهاجرة تغلى الدم وتصهر العظم ،  
وقد احتفى الناس بالجدران من قسوة الطبيعة ولاذوا  
بالببوت فراراً من اللهب ، وقف الفلاح وسط الحقل ، عارى  
الجسم إلا مما يستر العورة ، وعلى رأسه قبعة كبيرة من  
الخص ، يود لو تحميه من أشعة الشمس المحرقة ، وقد سال  
عرقه فاختلط بالقمح الذى يحصده ! وكلما أنهكه التعب  
وأدركه الإعياء ، ألقى نظرة على العمل الذى ينتظره بين يديه ،  
وعلى الحقول الواسعة المترامية الأطراف تنتظر آلاف من  
المزارعين أمثاله ، يشقون طول العام فى انتظار موسم الحصاد ،  
وتساءل : ترى هل يشعر السادة المنعمون بالثمن الفادح  
الذى يدفعه الفلاح فى إعداد طعامهم الفخم ؟ ترى كيف  
يكون المصير لو مضى الزملاء يلتمسون الراحة ويحتمون  
بالجدران ؟ ولا يصل به التفكير إلى هذا الحد حتى يشعر

في ساعديه بقوة جديدة تطلب العمل ، وفي قلبه بنشاط  
يصرفه عن التفكير في القصور وما تخفى جدرانها من  
راحة ونعيم ! وربما حانت منه التفاتة إلى جاره الفلاح ،  
فيرى أن ما قد حصده زميله أكثر مما حصده هو ، فتشور  
في نفسه حمية أقوى ، ويظل في العمل المرهق إلى أن يدركه  
المساء ، فيتراخي جسمه يطلب الراحة بعد الجهاد الطويل  
الشاق .

من الرجل ؟

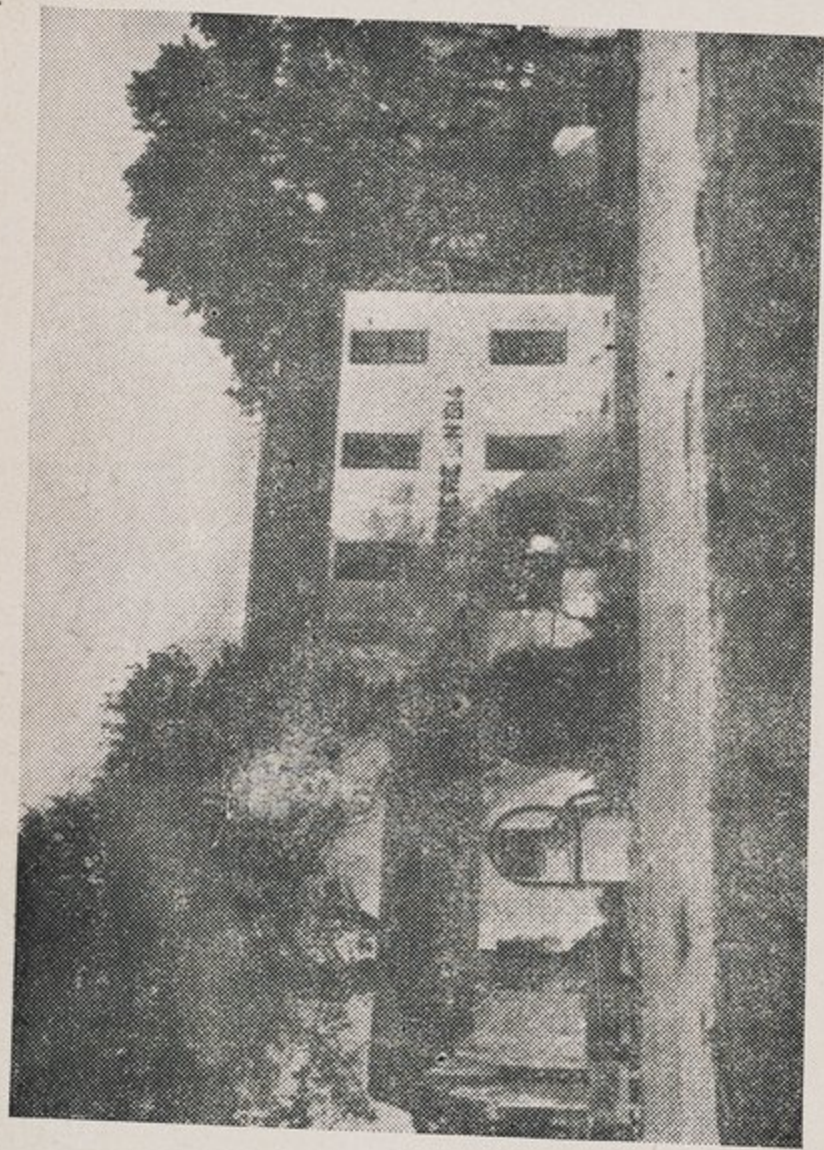
إنه موسوليني ، زعيم إيطاليا وحاكمها الدكتاتور ؟  
انسوا لحظة شخصية الجبار الذي قال عنه السير صموئيل  
هور وزير خارجية إنجلترا ، إنه ينبغي الانتقام من الأحباش ،  
لأنهم لم يقدموا بلادهم هدية لجشعه الاستعماري ، وانسوا  
لحظة شخصية المستبد الذي يقذف بمعارضيه في مستعمرات  
بلادهم بعيدا عنه ، واذكروا في تلك اللحظة التي نكاد نسمع  
فيها دوي المدافع ، موسوليني الفلاح !

\*\*\*

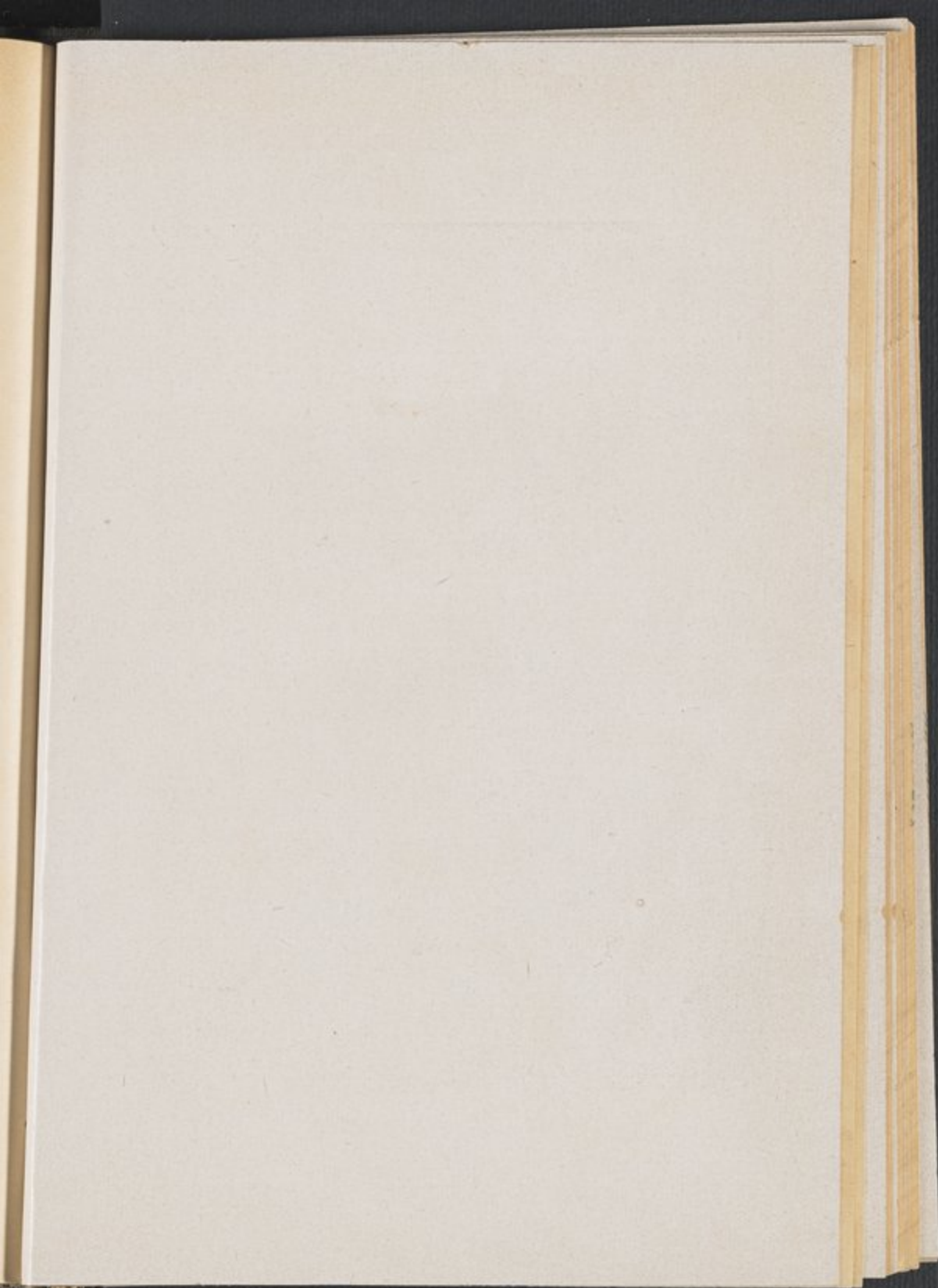
لقد أراد موسوليني أن يرقب حال الفلاح الإيطالي  
عن كשב ، ليقرر بشأنها ما يراه ، فاتخذ لذلك طريقا أشبه



AMERICAN UNIVERSITY "Cairo"



منزل مزارع بمنطقة الاصلاح في إيطاليا





بطرق المربين ، الذين لا يدرسون طبائع الأطفال مثلاً ،  
إلا إذا نزلوا إلى مستوى تفكير الأطفال ! وفي شجاعة جريئة  
خلع ثيابه المثقلة بالأوسمة والنياشين ، وأمسك بالمنجل  
والفأس ! وبحث الايطاليون عن زعيمهم ، ليؤيدوه بهتافهم  
ضد انكلترا واليابان في ثورتهم على سياسته الاستعمارية  
الفاضحة الكفيلة بتقويض الاستعمار كله ، فإذا بهذا الزعيم  
وسط الحقول ! يحصد القمح عارى الجسم تحت لهب شمس  
الصيف المحرقة ، ووسط فئة من الفلاحين المنبوذين !

هل قرأتم خطبة المصلح الاقتصادي فؤاد أباطه بك  
عن حركة الإصلاح الزراعى فى إيطاليا ؟ إذا كنتم قد  
دهشتم لهذه النهضة الحاسمة العاجلة ، فاذكروا أن موسوليني  
وضع خطة الإصلاح فى الحقل ، فبينما كان يمسك بالمنجل  
ويحصد القمح ، كانت عيناه تدرسان حال الفلاح وشقاءه ،  
وكان رأسه يدبر المشروعات ويرسم الخطط ، بعيداً عن  
المكتب الفخم ! وما أحسب أن نابليون يضج فى قبره  
إذا استعرت عبارته المشهورة ، وقلت : « إن موسوليني  
الذى يمسك بالفأس فى يمينه ، يمسك بمصير العالم فى تلك  
الآونة العصيبة فى يساره ! »

وإيطاليا ليست بلاداً زراعية ، ولا تعتمد على الزراعة  
في ثروتها العامة ، فالأقاليم الزراعية فيها لا تعدو حوض نهر  
البو حيث يستمد النهر ماءه من الأمطار شتاءً ومن الثلوج  
الآلبية الذائبة صيفاً ، وحوض نهر أرنو وحول خليج  
نابولي ، ومحصولاتها الزراعية تنحصر في القمح والتوت  
والسكر والزيتون ، وفيما عدا ذلك ، فإيطاليا بلد صناعي  
تجاري ، ولكن من أفرادها آلافا يشتغلون بالزراعة ، وهم  
أعضاء من جسم الأمة ، يؤدون واجباتهم نحوها ، فلهم أن  
ينالوا حقهم من الإصلاح ، وراح موسوليني يدرس  
حالهم عن كثب ، بل تواضع واختلط بهم وقاسى مشقة  
عملهم ، فثارت نفسه كزعيم أمة مسئول عن توفير الراحة  
لكل فرد من أفرادها ، واستطاع أن يغمر الزراعة  
والمزارعين بفيض من الإصلاح العجيب !

\*\*\*

والآن إلى مصر !

مصر البلد الزراعي المحض ، الذي قال عنه سعادة  
كامل إبراهيم بك وزير الزراعة « مصر بلاد زراعية ،



بل هي من أصلح أقطار العالم للزراعة بما وهبها الله من تربة خصبة ومناخ صالح ، وبما وهب فلاحها من صبر على العمل وقناعة في المطالب ، والزراعة في بلادنا ما تزال هي المنبع الأول للثروة »

ظل الفلاح المصرى قروناً عدة يرسف في أغلال البؤس والعوز والشقاء ، وكانت تتصاعد بين حين وآخر صرخات بعض الأفراد ، تهيب بالحكومة أن تيسر للفلاح الشقى المجاهد ، حياة ممكنة ، وهذه الصرخات تحدث صدى خافتاً لا يلبث أن تتلاشى ، وأخيراً ثأبت الحكومة بعد نوم طويل عميق ، نعمت فيه الحكومات السابقة بأحلام ذهبية لا صلة بينها وبين فئة الفلاحين التعساء ، فألفت لجنة التعديل الضرائب !

نفهم أن يتفضل أعضاء اللجنة بزيارة القرى ، ولكن كيف يلبسون شقاء الفلاح وهم في طريقهم إلى كفر المصلحة وميت خلف ، يركبون السيارات الفخمة ويحيط بهم الموظفون المنعمون على حساب الفلاح المنكوب ؟ إن موسولينى رجل عصامى ، بنى مجده بيديه ، وذاق

في طفولته ألواناً من الشقاء المرير ، وإذن فما كان أغناه  
عن التجربة القاسية ، تجربة الفلاحة والحصاد ، وله من  
حياته السابقة مقياس يفهم به درجة شقاء الفلاح ! ولكنه  
أدرك أن إصلاح حال الفلاح لا يمكن تمهيده وإعداده بين  
المقاعد الوثيرة ، وعلى الموائد الفخمة ، وأن كل إصلاح  
يأتي عن هذا الطريق هو نوع من الزيف والرياء !

\*\*\*

هي جرأة مني أن أطلب إلى كبارنا زيارة للريف ؟  
ما دام حسن النية متوفراً فلا بأس من الجهر بظاي الجريء  
المتواضع !

حين يشرف السادة أرض القرية لن أتصنع الجنون  
وأطلب إليهم أن ينزعوا ثيابهم الأنيقة ويمسكوا بالفأس  
ويشتغلوا في الحقل ساعة ، كما فعل زعيم إيطاليا ! ولكني أرجو  
أن تكون زيارتهم مجهولة المقصد والموعود ، حتى لا يحتشد  
السادة الموظفون المنعمون في استقبالهم ، وينشئوا بأناقهم  
وترفهم ستاراً زائفاً أمام أعينهم ، يحجب عنهم رؤية شقاء  
الفلاحين التعساء .

وستستقبلهم إذن جموع حاشدة من الأطفال ، حفاة



الأقدام عراة الأجسام إلا من ثياب مهلهلة لا تكاد تستر العورة ، وسيحملقون في الضيوف الكرام بأعين ذاهلة لم تتعود رؤية ذلك النعيم ، فسادتنا حكام الأقاليم يحرصون دائماً عند زيارة العظماء لأقاليمهم ألا تشهد عيونهم تلك الأجسام الريفية الخشنة القدرة ، وألا يلوثوا معدات الاستقبال الفخم ، بتلك المخلوقات التعسة التي تبدو كأنما هي غريبة عن البشر !

ويسرى الخبر في القرية فيجتمع الفلاحون على رؤوس حقولهم ، وقد حمل كل منهم فأسه أو أمسك بزمام دابته ، وضم ثيابه على كمية من الأمراض ، يطالعون السادة بوجوههم الصفراء وأجسامهم القدرة المهدمة وبؤسهم البادى الأليم .

وحين يدرك التعب حضرات الزائرين ، أرجوا ألا يمنحوا شرف ضيافتهم للعمدة وحده ، فحضرتة قد يكون في غنى عن هذا الشرف بشرف عمديته ، وإنما ألتمس أن يدخلوا أى دار من دور القرية ، ليروا عن كذب كيف يحيا أخونا الفلاح وكيف يأكل وكيف ينام !

وفي فناء الدار بجانب حظيرة البهائم وأمام الفرن

وأكداس الحطب والغاب ، يجب أن توضح خطة  
الإصلاح للقرويين ، الذين يحترقون ليضيئوا للناس وما  
أحسب حضرات المسؤولين في حاجة إلى أن أنبههم إلى  
أن الفلاح مهما طال زمن إضاءته ، فلا بد أن يحترق إذا لم  
تمده بعوامل الحياة ، ولنا الله يوم يحترق ويتركنا تتخبط  
في ظلمات المجاعة والشقاء .





مرث الأرضه بالآلات الميكانيكية في إيه



من الزهيرات البيضاء!

وقلت لصديقتي: اسمعي، هذه رغبة لا أقاومها، سميها  
ما شئت، واختاري لها ما يحلو لك من أسماء... ولكن  
يجب تحقيقها!

وتقدمت أتغلغل بين الأشجار المحملة بالأزهار والأثمار  
وتقدم مني صاحب الحديقة باسم مرحبا، فألقيت عليه

نشرت في الأهرام الغراء في ٢٨ من يوليه سنة ١٩٣٥





## والله .. هل يسمع المصير يوه ؟

أرأيتم ذلك الشاب البريء الممتلئ بالحياة ، يحكم عليه  
بالإعدام فينتظر الموت يسير إليه ببطء ولكن بالتأكيد ،  
ويموت في كل لحظة من هول التفكير في الغد وعذاب  
الانتظار ؟ لقد رأيت ذلك بعيني ، وكنت أسير مع صديقتي  
القروية بجوار حديقة ليمون في القرية - ولحداق الليمون  
في المنوفية سحر عجيب - فامتلاً أنفي برائحته النفاذة العطرة ،  
وأحسست بنشوة ذاهلة أغمضت لها عيني وأنا أستنشق  
الشذا في شهوة ونهم ، ثم تملكتنى رغبة جامحة في أن أعمل  
لرأسي تاجاً من الزهيرات البيضاء !

وقلت لصديقتي : اسمعي ، هذه رغبة لا أقاومها ، سمها  
ما شئت ، واختاري لها ما يحلو لك من أسماء ... ولكن  
يجب تحقيقها !

وتقدمت أتغلغل بين الأشجار المحملة بالأزهار والأثمار  
وتقدم مني صاحب الحديقة باسم مرحباً ، فألقيت عليه

نظرة عجلي ، ارتد إلى طرفي بعدها دامعا محزونا .  
كانت عيناه مثل كرتين صغيرتين من شدة الورم ،  
وقد سال منهما صديد أزرق لوث وجنتيه الشاحبتين ،  
وبدا على المسكين كأنه يعاني مجهودا هائلا ، ويستنجد بما  
بقي له من قوة إبصار ضئيلة مولية ، كي ينظر إلينا ، ويرينا  
في عينيه كرم الفلاح المصرى النليل ! كان يتسم لنا ، ولكنهما  
ابتسامة باهتة ، أبلغ في الدلالة على الألم من الثورة ومن  
البكاء . لقد جثمت كتلة لحمية منكورة فوق عينيه ، ولم يبق  
له إلا شق ضيق ينظر به نظرات الوداع ، وقد تعتريه نوبة  
إفراز الصديد فلا يرى شيئا !

وحدثته ، فأيقنت أنه يعرف مصيره المحزن ، وهو  
لذلك يود لو يقضى كل ما بقي له من وقت قبل أن يصير  
أعمى ، فى النظر إلى زوجه وأطفاله ، وفى التهام جمال حديقته  
التي ارتوت بعرقه ودمائه وقوته ، وهو يرى الزمن يلتهم فى  
جوفه تلك الأيام القليلة الباقية ، وعمّا قليل يسدل على عينيه  
ستار أسود حالك السواد ، لا يتزحزح ولا يريم ، ولا  
تجرى عليه سنة التطور والفناء مادام حيا ، وسوف يحجب  
عنه رؤية أطفاله وهم قطع من قلبه وكبدته ، ومشاهدة زوجه



البارة التي قاسمته حلو العيش ومره سنوات طوالا ، ثم  
ينكمش ذلك الفضاء السافر الرحب ، حتى يتلاشى ويكتشفه  
السواد !

وقلت ما يردده رجال مصلحة الصحة : ما عذرك  
والبلاد يحتلها جيش من أطباء الرمد ؟ وفيم السكوت  
المستشفيات تملأ المدن ، وتقدم إليك العلاج مجانا ، وترد  
إليك بمشيئة الله نور البصر ونور الحياة ؟ فأجاب وهو  
يبتسم ابتسامته الحزينة : لا طيب في القرية ، وحتى لو وجد  
فلا طاقة لي بأجره وثمان ما يصف لي من دواء ، أما  
المستشفيات ، فإن أستطيع أن أترك أطفالي وزوجي ؟  
وأين أعيش في بنها ؟ وأنى لي ثمن طعامي وأجر مسكني  
إني أفوض أمري لله ! عليه توكلت وإليه أنيب .

\*\*\*

وكما يجتمع أشات الجند حين ينطلق في المعسكر صوت  
صفارة القائد ، اجتمعت في دماغى من أغوار سحيفة ،  
أشات أفكار مبغثرة ، لم يكن ثم سبيل إلى تجمعها وترابطها  
لو لم ينطلق في رأسى صوت الرجل .

فلمصلحة الصحة جهود موفقة في خدمة الصحة ، ولكن

هذا التوفيق لا يمنع من الاعتراف بأنها جهود محدودة النتائج ، لأنها قامت على سياسة خاطئة ، فالمستشفيات كثيرة في المدن ، حيث الطرق مرصوفة يسهر على نظافتها عمال مصلحة التنظيم والمجالس البلدية والمحلية ، وحيث المياه نظيفة مرشحة موفورة ، وحيث أحقر المساكن يعتبر تصرا بجانب أبنية القرى ، وما أحسب أن في هذا مجالا واسعا لانتشار الأمراض المتوطنة ، وإن وجد فما أحسبه بالخطورة التي هو عليها في القرى .

يقينا إن المدن بحاجة إلى المستشفيات ، ولكن أما أن لنا أن نهتم بالقرية وهي أشد من المدينة عوزا ، وأحوج منها إلى الرعاية ؟ وأعرف أن مصلحة الصحة يرضيها ويقنعها كثرة المقبلين على مستشفيات المدن من القرويين ، ولكنه عدد محدود نسبيا ، استطاع أن يضحى بأرزاقه في سبيل الصحة ، بينما الأغلبية الساحقة من القرويين ، لا تبارح القرية مهما برح بها الداء ، وإلا فمل يفرون من المرض إلى الجوع ؟ إن القول بأن الصحة سبيل الكسب فيجب توضيحه في سبيلها ، فلسفة تصلح لملء الكتب والنشرات الصحية ، ولكن عقول الفلاحين الساذجة ،



لا تستطيع هضم هذه النصائح السلبية العميقة .  
وأعرف أيضا أن المصلحة تود لو أتيح لها تعميم  
المستشفيات في القرى ، ولكن إذا كانت تلك رغبة صادقة ،  
فإبال المصلحة جادة في إنشاء المستشفيات بالمدن العامرة  
بها حتى لتكاد تصيها التخمّة ؟ إننى أرى - والرؤية أهم من  
مجرد المعرفة - أنه بينما يقام فى القاهرة مثلا ، مستشفى فؤاد  
الأول ، وكان يغنى عنه مؤقتا مستشفى القصر العينى ،  
والرمد بالجيزة ، والحيمات بالعباسية ، والملك بالمنيرة ،  
والأمراض الصدرية بالمنيرة أيضا ، والبلهارسيا  
والانكلستوما والكلب بفم الخليج ، وبينما يقام مستشفى  
الولادة بالإسعاف ، بجانب عشرات مراكز رعاية الطفل ،  
بينما يقام هذا وذاك ، لا يبذل جزء من ألف من هذا المجهود ،  
فى القرى المفلسة ، التى يقابل هذه المستشفيات عندها  
أنواع شتى من الأمراض . . . الرمد والبلاجرا ، وفقر  
الدم ، والبلهارسيا والانكلستوما ، والملاريا ؛ كما يقابل  
مراكز رعاية الطفل ، ومستشفى الولادة ؛ حلاق الصحة  
والقابلات الجاهلات .

إن تلك المنشآت جديرة بالتقدير والإعجاب ، ولكن

كان يجب أن يسبقها إنشاء مستشفيات متواضعة - ولو في  
خيام - في القرى . والنفقات الباهظة التي تبذلها الحكومة  
بسببها في بناء مستشفى بالقاهرة ، يكفي لإقناذ قرى مديرية  
بأسرها ، ولست عدوة مثل هذا التجديد ، سيما في عاصمة  
البلاد ، ولندن ليس مما يشرف الحكومة ولا سمعة المصلحة ،  
أن تشيد أنخم المباني في المدن حيث يمكن الاستغناء عنها  
مؤقتا - وتضمن ببضعة جنيهات على كل قرية ، لإنشاء مستشفى  
متواضع ينقذ آلاف الأيدي العاملة والأجسام المريضة  
القادرة على خدمتنا .

وحسبك داء أن تبليت ببطنة \* وحوالك أكباد تحن إلى القد .

\*\*\*

كلها ذكرت أن مشروعى الطبيين المصلحين ،  
عبد الواحد الوكيل وشاهين باشا في إصلاح القرى ، لا يزالان  
يتمتعان بالنوم العميق في مكاتب المصلحة ، ظهر لى ضالة  
الأثر الذى قد تحدثه كلمات فتاة نكرة مثلى - لا فى العير  
ولا فى النفير - ولولا بقية من الصبر يتماسك بها الصدر



وشىء من الأمل يتعلل به القلب ، لحطمت قلبى واحترقت  
فى صمت !

ولكن ألا يعزينا أن نعلم أن لجنة إصلاح مياه القرى ،  
التي يرأسها سعادة وكيل الداخلية للشئون الصحية ، تفكر  
جديا فى المسألة ، وأن المشروع قد اعتمد له مليونان من  
الجنيهات فى خمس سنوات ؟ ترى هل تحقق الحلم وكان  
لصرخاتنا صدى ، لعل وعسى !

فلنرغب عن كשב ما ستفعله اللجنة ، وإلى أن يتم لها  
إنقاذ القرويين من الماء الملوث ، يجب ألا ننسى ضرورة  
التعجيل بإنشاء المستشفيات فى القرى ، وردم البرك ،  
وإصلاح المساكن ، ولمصلحة الصحة فى هذا كله الكلمة  
الحاسمة ، فهى المسئولة أمام الله والوطن والتاريخ ، عن  
حياة ١٥٩١٣ ر ١٢١٣ من المزارعين - الإحصاء الزراعى  
الآخر - وما يقرب من مليون من القرويين غير المزارعين ،  
فى أمة يبلغ عددها خمسة عشر مليوناً ، ومن حقهم أن يعيشوا  
وآلا يبلغ بهم الشقاء إلى الدرجة المحزنة ، التى وصفها  
الدكتور محمود عزمى القبطان بقوله : « الماء الجارى ،  
والصابون ، والبشكير ، الذى لا يعد شيئاً فى نظر الخاصة

هو الترف بعينه عند الملايين من مواطنينا الفقراء ! »

\*\*\*

والآن إلى وزارة الزراعة ...

ما نصيبها من المسؤولية ؟

لأ كاد أفكر في هذا حتى تبدو لي حقائق تدفع اللوم  
عن وزارة الزراعة في حرارة وإخلاص ... فهي رغم  
كونها المشرفة على ثروة الأمة ، لاتنال من الميزانية إلا  
٦٥٧ ر ٧٤٢ جنيهها وهذا لا يزيد عن ٣٥ ر ٢٪ من مجموع  
مصروفات الدولة . ويدخل في هذا الرقم التافه إيجار  
المزارع التي تؤجرها الوزارة ، وغير ذلك من أبواب  
المصروفات .

ولكنها رغم هذا المبلغ الضئيل تجاهد جهاداً ظاهراً  
في محاربة الجراد والدودة وخدمة الزراع ، ولها في الريف  
موظفون هم أكثر موظفي الدولة اتصالاً بالزراع .  
ولكن رغم هذا كله ، فالفلاحون لا يزالون كما كانوا  
يهيمون في شقاء أليم ، وهم باعتراف سعادة كامل بك ابراهيم  
وزير الزراعة « أكثر الطبقات تأثراً بالأزمة ، لأنهم  
يضطرون إلى الاستدانة ، ويعجزون في أغلب الأحيان



عن أداء ديونهم وفوائدها الفادحة ، وهم بعد هذا كله ،  
آخر من يتخلصون من أثقال الأزمة وأضرارها . »  
وفي هذا الشقاء المخيم على القرى ، دليل على أن أثر  
الإصلاح لا يتناسب مع فداحة مجهود وزارة الزراعة ،  
ويقينى أن هذا يرجع إلى أن العلاج بنى على تشخيص  
خاطئ للمرض ، فالوزارة حين تصدر عدة مطبوعات ،  
وصوراً رمزية للإرشاد ، تنسى أن القرويين جميعاً أميون ،  
وأن تلك الصور الرمزية تحتاج إلى مستوى راق من الفهم  
لا يتوفر حتى للعدد المحدود من القرويين ، الذين تعلموا  
مبادئ القراءة والكتابة ، وتجهل أن الرأى فى الريف  
المصرى لا يزال عند الاعتقاد بأن ( فك الخط ) هو العلم  
الغزير !

والوزارة حين تعتمد إلى المذيع والخيالة والصحف  
لتبليغ رسالتها الإرشادية ، تنسى أن القرى على الإطلاق  
لا تعرف من هذا الترف السكالى إلا اسمه وما يحيط به  
من خيال مغر !

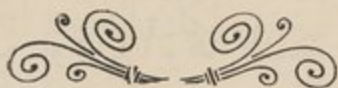
أما الموظفون الذين تعتمد عليهم الوزارة فى الإرشاد ،  
فيجب أن تتركهم لتنفيذ القوانين وجمع الإحصائيات

وتحرير محاضر المخالفات ، ومن الإرهاق لهم أن نطالبهم  
بإرشاد الفلاح ، ومن الحق منا أن نطلب إلى الفلاح  
الوثوق بهم والركون إليهم ، وهو يراهم أداة إرهاق في  
يد السلطة الحاكمة !

على أن مهمة وزارة الزراعة لا يجب أن تقف عند  
حد الإرشاد ، فواجبها الأول ترقية حال الفلاح الذي  
هو المنبع الأول لخزانة الدولة ، إن الضرائب الفادحة التي  
تبلغ ١٧٠ قرشاً عن الفدان الواحد في بعض الجهات  
— المنوفية مثلاً — والتي تفرضها الوزارة على المخلوق  
التعس الذي لا يكاد يجد ما يتبلغ به ، هذه الضرائب ليس  
من الحق ولا من العدل بقاءها ، فالفلاح المثقل السكاهل  
بها ، هو آخر من يستفيد منها ، ألا ولتذكر الوزارة أن  
إرهاق الفلاح بضرائب لا يستفيد منها شيئاً ، ولا تحملها  
ميزانيته المحدودة ، وقسوة بعض محصيليها في تنفيذ القوانين  
الزراعية ، يدفعان بالفلاح إلى أيدي المرابين ( وبنوك  
الرهونات ) يعتصران دمه وقواه ، ويتركانه بعد ذلك كتلة  
ذليلة يغمرها عار الفقر والإفلاس ، وهو الذي يعمل  
ويعمل حتى تنخور قواه !



إن إعلانات البيوع الجبرية ، التي تحتل أكبر مكان  
من الصحف الأهلية والصحيفة الرسمية ، دليل على تقصير  
الدولة في حماية مواطنينا التعساء ، وإرهاقها إياهم إلى الحد  
الذي تباع فيه مواشيهم ودورهم ، وتنتزع اللقمة من  
أفواههم ، فمتى يتحرر الفلاح من كابوس الشقاء الجاثم  
على صدره يخنقه حتى ليكاد لا يسمح له باستنشاق الهواء ؟



## مقائى عجيبه

سألته فى ضراعه وابتهاى أن تصحبى فى جولة قصيرة ،  
فى أنحاء القرية المتشحة بالسواد ، وكان سكون القرية فى  
تلك الأمسية الحزينة يغربنى بالخروج ، ولو حرمت صديقتى  
القروية من ساعة تعودت أن تستريح فيها وتخرج بالنوم  
أثناءها من عالم الشقاء والأحزان ، كما قال شاعرنا أبو العلاء :  
وفضيلة النوم الخروج بأهله

عن عالم هو بالأذى مجبول .

وكانت صديقتى نذيلة حين تلفعت بخمارها وتبعتنى فى  
صمت ثائر عجيب . وقال أبوها الشيخ : سأخرج معكما  
ولكن إلى أين ؟ قلت إلى حيث تقودنا أقدامنا ، ترى كم  
يخفى هذا الظلام من شقاء ؟ وكم من نفس تبیت فيه على  
الطوى ! ؟ فرددت الفتاة : أنا أفهمك . وصمتت لحظة ثم  
قالت : ما أشقانا بحنانك ! كان لنا أن ننعم بقربك طويلا  
لولم تشرشفقتك علينا ، ولو لم ينسك شقاؤنا جمال الريف .



وسرنا كأشباح تدثرت بأثواب الظلام ، ولم تتحدث  
طويلا ، شغل كل منا عن الآخرين بأفكاره ! ولعل الشيخ  
كان يفكر في دودة القطن تحتل في تلك اللحظة ضيافة  
كارهة من حقله ، وتأتي في نهم على ثروته وثمره جهاده ،  
ولعل الفتاة كانت تفكر في الأيام السعيدة التي قضتها في  
ضيافتي ببلدتي الشاطئية الساحرة . أما أنا ففهم كنت أفكر ؟  
لا أذكر بالتحديد فقد اعترتني ليلتئذ غيوبة ذاهلة .

\*\*\*

بدا المكان صامتا في غير وحشة ، وخلا من كل صوت  
إلا من همسات خافتة لاهثة كأنها أنفاس الملائكة أو حركات  
أشباح غير منظورة تحتل المكان الوادع الجميل ، وكانت أمسية  
فاترة تغرى بالخنول ، بينما وقفت أشجار السرو والجميز  
الضخمة المعمرة كالأشباح ، تن في صوت هامس ويلبسها  
الهواء فترتعش وتهتز ، ثم تتساقط أوراقها الذابلة الصفراء  
على الأرض الداكنة في صوت مخنق أجش كأنه حشرة  
الموت .

وأدهشني أن أجد جمعا من صديقاتي القرويات ،  
يملأن المكان حولي ويفدن من كل حذب وصوب ، وعلا

ضحكهن المرح في الفضاء الساكن ، وبدت في عيونهن رغبة  
مخلصة صادقة في إشعاري بالراحة والاستمتاع .  
وكان نقيق الضفادع يبعث في القرية الساكنة نوعا من  
الحياة المجردة ، فجعل منها مرح الفتيات حياة مرحة ، فيها  
قوة وفيها شباب !

ولم يكذب الشيخ حين أكد لي أن وراء ثياب القرويين  
البالية المهلهلة ، نفوسا كريمة عفة ، وأن في الأبنية القروية  
الحقيرة قلوبا رحبة نبيلة ، تسكن في الهياكل الشاحبة  
المريضة ، فما مررنا بدار إلا وألح أهلوها في إضافتنا لتناول  
العشاء وقدح القهوة ، ولم يكن ينجينا من إلحاحهم وتشبههم  
أيماننا المغلظة بأننا تعشيننا والحمد لله ، وأن معدة الفرد منا  
لا تسع عشرات « أقداح القهوة » وكان كل قروي يقول :  
« شرفونا ياسادة ، الخير كثير والحمد لله » كم وددت لو أن لي  
طاقة على تحمل ضيافتهم كلهم ، حتى لا يذلمهم على بعوزهم  
وفقرهم !

\*\*\*

فيم المرح ؟  
لم أجروا على الجهر بسؤالى وتعكير صفو صديقاتى



وهن يبعثن في حواشي الليل ، بأغانيهن المرححة الفتية ، روعة  
تنسى الإنسان ماهن فيه من بؤس . وحاولت ان أندمج  
معهن في أفراحهن وأشترك في الغناء الريفى الساذج . فأقعدنى  
عن ذلك عمق شعورى بعوزهن ، كنت أعلم يقينا أن إحداهن  
تركت دارها وما فيها شيء يؤكل ، وشاهدت أخرى متخفية  
في بنها تتبع أقراسا للوقود صنعتها من روث البهائم ، بينما  
لمحت ثالثة تسطو على لقيمات قدرة وضعت في حظيرة  
المواشى بأحد الحقول ، وتمسحها بطرف ثوبها ثم تلتهمها  
في شهوة عجيبة ، فكيف لمن هذا الصوت الحنون ينطلق  
داويا رنانا في سكون الليل البهيم ؟ وهمست في أذن والد  
صديقتى أسأله إنقاذى من حيرتى ، فلمعت عيناه ببريق الحزن  
وقال :

يظهر يا ابنتى أنكم في المدن ان تلبسوا حقيقة ما نحن  
فيه من بؤس مستبد ، إلا إذا متنا جوعا وتراكمت جثتنا  
بجانب حقولنا ، وإلا فما دمنا نتحرك ونجى ونروح ،  
فالفلاحون بخير ، وفيهم القوة على تعمير الخزانة وإنتاج  
الخيرات . للكثيرين منكم آراء عجيبة لا تجوز في غير  
مصر . لقد شاهدت بعينى جميع الكبراء يسرون في

جنازة المغفور له عدلى يكن باشا كما اجتمعوا فى تشييع  
كل كبير من قبل ، وكما سيجتمعون من بعد ! رأيهم يتحدثون  
ويتصافون فنسيت الأقدار التى تلوث بعض الصحف  
السياسية ، والفضائح التى تكال جزافا لكبار المصريين ،  
وتساءلت لم لا يتحدثون هكذا فى إنقاذ مصر ؟ ولم لا تتفق  
كلمتهم على الإصلاح ؟

قلت وقد أخذت فلسفته الرائعة : ذلك حق يا أبى !  
قال وهو يتأمل : والفلاح يا ابنتى ؟ أوكد لك أنهم لن  
يشعروا بحاجته إلى الإنقاذ العاجل إلا إذا مات الفلاحون  
جوعا . إن شقاءنا ليس وليد اليوم ولكنها وراثه مثقلة  
يتوارثها الحكماء منذ آلاف السنين ، لقد لمست بيدك نوع  
الشقاء الذى نهيم فيه ، ومع هذا تخدعك ابتسامة هؤلاء  
الفتيات ويغرك مرههن فتتساءلين فى المرح ؟ ولو كنت  
ريفية صميمة لأدركت مثلى أن وراء هذا الضحك نفوسا شقية  
تجتر آلامها ، ويهد الجوع والمرض كيانهما هدا . إنها رحمة  
الله يا ابنتى ، تنزل فى قلوبهن ساعة يجتمعن حول الضيف ،  
فتنسيهن إلى لحظة قصيرة ثورة الجوع ومرارة العيش ! إنه  
الصبر يا ابنتى ، تعودناه منذ تفتحت عيوننا على القرية المهملة



المتروكة ، ولولا ذلك لهدمنا العوز والحزن ، ومن لم يهدمه  
الحزن انتحر بيديه !

قلت : إني لأعرف يا أبى أى بؤس تهيمون فيه .  
إن أجسامكم المنهكة تعمل فى الحقل وتعمل فيها الأمراض ،  
ولهذا أسالك السر فى تحمل أجسامكم . قال : الصلاة يا ابنتى  
وعزاء الايمان والتسليم لما كتب علينا ، والنوم المبكر  
والاستيقاظ المبكر ، وشئ من القوة تمدنا به الشمس والهواء ،  
والحياة العائلية الفطرية التى يتعاون كل فرد فيها مع الآخرين  
فى تسهيل مشاق العيش ، ولولا ذلك يا ابنتى لما كان هناك  
عيش أو كان ثم بقاء .

وسكت الشيخ ، فأطرقت فى ذهول أصغى إلى نغمات  
صوته الحزين ، تتجاوب فى صدرى وقلبي حافلة باللوعة  
والأنين ، وزميلاتى المخدوعات يحسبن أننى أصغى إلى  
أصواتهن الحافلة بالجمال والفتون !

\*\*\*

أنحسبون الفلاح الشيخ مبالغاً؟ إذاً فأنصتوا إلى الحقيقة  
يعترف بها الدكتور أحمد حسين مفتش قسم التعاون فيقول  
« إن الزراع المصريين - وغالبيتهم العظمى من صغار  
الملاك - يعيشون عيشة لا تليق بشعب ناهض راغب فى

التقدم . وذلك رغم ظروفهم المواتية من جو معتدل ،  
وتربة خصبة ، هذا إلى جلدتهم في العمل ، وقناعتهم باليسير  
من مطالب الحياة »

\*\*\*

لقد بلغت ضرائب الأطنان والقطن في سنة ١٩٣٣  
ستة ملايين من الجنيهات الإقليلا ، فإذا أضفنا إليهما ما يقرب  
من ستة ملايين أخرى ، وهى ما تكسبه الدولة من الفلاحين  
بطريقة غير مباشرة فى الرسوم الجمركية لغير الدخان البالغة  
٤٧٢ ر ٢٧٤ ٧ جنيهاً مصرياً ، ورسوم الحفر البالغة مليوناً  
ونصف مليون من الجنيهات ، كان مجموع ما يدفعه الفلاحون  
اثني عشر مليوناً من الجنيهات ، وذلك من جملة إيرادات الدولة  
التي بلغت ٣٧١٣٩٨٨١ جنيهاً مصرياً ، فى ذلك العام ، وهذا  
يقرب من ثلث إيراد الدولة ، فقيم إهمالنا للزراعة ،  
واحتقارنا للزارعين ؟ أفيحسب البعض أن فى استطاعة  
مصر الاستغناء عن ثلث إيراد الدولة ، وعن قمح الفلاح  
وقطن الفلاح وجهاد الفلاح ؟

كل ما أرجوه هو ألا يخذعنا تحمل الفلاح آلافاً من  
السنين ، فقد يتحمل سنوات أخرى ، ولكنى أعتقد أن



قوة التحمل فيه قد تلاشت ، وأن الصبر على شقائه لم يعد  
مستطاعاً ؟ وإذا ظننا غير ذلك فويل لنا منا ، فنحن نقتل  
أنفسنا بأيدينا .

إن المسائل الزراعية تحتل مكاناً ظاهراً من اهتمام  
المسؤولين ، ولكننا تعودنا أن نهتم بها على حساب الفلاح  
المسكين ، وقد حان الوقت لنفهم أن إنماء ثروتنا الزراعية  
لمن يكون عن غير طريق إصلاح القرية .



## فتياتنا والتعلم الزراعى

فى كثير من المزارع والألم، قرأت خبر رفض قبول  
الفتيات فى كلية الزراعة، وأذهلنى أن يحال بينهن وبين  
المدرسة الوحيدة التى تحتم ظروفنا وبيئتنا الزراعية وجوب  
قبولهن فيها.

وفى الحقيقة ماذا يغرى الفتيات بهذه الكلية ؟ هل  
يتطلعن إلى وظائف ظفر بها زملاؤهن الطلبة ؟ أم تعجبهن  
الحياة الريفية التى يرشح خربجو الزراعة للمعيشة فيها ؟  
أما عن مستقبل طلبة الزراعة فليس فيه ما يغرى فى مثل  
تلك الظروف العصيبة ، التى بلغ من قسوتها أن عين بعض  
حملة شهادة الزراعة العليا ، بأجر يومى كما يعين صغار العمال ،  
وأما عن حياة الريف فليست فى حالتها الراهنة إلا حياة  
قدرة ألמה يغمرها العوز والشقاء والظلام ، ويبقى بعد  
هذين ، الميل الطبيعى وحده ، وهو الذى يدفع الفتيات إلى  
صرف خمس سنوات - هى خير سننى حياتهن - فى تعلم الفن



الزراعى ، وهذا الميل القوى هو أقوى عوامل النجاح ،  
وهو جدير باحترامنا وتقديرنا .  
والأساس الطبيعى المعقول لإنشاء المدارس هو  
أن تنشأ نتيجة لحاجة الشعوب ، ولست أعرف مدرسة  
في مصر تلح الضرورة فى انتساب الفتيات إليها مثل  
مدارس الزراعة .

\*\*\*

الريف المصرى محروم من الروح النسوية الرقيقة ،  
تهذب خشونة الحياة فيه ، وتنير ظلامه بنور الجمال والسلام ،  
وتحيل حياته القاسية الفقيرة إلى حياة فتية فيها سلوى وفيها  
عزاء ، وسيظل هكذا محروماً من تلك الروح ما دامت  
الفرصة لاتتاح للفتاة كى تحب الحياة الريفية البسيطة  
السادجة ، مع أنها لو درست تلك الحياة ، لأحبت القرى  
والمزارع وأسرفت فى ذلك الحب ، فإن الجمال الريفى إذا  
أتيح له أن يتخلص من شوائب القذارة والفقر والمرض ،  
لبدا رائعاً جميلاً أخاذاً .

الفتاة المصرية تفر من الريف وتعتبر نفسها شقية تعسة  
إذا قدر لها أن تحيا هناك بعيدة عن المدن الحافلة بالمغريات

وترفض الزواج من ساكن القرية مهما كان له من ظروفه  
وهو هلاته ما ينسبها مرارة التضحية التي تتوهمها ، وهذه  
ظاهرة خطيرة لها ما بعدها ، فما دامت الفتيات المتعلقات  
يبلغن الريف ، فسوف يظل مغموراً بما يتخبط فيه من  
ظلام .

تكن في الريف المصرى أسرار جمال قوى يكاد يجعله  
أشبه بالجنة ، لولا هذا البؤس المظلم الذى يغمر القرى ،  
ويفرض على القرويين التعساء حياة وضيعة شقية ، ولقد  
أتيح للجمعية الزراعية الملكية أن تكشف لنا عن جمال  
الريف ، حين خلصت قريتها بهتيم من شوائب القذارة  
والمرض الذى يغمر القرى عادة ، فبدت القرية النموذجية ،  
جنة وسط المزارع والحقول ، وما أحسب الجمعية ندمت  
على عشرة آلاف الجنيهات التى صرفتها فى إنشاء تلك الجنة  
وحسبها أنها أنقذت مزارعيها من حياة ذليلة ، يحياها بقية  
الزراع فى مصر ، وما أشك فى أن انتاجهم سيزيد ويعوض  
الجمعية عما بذلته .

فلم لا نترك الفتيات يحملن الرسالة ، ويتمتعن بذلك  
الجمال ؟



روعة الفن ، وسحر الطبيعة







دراسة الزراعة تحجب الفتاة في الريف وتقربه إلى قلبها ، وتفتح عينيها على الجمال المتغلغل في المزارع والقرى ، وتثير في قلبها نوعاً من الرثاء للقرويين ، والرغبة المخلصة في إسعادهم ، فإن كنا لا نحترم ميل الفتيات إلى الدراسة الزراعية ، فلا أقل من أن نصل بين الفلاح الوافر الشقاء ، وبين قلب الفتاة الممتلئة رقة وحناناً ، ولا أقل من أن نمهد السبيل لمعيشة عنصر نسائي مثقف في القرى المصرية .

\*\*\*

لو أتيح لنا أن نقوم بإحصاء شامل عن عدد الفتيات اللاتي رفضن الزواج من الموظفين في القرى ، لهالتنا النتيجة ولروعنا أن يقف جهل الفتيات بجمال الريف ، في سبيل إنشاء أسر متعلمة تبعث في الريف شيئاً من الحياة ، ولآلئنا أن يخسر الوطن تلك الأسر الجديدة النافعة ، كما آلم ولاية الأمور في فرنسا ، حيث لاحظوا تلك الظاهرة الخطرة ، وهي فرار الفتيات من سكنى الريف ، وكان من المحال أن يجد المهندس الزراعي فتاة متعلمة تقبل الزواج منه ، وترضى بالحياة الريفية الجافة ، وكاد الشبان ينفرون من التعليم

الزراعى لولا أن تداركت الحكومة الأمر ، فأنشأت  
مدرستين زراعتين للفتيات ، إحداهما للغنيات المثقفات  
اللائى يردن دراسة الزراعة كفن مسل رابح ، يتعلمن فيها  
فلاحة البساتين وغرس الفاكهة وزراعة الخضر والتكاثر  
الخضرى ، وهذه الدراسة تعدهن لحياة ريفية سعيدة ،  
فكانت النتيجة أن غمرت القرى هناك موجة من التهذيب ،  
أتاحت للفلاح الشقى المجاهد حياة ممكنة ، فى المناطق التى  
سعدت بوجود هذه العائلات المتعلمة الحريصة على النظافة  
والجمال . والمدرسة الأخرى ، للقرويات اللائى يشتغلن  
بالزراعة ويشاركن أزواجهن فى العمل الزراعى ، فيتعلمن  
الطرق الصحيحة النظيفة لحلب اللبن وصناعة مستخرجات  
الألبان وتربية الطيور والنحل والماشية ، فيكون للفتاة من  
هذه الدراسة صناعة رابحة مضمونة الفائدة ، تخفف عن  
أسرتها عبء الفقر وقسوة الحاجة .

وما أحوجنا فى مصر إلى هذين النوعين من المدارس ،  
حتى نقرب بين القرية وبين الفتيات المتعلّمات ، فلا ينفرن  
من الحياة فيها ، وحتى تجدد الفتاة القروية من دراستها عوناً  
لها ولأسرتها على شظف العيش وقسوته ؟



إن نساءنا القرويات جميعاً يشتغلن بالزراعة ، فلم  
لأنوجهن توجيهاً صالحاً ولعل في استطاعتهم إنقاذ ذويهن  
من الفقر الأليم ، عن طريق الصناعات الزراعية الراجحة ؟  
لو أتيح لأحدنا أن يشهد كيف تحلب نساؤنا القرويات  
اللبن ، وكيف يجهزن اللبن والزبد ، لأنف من مجرد رؤيتهما ،  
فالفتاة تذهب أحياناً إلى البقرة وآثار روث البهائم لاتزال  
في يدها ، وتضعه في إناء قدر يعلوه التراب ، ثم تغطيه بقليل  
من حشائش الأرض ، بينما يشهد الإنسان فتاة سويسرية  
تحلب اللبن فيود لو يلتهمه من يدها دافئاً ، وينسى أمام  
روعة النظافة وإغرائها ، حكمة الإغلاء وأناقة الموائد .

\*\*\*

لقد عارض الكثيرون في مسألة قبول الفتيات بمدارس  
الزراعة ، وكانت حججهم في ذلك أن الوظائف الزراعية  
التي يرشح لها خريجو الزراعة تقتضي جلدأً وقوة ليسا  
للفتاة ، وأن الدراسة الزراعية تتطلب مجهوداً شاقاً هوأً كثر  
من أن تتحمله الأنوثة الضعيفة ، فاما عن مسألة الوظائف  
الزراعية فيدحضها كون الفتاة تلتحق بمدرسة الزراعة وهي

تعرف يقيناً أن الحكومة أن تتعهد بتوظيفها ، وليس يكفي أن نمنع الفتيات عن مدرسة ما ، لمجرد توهم أنهن قد يطالبن بوظائف لا تتقيد الحكومة بها .

وأما عن صعوبة الدراسة فقد أثبتت الفتيات في جميع الدراسات والأعمال التي قمن بها ، أن لهن جلدأ على العمل وتصبراً ، هذا إلى أن الفتيات لا يجملن هذه الصعوبة ، بل يقدرن مداها حق التقدير ، قبل أن يطلبن الالتحاق بتلك المدارس .

على أن النساء قد اقتحن على الرجال كل شيء ، فالتحقن بمدارس الطيران وفيها من الخطر على الحياة ما لا تقاس بمثله مشاق الزراعة ، والتحقن بكليات الحقوق مع أن القضاء لن يعطل يوماً ما لقلة المحامين الرجال ، والتحقن بمدارس التجارة وللتجارة مفاجأتها الرهيبة ، ومواقفها الدقيقة ، وهن في كل هذه الحالات يجدن وسيلة للكسب ولكن على حساب الشبان ، ويشغلن وظائف لا تتفق وطبيعتهن وما يجب لأنوثتهن من حرص وحياء ، وكان يجب أن يشغلها شبان عاطلون الآن ، ولكننا رغم هذا خضعنا للظروف الشاذة التي خلقتها الحرب العظمى ،



وتركناهن يقتحمن على الرجال تلك الأعمال ، فلم نحول  
بينهن وبين التعليم الزراعى الذى يتفق واستعدادهن ،  
ويلائم بيئتهن المصرية ، وسيكون من ورائه إصلاح القرى ،  
وإنماء الثروة القومية التى تعتمد على الزراعة كل الاعتماد ،  
وإيجاد عمل مسل راجح لكثير من الفتيات ، دون المساس  
بمصالح الشبان ؟

\*\*\*

بعد هذا كله لا أتردد من الاعتراف بأن مدارس  
الزراعة فى برامجها الحالية ، ونظامها الراهن ، لا تكاد تصلح  
للفتيات ، ذلك لأنى لا أغفل الفرق بين طبيعتى الفتى والفتاة  
واستعدادهما ، بل وألح فى التفريق بينهما فى برامج التعليم  
بحيث يراعى فى هذا التفريق ، اختلاف مركزهما المستقبل  
فى الحياة .

فى البرامج الحالية لمدارس الزراعة ، بعض مواد ترهق  
الفتاة ، كعملية التدخين والحرث والعزق فى حقول التجارب ،  
ولئن كان المستقبل للآلات الزراعية التى ستعفى الطلبة من  
مثل هذا الاستعداد ، إلا أن مسألة تعديل البرامج أمر سهل ،  
متى سلطنا جميعا بوجوب قبول الفتيات فى مدارس الزراعة

وما أحسب أن كلية الزراعة يعز عليها تأليف لجنة عاجله ،  
تعد نظاما خاصا للفتيات بتحويل برامج الطلبة ، كما تم في  
التعليم الثانوى هذا العام .

إنى أعتقد يقينا أنه متى توفرت لدينا الرغبة فى قبولهن ،  
ومتى سلطنا بأهمية ذلك القبول ، فإن التعديل سهل ميسور  
كما كان سهلا ميسورا فى التعليم الثانوى ، حيث تم فى فترة  
قصيرة معقولة ، ولم يمنع اختلاف البرامج ، تساوى الجنسين  
فى الشهادة العلمية والدرجة .

مدارس الزراعة هى المدارس الوحيدة التى يمكن أن  
تتعلم الفتيات فيها علم أصول النبات والحشرات والبكتريولوجيا  
والكيمياء ، والصناعات الزراعية وفلاحة البساتين ، وسوف  
يكون منهن طلائع الإصلاح فى القرى ورسول النهضة بين  
أهلها .

على أنى لا أطالب بقبولهن فى كلية الزراعة فقط ، وإنما  
ألح فى إنشاء مدارس زراعية أولية ومتوسطة فى عواصم  
المديريات ، فقد آن الأوان لى نهتم بالتعليم الزراعى ونشر  
ثقافته فى بلادنا الزراعية التى أقامت مجدها على أسنة الفئوس .



فلنفسح الطريق للفتاة كي تتغلغل في الريف وترى  
بعينها أى نوع من الشقاء يتخبط فيه الفلاح ، وأية حياة  
ذليلة مريضة يحياها ، ولنتركها تدرس الزراعة لتؤدى رسالة  
الحياة فى هذه القبور المهجورة التى طال اشتغالنا عنها ، ثم  
فلنذكر دوا ما أننا لا تنقصنا وسائل إصلاح القرى بقدر  
ما ينقصنا صدق الشعور بشقاء الفلاح ، وصدق التقدير  
لحاجتنا إلى الفلاح ، وأخيرا صدق الاهتمام بإصلاح  
الفلاح !



## اقتراع جبرى

ترددت طويلا قبل أن أكتب كلمتى هذه ، وتهيبت  
البحث فى مسائل فنية ليس من الحكمة درسها على المكتب ،  
وليس من السهل إيجاد حلول عملية ممكنة التنفيذ ، مهما  
ترأت لنا حلول نظرية كثيرة .

فى وصف شقاء الفلاح ، لم أكن فى حاجة إلا إلى عين  
تبصر ، وقلب يحس ويشعر ، وقلم يترجم ويعبر . وكانت  
خبرتى العادية فى الشؤون الاقتصادية ، واتصالى بمعيشة  
الزراع ، يسهلان على تلك المهمة ، ولكن مسألة وضع  
الخطط الإصلاحية للريف ليست كذلك ، إنها تقتضى  
خبرة فنية لا أجروء على ادعائها ، وتستلزم بحوثاً عملية  
منقحة لا أتحل إمكان القيام بها .

كان هدفى الوحيد فى بحوثى الريفية ، إثارة الاهتمام  
بإصلاح القرى ، وكانت وسيلتى إلى تلك الغاية ، محاولة  
وصف البؤس الأليم الذى يهيم فيه الفلاح والحياة المنحطة



التي يحياها ، فأما طريق الإصلاح فأنا أتركه للمسؤولين عن  
شقاء الفلاح وللفنيين وذوى الخبرة .

ولكن كيف يضع الفنيون خطة الإصلاح ؟  
في هذا فقط أستطيع أن أقترح اقتراحاً جدياً أرجو  
أن يكون له صدى .

\*\*\*

مسألة إصلاح القرية ورفع مستوى معيشة الزراع  
الأشقياء ، تقتضى دراسة كاملة عاجلة لنواحى الانحطاط  
الذى يهيم فيه الفلاح ، ويلزمها بحث شامل لحياته تشترك  
فيه الهيئات المسؤولة جميعاً ، وفى مقدمتها وزارتا المالية  
والزراعة ، ومصلحة الصحة وإدارة الأمن العام وقلم قضايا  
الحكومة ، ثم الجمعية الزراعية الملكية وجمعية خريجي  
مدارس الزراعة . فلو عقد مؤتمر زراعى عاجل يتوفر على  
بحث الداء ووصف الدواء ، لتيسرت للفلاح الشقى المجاهد  
حياة ممكنة معقولة ، ويقضى أن الجهود الفردية الموزعة بين  
الهيئات المختلفة بطيئة الأثر وإن كانت محققة الفائدة ،  
والرأى عندى أن تتعاون هذه الهيئات جميعاً فى إيجاد خطة

منظمة حاسمة للإصلاح ، فتقوم وزارة المالية بتخفيف الضرائب التي ترهق الفلاح وتدفعه قسرا إلى أيدي المرابين الظالمين ، وتتكفل وزارة الزراعة بحماية الملكية الصغيرة في بلاد يقول عنها عميد كلية الزراعة إنها «عريقة في الزراعة والزراعة هي جل رأس مالها» والإرشاد المنتج الذي يسهل على الفلاح إدراكه أولا وتنفيذه ثانيا ، وفي الوقت نفسه تخصص مصلحة الصحة أكبر مجهود ممكن في إنقاذ الفلاح من المياه الملوثة والمسكن غير الصحية والبرك التي تحمل عوامل الفتك بالفلاح المسكين والقضاء عليه . بينما تتكفل إدارة الأمن العام وقلم قضايا الحكومة بالإشراف الفعلي على العمدة الظالمين وحماية الفلاح من استبداد بعضهم بقانون حازم صريح ، وإلغاء قانون العونة الذي لا يحترق بناره إلا الفلاحون الأشقياء ، ويأتي ذلك بتفسير قانون تحريم السخرة في صالح الفلاح وعدم التقيد بحرفية القانون ، والتغلغل في روحه لفهم أن قانون العونة ليس إلا نوعا من السخرة البغيضة ، وبجانب هذه الجهود المتكاثفة تنتفع الأمة بنشاط الجمعيات الزراعية في إصلاح الأراضي البور



وإنشاء مناطق زراعية تساعد على ترقية حال الفلاح وتخفف الضغط الهائل على الأراضي المنزرعة الآن والتي يسكنها ٩٩.٠٪ من مجموع السكان، بينما لا تبلغ مساحتها أكثر من ١٪ من مساحة القطر المصري، وتمهد العيش الهنيئ المنتج لعشرات الآلاف من العمال العاطلين والمزارعين البؤساء.

\*\*\*

ثم فلا تكن عملية إلى حد ما، ولأتساءل مع المتسائلين. «أمن الممكن إنكار اللجان التي تألفت وتتألف في سبيل الفلاح؟» في هذا لا أعارض! لقد اجتمعت لجان كثيرة، أكثر مما أبغى ومما أطلب! ووضعت مقترحات عدة، وتنفذ بعض هذه الاقتراحات.

ولكن ماهي الفائدة العملية التي اكتسبها الفلاح أخيراً؟ هل ارتقى مستوى معيشته فأصبح يحيا كإنسان؟ هل خف هجوم الأمراض المستوطنة التي تكمن له في كل شبر من أرض القرية وفي كل قطرة من مياهها الملوثة، وفي الهواء الذي يستنشقه متشبعاً بأبخرة البرك والمستنقعات؟

هل صار يشعر بإنسانيته ويهتم بنظافة ثيابه وجسمه  
ومسكنه ؟ هل زاد إنتاجه أو احتفظ بمستوى إنتاجه  
العادي ؟ وإن كان فبأى ثمن ؟ هل تيسر له الغذاء الكافى  
المتواضع والحياة الآمنة المطمئنة التى تحجب إليه العمل  
والجهاد ؟

لست أجيب على هذه الأسئلة . وإنما أطلب إلى أولى  
الأمر أن يبسطوا للناس النتيجة العملية التى عادت على  
الفلاح من عشرات اللجان التى كثرت حتى لم تعد  
ذا كرتى تقوى على اختزان أسماؤها ! ولست أحب أن نقرأ  
الأسلوب الذى تعودناه من نحو ( قامت المصالح المسؤولة  
بنصيبتها من المسؤولية ) . وإنما أحب أن تبسط الفوائد  
الجدية المعقولة التى عادت على الفلاح من برامج الإصلاح ،  
وإلى أن نظفر بهذا البيان لا بأس من الجهر بأنى  
لا أعترف بسبق وجود برامج إصلاحية ، تمس حياة  
الفلاح بطريقة مباشرة ، وكل ما تم منها كان يقصد به  
زيادة الإنتاج ، لا بطريقة معقولة وإنما على حساب الفلاح  
المسكين .



موقفنا من الفلاح ليس مسألة معقدة يحتاج إدراكها إلى بحث أو ذكاء ! إنه موقف بسيط لا يمكن تأويله بغير حالتين ، إما أن نكون لم نهتم برفع مستوى معيشته وإما أن نكون قد بذلنا الجهد في هذا السبيل . فإن كانت الأولى فقد حان الوقت إذن لنبدأ في الإصلاح بمقتضى خطة منظمة يرسمها المؤتمر الزراعى العام الذى ألح في الدعوة إليه . وإن كانت الثانية فإن هذه الجهود التى بذلناها قد ضاعت عبثاً لأن الفلاح لا يزال يرسف فى أغلال عوزة ومرضه وشقائه ، وإذن فلا بد من البحث فى أسباب فشلها ، ولا بد من تغيير خطة العلاج مادام الداء لا يزال كما هو قويا قاتلا ، وفى الحالين تبدو الضرورة ملحة قاسية إلى عقد مؤتمر عام يدرس حياة الفلاح فى مراحل ثلاث : أولاها ، حياته المستقلة التى يجب أن يتوفر فيها ما يقربها من الحياة الإنسانية المعقولة ، والثانية نوع الصلة بين إنهاض الفلاح وبين ثبات الميزان الاقتصادى فى الدولة ، والثالثة مسألة العلاقة بين الفلاح وبين المالك .

فاما حياته المستقلة فأحب أن ننظر إلى الفلاح كإنسان له حقوق بقدر ما عليه من واجبات ، يجب أن تتاح له حياة معقولة ممكنة ، وعلى ضوء هذه النظرة ، تبدو لنا فداحة الشقاء الذى يغمر الفلاح الذى لا يعرف من الغذاء إلا ما يسد الرمق ولو لم يمد الجسم بحاجته من عناصر التغذية ، ومن الشراب إلا ما يطفىء لهب الظمأ ، ولزكمنت فيه جراثيم امراض تقتله وتفتك به ، ومن اللباس إلا ما يستر العورة ولو لم تكن له النظافة الواجبة له كإنسان ، ومن المسكن إلا المكان الضيق المظلم الذى يأوى إليه وأولاده ودوابه جميعاً ، ولو لم يتوفر له ما يجب للمساكن من ضوء وهواء نقي واتساع ، حياته الشقية الأليمة لن تصلح إلا إذا نظرنا إلى الفلاح كإنسان مثلنا تماماً ، وإلا إذا جرؤنا على التفكير فى مدى احتمالنا لو قدر لنا أن نحيا الحياة التى يحياها .

\*\*\*

وأما الصلة بين إنهاض الفلاح وبين ثبات الميزان الاقتصادى فى الدولة فتلك مسألة فيها أنانية ، وإن كان فيها نظر ، مصلحة الدولة هى قبل كل شىء وفوق كل اعتبار ، ولكن دراسة حياة الفلاح وتأثيره القوى فى مستقبل الدولة



توضح لنا أننا ننظر إلى المسألة نظرة معكوسة ، فمن الخطأ  
الفادح أن نمضي في طريقنا إلى إصلاح ميزانية الدولة على  
حساب الفلاح المسكين ، وأن ننمي ثروتنا الزراعية بإرهاقه  
وإهلاكه ، ونحن في هذا لا نفكر في المستقبل يوم يهلك  
الفلاح فتخرب الدولة ، ولا ننظر إلا إلى مدى محدود من  
إصلاح يقوم على الفساد ، والوضع المعقول لصلة الفلاح  
بالدولة هو أن نصلحه لتنمو الثروة ، وأن ننهض بحياته  
ليزداد إنتاجه ونقوى بذلك على مقاومة التنافس في الأسواق  
الدولية المضطربة ، ونحن بهذا نستطيع أن ننظر إلى المستقبل  
نظرة الثقة والاطمئنان ، لأننا أقمنا نهضتنا الزراعية على  
أساس متين من إصلاح الفلاح وهو يد مصر العاملة ،  
القادرة على إسعادها .

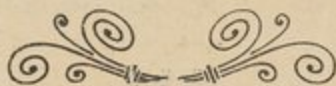
\*\*\*

وتبقى بعد ذلك مسألة العلاقة بين الزراعة والملاك ،  
وقد نهني إليها أحد كبارنا المشتغلين بالشئون الزراعية ،  
فقد يكون من السهل أن نجد طريقة لإصلاح حال فئة  
الزراع ، ولكنها غالباً تمس مصالح الملاك وهنا تبدو صعوبة

الإصلاح ، لأن الطرق العملية التي يؤخذ بها لا يصح أن تتعارض مع مصالح فئة أخرى .

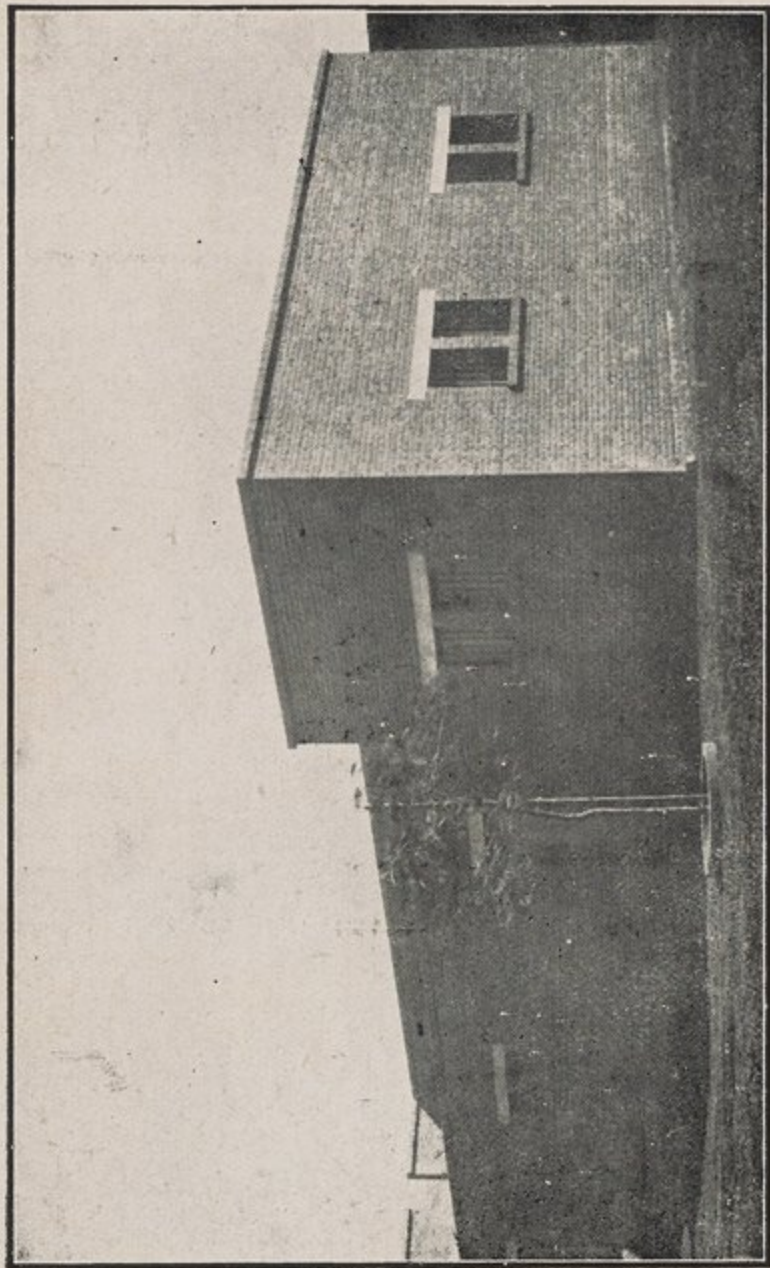
وأرى من ناحية أخرى أن مراعاة مصالح الملاك ليس معناها إرهاب الفلاحين التعساء ، وأن علينا أن نأخذ بحل أوسط نكفل به إيجاد التوازن بين مصالح الفئتين ، والمؤتمر الزراعي وحده هو الكفيل يبحث هذه المسألة وإيجاد الحل المنشود .

أخيراً . . . لقد ناديت بحماية الفلاح وألححت في النداء . . . والآن أخشى أن أصبح وأمسى فإذا بالظروف تلجئني إلى الإلحاح في المطالبة بإنقاذ الفلاح !





المنزل النموذجي للفلاح الجاهل







# القسم الرابع

---

على هامش الريف

## ذبول ...

بقلم المؤلفة

وأخيراً اطمأن الشاب إلى صداقتي بعد أن كدت  
أيأس منه ، وزالت من عينيه نظرة الشك التي كان يظالغني  
بها كلما حاولت التقرب إليه ، واختفى الاحترام المتكلف  
الذي كان يتكلفه أمامي . وحقيقة لقد كانت الهوة بيننا متسعة  
لكنني صبرت وثابرت . ومازلت به حتى وثق بي واطمأن  
إلي ، وأصبح ينظر إلى في المستوى الأفقي لعينه ، بعد أن  
كانت كلماته تنطلق كأنما هي صاعدة من مكان بعيد الغور .  
لقد كان موقفنا شاذاً مضحكاً ، فبالرغم من كوني  
صديقة سيدته الهانم ، فقد كنت أحاول التقرب منه ، بينما  
كان هو - هو البستاني البسيط - ينفر مني ويأبى أن يخاطبني  
بغير تلك اللهجة الرسمية الشديدة التكلف . وبدلاً من أن  
تسير علاقتنا سيراً طبيعياً يتناسب ومركز كلينا ، بحيث



يتقرب هو إلى ، وأترفع أنا عن التحدث إليه ، كان يتهرب من محادثتي ويتجنب النظر إلى ، فإذا سألته عن شيء أجاب إجابة مقتضبة تتكرر فيها كلمة « سيدتي » بكثرة مملّة بينما يكون نظره عالقاً بالأرض دائماً ، كأنما كان يظن أنني لست بريئة في التحدث إليه ، وأنني لا أتنازل لمحادثته إلا سخرية به أو تهكما عليه ، فإذا أحسن الظن بي فلا أقل من أنه كان يعتقد أنني لا أمنحه كلماتي وعطفي إلا كما يمنح المحسن السائل دراهمه !!

وحاولت كثيراً أن أجعله يفهم أنني لست من الثراء كما يتوهم ، وأن صداقتي للعائلة الثرية ليست لتساوينا في المركز والثراء ، وإنما لأن لي فضلاً على سيدته الصغيرة الأنيسة خديجة هانم أيام كنا نطلب العلم في مدرسة واحدة ، وكان لي حظ من التفوق أمتاز به عن بقية الزميلات ، وفي دور العلم حيث الجميع سواء ، صارت خديجة هانم وهي ربيبة العز والثراء ، صديقة لي ، أنا الفتاة التي لا حظ لها في مجد أو ثراء ! غير أن هذا لم يقنعه ، وازددت أنا تشبثاً بنيل ثقته لأعلم ماذا وراء تلك الشيايب البالية ، ولأرى أي نفس تتعمق في هذا الجسم البادى

الشحوب ، وأى أسرار تختفى وراء تلك النظرات الشاردة  
العجلى ، فكنت أجلس بجانبه وأتناول الطعام من أمامه  
إذا مررت وهو يأكل ، فإذا لمحت قدارة فوق ثوبه  
الأزرق الباهت ، مددت يدي فأزلتها دون تكلف أو  
امتناع ، وهكذا بدأ يطمئن إلى ، ويثق بى بعد طول  
تشبث وعناد .

\*\*\*

كنت أتردد على قصر صديقتى كثيراً لشغفى بالجلوس  
وسط أحواض الأزهار واستلهاهم الخيال فى هذا الهدوء  
الشامل ، ووسط ذلك الجمال الطبيعى الساحر الأخاذ ، فقد  
كنت محرومة من ارتياد الحدائق العامة احتراماً لتقاليد  
الأسرة ، ولأن حريتى ستكون محدودة ما دمت محتجبة  
حريصة ، ولهذا لذى أن أستعوض بجمال حديقة القصر  
عما فقدته .

وكان كوخ يوسف - الشاب البستانى - يكاد يختفى  
بين الحشائش الطويلة وشجيرات البرتقال ذات الرائحة  
النفذة العطرة ، ولا يصل المرء إليه إلا بعد أن يمر على



أحواض منسقة بديعة من زهور البنفسج الزرقاء وزهور  
العايق البيضاء. كان الشاب فناناً يعرف سر مهنته ويتفانى  
في عمله ، ويسرف في إرهاق نفسه كأنما كان ينشد في  
العمل عزاء وسلوى عن شيء نجمله !

ذهبت إلى القصر في أوائل شهر يونيه الماضي حيث  
اشتدت قسوة الحر في بعض أيامه إلى درجة كادت تصهر  
فيها أبدان أبناء الطبقة الثرية المترفة ، وهي أجسام ناعمة غضة  
لينة ليس فيها خشونة أجسامنا وليس لها تحملنا . وكان  
طبيعياً أن تعجل أسرة خديجة بالفرار من القاهرة إلى إحدى  
موانئ الاصطياف ، لأن لأفرادها أجساماً يكاد يؤلمها  
مرور النسيم ، إني لأذكر أن « حمدي » أخا خديجة شاكته  
يوماً شوكة الورد في إصبعه فاستدعى له طبيب العائلة !!  
ترى كم منا من لدغته العقرب ، أو أصابه صداع هائل ،  
فاكتفى في الحالة الأولى بإسعافات ذويه الأولية ، وقنع  
في الحالة الثانية بقرص من « الأسبرين » ؟ ذهبت لتوديعهم  
فوجدت يوسف ينسق تاجاً بديعاً من الزهور البيضاء  
والزرقاء ، أية فتنه وأى سحر في هذا التنسيق الفني  
المنسجم البديع !! حيثته فابتسم وصاحفني ، ثم جلست

بجانبه أناوله الزهيرات ليتفرغ هو للتنسيق ، فلما انتهى سألتني  
عما إذا كان التاج قد أعجبني ؟ فتغاضيت عن الجواب وقلت :  
ما أبدعها هدية تقدمها يا يوسف لخديجة يوم سفرها ! فابتسم  
ابتسامة ساخرة وقال هامسا : ليست لها . فتساءلت مندهشة :  
ولمن إذن تكون ؟؟؟ وهنا تجهم وجهه ، وغاضت تلك  
الابتسامة الشاحبة التي كانت كقطعة من وجهه ، فحسبت  
أنى آلمته وأردت أن أغير مجرى الحديث فقلت أسأله . .  
ترى لماذا اخترت اللونين الأبيض والأزرق لزهيرات  
كوخك وتاجك ؟ فصمت برهة وقال فى ذهول : - هذا  
الزهر الأبيض الناصع البياض كبراءتها وحبها وطهرها ،  
وهذا اللون الأزرق الباهت كجمالها وشبابها ، أو ليست  
هى الأخرى زهرة شاحبة يكاد يصيبها الذبول ؟ كادت  
الكلمات تفر من بين شفتى لتسأله ( من هى ؟ ) لكنى  
أدركت أن ذلك ربما أذهب عنه ذهوله فيصمت . ولذلك  
قلت وأنا لا أفهم ما أقول : مسكينة ! لها الله ! لشد ما يهمنى  
أمرها ! فقال يوسف وهو لا يزال فى غيبوبة مطلقة وكأنه  
يخاطب نفسه : قذفوا بها وهى الزهرة الناضرة بين مخالب



الوحش المفترس ! باعوها بالمال وذهبوا يتمتعون بثمرها  
وهي وحدها تذبل وتموت ! ماتت أمها وهي في الثانية  
عشرة من عمرها . قلنا لا بأس ، فستجد من عطف أبيها  
ما ينسيها لوعة اليتيم . وهناك في الريف المصرى الساحر ،  
حيث الجمال والفتنة والسكون ، نما حي لها ، فلما تزوج  
أبوها - وهو عمى - بعد أربعين يوما من وفاة أمها الشابة ،  
عولت على أن أحياها من قسوة زوجة عمى ! كانت هذه  
الزوجة عقيما قاسية القلب متحجرة الفؤاد ، لا تتعفف عن  
نيل ما تشتهى ولو خاضت في سبيل ذلك بحرا من الدماء !  
فأصبحت ( زهرة ) الفتاة المدللة الصغيرة في جحيم من الشقاء  
فهى لا تكاد تظفر براحة ولا طعام جيد ولا حنان . . .  
كان عليها أن تنقل - السباخ - الى الحقل خمس عشرة مرة  
فى اليوم على ظهر الحمار الأعرج الهزيل حيث تبخر الشمس  
قطرات قواها وشبابها وجمالها . وكان عليها أن تجمع روث  
البهائم كل يوم وتعهده أقراصا للوقود . فإذا أقبل الليل  
وتراخت الأجسام تبغى الراحة ، تفرغت ( زهرة ) الطفلة  
لخدمة الدار ! ولم تكن المسكينة تشكو ، لكنى كنت

أفر من عملي أحيانا ، مضحيا بأجري كي أنتظرها على حافة  
الترعة ، فأقوم بتوصيل الحمار إلى الحقل والعودة إليها ، وهي  
جالسة محتبئة عند أمي ترتجف رعبا وفزعا ، وكانت تمنحني  
من عطفها الشيء الكثير ، لكنني فضلت أن أترث حتى  
تكبر وتنمو ، فمن الإجماع أن أفاجئها بحبي وهي بعد  
طفلة ساذجة صغيرة .

كان شقاؤها يميني ، وكان أمل في أني سوف أسعدها  
فيما بعد يميني ، وما زلت بين إشفاق يمين وأمل يميني ،  
حتى فوجئت القرية بإعلان خطوبة ( زهرة ) . ممن ؟ من  
( الشيخ متولى ) فقيه كتاب القرية ! روعتني الصدمة  
وفجعتني التألم لها أشد من التألم لنفسى . ( زهرة ) الطفلة  
الجميلة الصغيرة ، تزف إلى الشيخ نصف الأعمى ، الوحشى  
الطباع الشرس الأخلاق ، الذى أربى على السبعين من عمره ؟  
لم أبك ولم أفر ، وإنما تملكني حزن عساف مستبد ، جعلني  
مظرقا ذاهلا أعمل كآلة صماء ، وكنت أتهيب الذهاب إلى  
( زهرة ) حتى لا تقتلني رؤيتها حزينة ثائرة ، ولكنها  
أرسلت تدعوني إليها فذهبت ، ولقد كنت أخشى أن يؤلمني



حزنها فإذا بفرحها يقتلني قتلا . رأيتها فرحة مجنونة في  
فرحها تقلب الثياب الحمراء التي أعدوها لها في غبطة ظاهرة  
وفرح أحق ، سألتها : هل أنت سعيدة ؟ قالت ولم لا ؟ أو  
ليس هو السيد المطاع في الحي ؟ انظر يا ابن عمي : لقد  
أصبحت سيدة فلم أعد أذهب إلى الحقل وراء الحمار ، ولم  
أعد أقوم بعمل الأمس المرهق ، وفي كل يوم يرسل لي  
( الشيخ متولى ) قطع الحلوى وبعض الفاكهة .

أما ثوبى المزمَن الذي كان كقطعة من جسدى فقد  
قذفت به بعيدا ، إذ ما حاجتى إليه وقد صار لى عشرة  
أثواب ؟ ثم انظر . . هذا النحاس الأحمر البراقلى وحدى ،  
وهذا الصندوق المزركش سيصبح مستودع ملابسى العزيزة ،  
وهذه الحشية الناعمة سأنام عليها بعد الحصر البالى ! ما بالك  
تبدو واجما لقد كنت أنت الشخص الوحيد ، الذى غمرنى  
بحنانه أيام تعاستى ، فالיום حيث يذهب شقائى إلى حيث  
لا رجعة ، لا بد لك أن تباركنى ! وقفزت من مكانها وأنا  
حائر ، ثم طبعت على شفتى قبلة خرساء لا زلت أحس  
بحرارتها حتى اليوم .

كانت كلماتها الساذجة تعذبني ، كم وددت لو أنها تثور !  
ولكن لم أقل إنها طفلة ؟ طفلة تماماً لا تهتم إلا بالحلوى  
والثياب الحمراء ، وزوجة أيها تمنع في تضليلها .

وتسأليني لماذا رضى أبوها ؟ لقد دفع الشيخ ثمنها ،  
كم تظنين ؟ أربعين جنيها ، وهو مبلغ لا يحلم به الحاج  
( سيد احمد ) عمدة القرية ؟ ولقد زفوها إلى الشيخ وهي  
حتى اللحظة الأخيرة تملأ الدار ضحكا وضجيجا ، وكنت  
هجرت القرية شهرين ، فلما عدت تفقدت الطفلة الجميلة  
اللعوب فلم أجدها ، وإنما وجدت مكانها امرأة ناضجة  
متفجعة تعسة ، لا تضحك ولا تبكي ، ولكنها تبدو ساهمة  
شاردة . . . دائماً وفي كل وقت ، وقد فهمت المسكينة مدى  
حبي لها لتزيد في شقوتها ، ولكنني خنقت حبي في صدري  
وحطمت قلبي في الوقت الذي بدأت هي فيه تهتم بي . لم أجد  
بدأ من مشاركتها محنتها ، سعادتها هي كل شيء ، عندي  
فأما جسمي الفاني فلا شأن لي به ، وهأنذا أذهب إليها كل  
أسبوع لأحمل إليها تاج الأزهار ، رمز الطهارة والجمال  
الشاحب الذابل ، وهناك . . . في سجنها المظلم نجلس ساعة

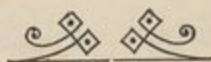


صامتين لا تتكلم ولا تتحرك ، وهذه اللحظات هي النعمة  
التي تبتقت لى ولها من الأمس الدابر البعيد .

إنى لا أعرف لحياتى نظاماً ، ولا لمستقبلى خطة ،  
لا إرادة لى ولا رجاء ... إنى أمضى وسط تيار الحياة  
إلى حيث يحملنى ، وأما هى : فلها الله ؟ !

\*\*\*

وسكت الشاب ، ثم أخذ يحملق فى الجو ونظره عالق  
بالأفق الهابط البعيد ، فقامت من مكانى تسوقى قدمائى على  
غير هدى فى منعطفات الحديقة ، ولما عدت إليه بعد قليل ،  
وجدته يعمل فى الحديقة وعلى فمه ابتسامته الزاهلة الشاحبة  
وفى عينيه نظراته الشاردة الجوفاء .



## قصة ريفية واقعية

### بين تاريخيه

بقلم المؤلفة

في كل مظهر من مظاهر الحياة قصة ، وفي كل ناحية من النواحي مسرح تمثل عليه هذه القصص الحقيقية ، ولو تلبس الإنسان حياته ونظر حواليه لأدهشه أن يرى نفسه يمثل دوراً .

نشط التأليف وكثرت الروايات . وضائق مكاتبنا عن هذه الكتب الروائية الكثيرة ، وضائق وقتنا عن تحمل هذه القراءة المتتابعة مع أن في نواحي الحياة الكثير من هذا النوع ، وما يخفيه عنا إلا ضجيج الحياة والتنافس المر والجري وراء المادة ، وهأنذا اليوم أسجل قصة لم يسدل عليها الستار بعد ، ويغنيها عن البلاغة أنها ليست كمثيلاتها التي توضع للتسلية ، بل هي حقيقة تقع حوادثها الآن في ريف مصر ، وعلى المسرح تقف البطلة الصغيرة حيرى تنتظر إسدال الستار ونهاية المأساة . هي قصة حقيقية تمثل



جشع الآباء - أعنى البعض منهم - وضعف الفتيات ، وتحكم  
المادة في الحياة تحكما مؤلماً ؟ .

مختار بك من أعيان قرية . . . بالقليلية في بسطة من  
العيش وسعة منه ، يملك ضيعة تبلغ مائة وخمسين فداناً ،  
ومنزله المبنى بالطوب الأحمر وسط الأعشاش الصغيرة  
بالبن ، يبدو كالقصر الشاىخ الذى يضم بين جدرانها العالية ،  
حياة غامضة لا يعرف عنها أهل القرية ولا أعرف عنها أنا ،  
إلا الشئ القليل ، ومختار بك رغم عيشته في صميم الريف ،  
يعيش عيشة المدن فملابسه وملابس أهله وأثاث بيته ونظم  
معيشته كلها لا تمت إلى الريف بصلة .

رزق بانية متوسطة الجمال لكنها جذابة حسناء . في  
عينها سحر ، وفي صوتها الرنان شئ من الصرامة والأمر ،  
وفي فمها الصغير الغليظ الشفتين ، كثير من الغموض  
والإبهام ، ورزقة الله بعد اليأس ذكر أيرته ويخلد اسمه  
العظيم الكبير سماه « يحيى » وهو اليوم في الثالثة من عمره ،  
وكانت الابنة تتركب عربة أيها كل يوم إلى بنها ، حيث تتلقى  
العلوم في المدرسة الابتدائية ، ثم التحقت بمدرسة المعلمات  
الأولية ، وعلها التنقل والمشاهدة أن المال لا يكفي لسعادة

الإنسان إن لم يكن هادئ البال .  
أفكارها في الحياة لا بأس بها ، وهي أرقى بكثير من  
أفكار مثيلاتها الثريات المترفات ، وعجيب أن تشب الفتاة  
ذات نفس رقيقة نبيلة رغم ما أعلمه من استهتار والدها .  
رأيتها يوماً وقد وقفت تسألني في حياء جم أن أسمح  
لها بالجلوس بجانبى ، لأن القطار - وكان ذاهباً من بنها إلى  
ميت بره - لا يحوى سوى عربة واحدة للدرجة الثانية ،  
فقبلت مرحبة وكان ذلك بدء تعارفنا .

وسرني منها طيب وفائها ، ووجهها الصياني الساذج  
ونظراتها العميقة البعيدة الحائرة ، وبساطتها المدهشة رغم  
ثرائها ورغم . . استهتار أبيها .

\*\*\*

عائلة الشيخ دسوقي ، عائلة قديمة تسكن القرية نفسها  
من أمد بعيد ، متوسطة الجاه ، يكدرها الكثيرون في  
الحقل طول النهار حتى إذا عادوا ، قنعوا بملابسهم التيلية  
البيضاء المزهرة وجلسوا على المصطبة ، منتظرين والدهم  
العم دسوقي ، فإذا حضر أخذوا يقصون عليه أحوال  
أرضهم ، فيذكر أحدهم حالة الغنم ، والثاني اهتمامه بالرى



أثناء الدور ، والثالث حالة المزروعات ، وهكذا حتى يفرغوا ، وبعدئذ يدخلون إلى وسط الدار حيث تأتي - مشنات - الخبز وإناء اللحم المسلوق ، وأطباق الخضار ، التي لا لحم فيها ، فيوزع العم دسوقي عليهم اللحم ، كل رجل وزوجته وصغاره .

عيشة ريفية صميمة ، لكنهم كانوا سعداء بها ، يزيدهم استهتار جارهم الثرى قناعة واعتباطا ، وكانوا مشهورين بالكرم والنخوة لأن جدهم - كما يقول العم دسوقي - كان من كبار الأعراب . وكان أصغر أولاد العم دسوقي ، واسمه حسين ، طالبا بمدرسة دار العلوم ، ولعله كان أسعد إخوانه ، فهو يجمع بين تحصيل العلم وبين الأصل المجيد والخير الوافر .

\*\*\*

تعود حسين أن يقضى عطلته الأسبوعية بين أهله ، وكان يقضى الكثير من وقته في مضيفة جارهم الثرى المتتمدين مختار بك ، محاولا أن يخترق ببصره تلك الجدران السمكية ليرى ما وراءها ، أو يسير متجولا في الخلاء ، ينشد الشعر والوحدة والالهام .

وكان الجار الثرى يرحب به ، لأنه الشخص الوحيد

في البلدة ، الذي يلبس ( افرنجى ) ويتكلم بلهجة مصرية  
أرقى من لهجة الفلاحين ( الأجلاف ! )

وكانت نجية في الرابعة عشرة من عمرها ، صغيرة  
حازمة ، ساذجة عالمة ، وكثيرا ما كان حسين يلتقى بها أمام  
الدار وفي الحقول ، وعلى حافة التربة ، تشاهد حاملات  
الجرار . وكان يحسبها مثالا للغرور والكبرياء مثل أبيها  
المتعجرف ، ولكن أدهشه أن يراها كثيرا ، تساعد بعض  
القرويات على حمل جرارهن رغم ابتلال ثوبها الحريري  
الأنيق ، وحذاءها اللامع . ولاحظ أنها لاتأفف من محادثة  
القرويات والإصغاء إليهن في ثقة وتواضع ، وهى ابنة  
الرجل الفظ الكسول ! كانت ملاك القرية كما يسميها  
الجميع ، وراع الناس منها أن تهجر القصر طول النهار ،  
متنقلة كالفراشة البيضاء ، حتى إذا ما أقبل الليل ، دخلت  
البيت مطأطئة الرأس .

أحبها حسين حبا قويا غالبا ، وعلمت هى منه ذلك  
فصمتت وإن لم تر فى ذلك غرابة أو شذوذا . وتجنبت  
جهدا لقاءه ، لاترفعا منها ، بل حياء وإشفاقا عليه أن يذهب  
ضحية أمل لاسبيل إلى تحقيقه ، وأن يقامر بحياته فى التعلق  
بسراب كاذب .



وتحادثا طويلا ، وحاولت أن تقنعه أن أباهما لا يطاق ،  
ولكن الأمر كان قد خرج من يده ، وأصبح لا يفهم كيف  
يبغض تلك الصغيرة النبيلة الجديرة بالحب والإعزاز .  
وأوشك حسين أن يتم دراسته فتقدم إلى أبيه الشيخ ،  
يكشف له عن حبه ، فهاه الأب وذكره بتقاليد الأسرة ،  
التي تأتي زواج الشاب من غير بنات أسرته ضمانا للخلق  
والبقاء ، وهناك بنات أعمامه كثيرات . لم يأبه الشاب  
لغضب أبيه وتقدم إلى أب الفتاة يطلب يدها ، فزجر  
الرجل وقال في احتقار :

يا إلهي ! ابنتي أنا ؟ من أنت ؟ مادخلك وماذا تملك ؟  
ألا فاذهب إلى إخوتك في الحقل ، وانظر كيف يكون الفقر  
والقذارة واعرف من أنت - أسمعني ؟

خرج الشاب يجر قدميه جرا ولم يذكر لأبيه شيئا ، بل  
ولم ينقم على الفتاة وقاحة أبيها وقسوته ، واكتفى بما سمعه  
من أن الفتاة غضبت وصرحت لأبيها أنها كانت تسعد مع  
حسين رغم فقره وقذارته ، وأن الأدب كان يقضى عليه أن

يصرفه عنها في لطف واحترام ، فازداد لها حبا ، وعول في  
غضبة الرجل المحب أن يكون لها أهلا .

\*\*\*

أخذ يدرس في مدرسته نهائياً ويتعلم اللغتين الفرنسية  
والإنكليزية ليلاً حتى أجادهما ، فالتحق بامتحان المعادلة  
في الشهادة الثانوية قسم ثان وكان من الناجحين .

حينئذ ترك مدرسته أقرب ما يكون إلى إتمام الدراسة  
بها ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا ، وقسا على نفسه في  
العمل والاجتهاد ، غم عذابه ولوعته ، معتقداً أنه بذلك  
يسير إلى أمله سيراً حثيثاً ، لقد عاهد نفسه أن يكون لها  
أهلاً... فليعمل ! وطالت الأيام ، ثم قصرت فجأة ، ثم  
إذا به يرى اسمه في طليعة قائمة الناجحين في الدبلوم فحمل  
أمله وثروته ، وركب القطار إلى القرية... إلى أب الفتاة .

\*\*\*

ضج العالم لنزول أسعار القطن واشتداد الأزمة ،  
وأصبح كل فلاح يحمد الله أن وجد كسرة وستره ، ولكن  
رجلاً متمديناً مترفاً مثل مختار بك ، كيف يقنع بما قنع به



المزارعون البؤساء ؟ ! إن سحب الأزمة ستنتشع قريباً ،  
فلماذا ينزل من علياء سمائه !

لقد يكفي نفراً كالعم دسوقي مثلاً أن يزرع أرضه قمحاً  
فيأكل ، وبرسيا فتأكل غنمه وبهائمته ، فيبيع من الأولى  
ما يكفي لدفع الضرائب ، ويأخذ من الثانية ما يأتد به .  
أما مختار بك الثرى الوجيه فلا يكفيه شيء من هذا ،  
لا يكفيه إلا « البنك الألماني الشرقي » يعترف منه ما يتنعم  
به ، وحوله أكباد تحن إلى الرغيف العفن . ويطون تتضور  
جوعاً . وكان أطفال القرية كلها يقفون متحسرين دهشين  
حينما يشاهدون أمام بيته ، بقايا عظام اللحم وقشور اللوز  
والبندق والفاكهة !

وضاق ( البنك ) عن مطالبه ، أو ضاقت أرضه عن  
ضمانه البنك ، والأزمة متباطئة لم تنفرج بعد ! ووقعت  
الكارثة !



ذهب حسين إلى القرية بعد أن هجرها أربعة أعوام ،  
فراعه أن يجد شيخاً طاعناً في السن غريباً عن القرية ، يسكن  
في بيت من أحبها وأخلص لها الحب ، ولكن ساعة واحدة  
كانت كافية ليعرف كل شيء !

غلى الدم حاراً فى عروقه . . . يجب أن يسدل الستار  
على ماضى وينقذ الصغيرة النبيلة ! والهمة الثانية تقدم إلى  
أيها ، وعرفه بنفسه ومركزه الجديد ، ثم طلب يد ابنته ،  
فذهل الرجل برهة ثم وعده بالقبول إن قبلت ابنته .  
كتب حسين خطاباً إلى الفتاة وناشدها المروءة والنبيل  
الأتطعنه فى صميم آماله . فأكبرت هى منه إقباله عليهم حين  
أدبر الدهر منهم ، بينما أعرضوا عنه أيام عزهم ومجدهم .  
وتقدم إليها أبوها ، لاليعرض عليها طلب الفتى وإنما طلب  
المثرى العجوز الذى سكن بيتهم والذى ضجت القرية من  
عربدته وسكره . . . ذلك الشيخ المدم الذى قضى عمره  
الطويل متنقلاً بين الحانات والوجوه الحسان حتى سئمتها  
نفسه ، فرأى أن يقضى مابقى من عمره - وإنه لقليل - مع  
تلك الصغيرة الحسنة على أن يرد إلى أيها أرضه وثروته !  
وبكى الأب مستعطفاً ، وبكت الأم والهة حائرة ، وبكى  
الطفل مشجعاً إياها على قبول الصفقة وإنقاذ العائلة ، ومن  
خلف الثلاثة ، ظهر شبح حسين باكياً ! حسين الذى أخلص  
لها الحب ، وهو بعد الفتى الشهم . الكبير النفس ، المعذب  
القلب ؛ حسين الذى تحمل له فى قلبها أطهر عاطفة وأصدق



حب ، والتي كانت تود أن تعيش لترعى سعادته فقط !  
هل تتزوج منه لتكافئه إخلاصا بإخلاص ، رغم  
ثقتها أنها غير أهل له ؟

ولكن . . . أبوها الذي رباها ، أمها التي حملتها ، أخوها  
الطفل البريء ! هل تضحي بهم جميعا من أجل حسين ؟  
إن أباهما لم يستمع لأنينها فيما مضى ، فهل تستمع هي  
لبكائه الآن ؟ ولكن هل من الأب ينتقم الإنسان ؟ وكيف  
إذن يهنأ لها عيش وهذه عائلتها تهوى إلى حضيض التعاسة ؟  
هل تتزوج العجوز السكير فتتخذ أسرتها وهم بعد  
سيقدرتون تضحيتهما ؟ ولكن حسينا لاقى كثيرا ! عادى  
أهله ، وهجر قريته ، وتحمل إهانة أبيها غنيا ، وخطسته  
فقيرا ، فهل تكافئه بالجحود والنكران محطمة قلبها وقلبه ؟  
وهل تنهأ بإنقاذ أهلها وهذا حسين الذي تحبه ، يقتله اليأس  
أو يسقمه المرض ؟

إذا تزوجت حسينا فشبح عائلتها سوف يعكر عليها  
العيش وسينذكرها دوما بأنها ملكت في يوم ما سبيل سعادة  
أبويها وأخيها فأحجمت عن منحهم تلك السعادة .

وإذا تزوجت المثرى العجوز ، فشبح حسين سوف

يتبعها ، ويلاحقها في نومها ويقظتها ، ليذكرها في كل لحظة  
بأنها قاتلة .. مجرمة !

هي حيرى فماذا تفعل ؟

\*\*\*

هذه هي القصة ، لم أحاول تنميقها أو ترتيبها ، خبرتها  
بنفسى وأطلعتنى على الباقي صديقتى وسألتنى في النهاية  
« ماذا ترين ؟ إننى أنكر نفسى وأجهل سعادتها ، لكنى  
لا أستطيع أن أنكر أبى أو أتنكر لحسين ... إنى فى حاجة  
إلى السلوى والمشورة فماذا ترين ؟ »

\*\*\*

وإنى إذ أبسط الآن الحل الذى رأيته لها ، أرجو ألا  
يتهمنى أحد بنكران التضحية فى سبيل الآباء ، بل يجب أن  
نقدر أولا الظروف التى وجدت فيها الفتاة . ولا يمنعنى هذا  
من أن أصبح بكل قواى ، بوجوب طاعة الآباء وبذل الحياة  
فى سبيل سعادتهم إذا كانوا أرحاما ، وإذا كانوا من جانبهم  
يقدرون النبوة كما يقدرون الأبوة ...

\*\*\*



## خاتمة القصة في رسالة

### من المؤلفة الى البطلة

أختي . . . .

لك الله يافثاة . . . قذفت بك الأيام السوداء وسط  
غمرات من الأسى والحيرة ، كأن لم يكفك ألم صامت ،  
وثورة كامنة ، وحزن دفين تعمق في نفسك وأنت بعد  
طفلة في المهد !

ماذا يريد أبوك وصديقك يا تعسة ؟ أ يضيرك أن  
أسميك هكذا ؟ ولكن بكل ما في هذه الكلمة من عاطفة  
ورثاء وحنو ، أتحدث إليك من قلبي ، وللقلوب يا تعسة  
أحاديث !

وكأنني بك تحسبين صمتي انشغالا عنك بالامتحان كما  
تقولين ، وكأنك لم تحملقي في الأفق البعيد ، لترى أية فتاة  
ثائرة باكية قرأت كلماتك ، ولكم حاولت أن أكتب إليك  
فمنعني . . . لا أعلم ماذا ! إنها كتلة صغيرة تتكون من لاشيء  
تقف في مجرى الهواء عندما لا يقدر الإنسان على كبج جماخ

عاطفة البكاء ! سميها ما شئت واختارى لحالتى ما يلد لك من  
الأسماء . ولكن ، ألسنت ترين معى أننا نسير فى حياتنا إلى  
غاية مجهولة يريد لها لنا غيرنا فيندفع بعضنا فى طريقها فى  
جهل وعمى ؟ جهل فى القلوب وعمى فى الأبصار ، رغم  
ما نشعر به من إرادة وحذر ، ورغم هذه الأعين الواسعة  
التي فى وجوهنا وكأنها ما وجدت إلا لتحمل إلى قلوبنا  
الضعيفة رسالة الهم والشجن ، وإلى عقولنا الظامئة ، قليلا  
من المعلومات المهوشة والتجارب الجوفاء ، وما أردأ  
التجارب من موصل لحرارة الحياة ؟

وهنا أتساءل : لماذا لم تشبى مستهترة كأبيك يافطة ؟  
إذن والله فما كان ألد لنفسك الباردة من مائة وخمسين  
فداناً ، وهى ليست مائة وخمسين جنيهاً ، تقدم لك صداقاً  
وما كان أسعدك بتلك الأكوام الصفراء ، تعبت بها يداك  
فى لذة واستهتار !!

ولكنك فتاة لامادية ... هكذا أعرفك ... أوتريدين  
أن أذكر لك بعض ما أعرفه عنك ؟

أعرف فيك تلك الفتاة المليئة بحرارة الحياة ، ولو أنها  
نفسها تتذمر من تلك الحياة وتنقم عليها ، بل كأنى أرى



بعيني النفاذتين ما تحت ثيابك من ثوران عاطفي ناغم على الحياة وما فيها ، أعرف فيك ذلك الضال المهتدى الذي يثور في صمت ، ويبتسم في مرارة ؛ وأحس بما فيك من خواطر تحاولين جهدك إخفاءها ، حتى لا أرى فيك إلا تلك الوادعة الهائنة ، التي تنعم بثروة أبيها ولا تفكر في شيء ولا تسأل عن شيء ؛ وأصارحك بأنه كان يحلو لي أن أرقب وميض شعلة عواطفك عن كשב ، وأن أراها تتأجج تحت رماد الحياء والمداراة كزبد الأفران العالية ، يطفو فوق الحديد المنصهر ، فترى العين فيه سطحاً تريباً أدكن خلواً من البريق ، حتى إذا غلى المرجل انفرج الزبد ورأينا اللحم واللهب ؛ نرى لهب الحديد المنصهر يشوى كبـد ذلك الأتون العالى ، ولكنه لا يئن ولا يتوجع ؟ هكذا أعرفك ، وهكذا تقدمت تستشيرين من تعرف عنك هذا وأكثر ، في أمر هو الحياة والمستقبل .

\*\*\*

يا لله كم تؤلمني ثقتك ؟ ؟ لماذا عرفتك ؟ ولماذا ذهبنا إلى أبعد حدود الإخاء والثقة ؟ ألتحكيمنى اليوم في مستقبلك ولا أكون في موقف المسؤولة عن سعادتك ؟ إني لا أريد

أن أكون لك جلاداً ، وأنا بعد لا أطيق إلا أن أراك سعيدة  
تضحكين وتبتسمين ، ولو أنها ضحكات السريرة الباكية ،  
وبسمات القلب التائر .

على أنى لن أصمت ، بل وأذهب بعيداً فأدلى إليك  
بري على سبيل الأمر والإلزام ، وأنت يا أختاه لا تحسنين  
التصرف ، وأملك بجانبك تسيل دموعها ، وأبوك يبكي ،  
والشباب يتألم أعماق الألم ، فدعيني إذن أرشدك إلى الطريق  
الذي أراه ، فإن ظفرت بالسعادة وأنت سائرة فيه فما أسعدنى  
بك ، وإن غلبت عليك الشقوة فما أعماق ثقتك بحسن نيتي  
وإذن فما أقربك إلى الصفح !

\*\*\*

لن أمرك بترك أهلك والخروج عن الواجب رغم  
استهتاره ، ولكنى أيضاً لن أجعل منك يداً مجرمة تخنق  
قلب الشاب الذى أحبك لسمو نفسك . وقبل أن تغرقينى  
باعتراضاتك ، أسألك لماذا لا تسألين أمك عن سبب إهمالها  
فى رعاية أهلك أيام كان ثرياً مستهتراً ؟ ولماذا لا تسألين  
أباك كيف ينفعه ثمنك الذى يدفعه العجوز السكير وقديماً  
لم ينفعه ما له ؟ ولم لا تسألين نفسك ، كيف تقبلين المجاعة  
الروحية والدمار النفسى ولن يقول حسين والناس : مسكينة



ضحت بكل شيء في سبيل أبيها ، بل سيقولون : مستهترة  
أغواها الأصفر الرنان ، وسوف تمهد لنفسها حياة مليئة  
بالحرية والغواية ؟

ثم هل تظنين أن من البر والتضحية أن تفتحي لأبيك  
باب الغواية والضلال بعد أن سدته في وجهه الحاجة ؟  
وأن تضحي بنفسك وبالشباب البريء ، ليكبر لك أخ  
متلاف مستهتر كأبيه ؟ وأن تقتلي نفسا بريئة لتضمني المال  
لأملك التي أغمضت عينها عن مساوئ زوجها أو شاركتها  
فيها لست أدري ؟

لا يا أختاه . . لن ينطق المأذون بالكلمة التي تربطك  
بهذا السكير ، إلا وفي ثناياها الحكم عليك بالشقاء ، ولن  
تزفي إلى هذا المهدم المفسود إلا على أنقاض سعادتك ،  
ولكن هل تفرين من أهلك في محنتهم ما دام قبس النجاة  
يغريك من بعيد ؟ وهل تتهزين فرصة الضعف من والدك  
المتنمر الجبار ، لتتركه في بسمة ساخره ؟ لا . . . أنا  
لا أرضى بذلك وإذن فأنصتي إلى أوامري ، ولا يعميك  
الحاضر عن مستقبل غاص بالشقاء والجنون ، أو حافل

بالسعادة والسكون ، واذكرى أننا فى يوم له ما بعده فلا  
حكم غير العقل .

\*\*\*

« تزومى مسينا » ترى ماذا تحدثه تلك الكلمة فيك  
من دهشة ، لأنك حاولت - ولكن عبثا - أن تظهرى  
لى أن اهتمامك بسعادة أسرتك أكثر من اهتمامك بأى شىء ،  
وأنك مستعدة للحكم مهما قسا ؟

« وأنقرى أباك » من الضائقة المالية والخلقية ، قدى  
له صداقك وما تملكين من حلى ، وليكن الجميع مائى جنيه ،  
ليكون رأس مال المتجر متوسط يبيع فيه البقالة أو الأقمشة  
والأولى أفضل لاحتياج الناس إليها دائما حتى فى الأزمات  
الظاحنة ، وعليه أن ينشئ نفسه من جديد نشأة شريفة  
رزينة ، وأن يكون بهذا المال وأراه كافيا - ثروة واسعة  
يستعين بها على تربية ولده تربية مهذبة صالحة .

« واهمسى فى أذن أمك » أنها مسئولة عن شقاء الأسرة  
قدما وحديثا ، رغم ما تعتذر به .

« وقرى أمك الطفل » ليملأ فراغ بيتك الحديث



بضحكاته الرنانة ولتربيته التريية الأولى الاساسية ، ريثما  
يستقر حال أهلك .

يبقى بعد هذا ، رأى فى تنفيذ الحكم .  
أما الشاب فسيقبل راضيا مغتبطا ، ولن يضيره أن  
تذهبى إليه بقلبك وحبك ، لاجللك وأثائك ، بل وستكفينه  
عبء هذه المفرشات المكسدة التى تسبق العروس إلى بيت  
زوجها لتحتل الهواء الطلق منه ، وإذا قبل فما أجدره بالحب  
وما أحراك بالعمل على إسعاده !

وأما أبوك فيجب أن يقبل ، وإذا عز عليه أن يتحول  
من غنى مترف إلى تاجر شريف ، فدعيه فى غوايته ،  
وأشهدى الله والناس ، أنك فعلت ما فى طاقتك ، وأن أباك  
لا يريد الحياة العملية الشريفة ، ولسكنه يريد المال ، ليمهد  
له طرق الشر والضلال .

وأما أخوك فسيمنحكما من السعادة أكثر مما تمنحانه  
من رعاية ومال ، وستجعلينه رجلا ، وحسبك بعدئذ أن  
ترى غرس يديك يسير فى معترك الحياة مجاهدا وشريفا .

\*\*\*

هيه !! أليست قسمة بديعة تقومين بعملها وتحركك

في الخفاء يدي ويشاركك قلبي؟ لشد ما حاولت يا أختاه  
بعد قراءة رسالتك الملهمة، أن أتحرر من قيد كلماتك النارية  
التي طوقني بطوق من دثارها المؤلم، وشبكة من خيوطها  
الجمراء، وأن أنسى نزعة البكاء التي كانت تتواطأ على صفحة  
خطابك كي أحكم عقلي وأخرج لك بفكرة يراها الناس  
حكيمة؟ ولكني لم أفلح، فالناس يحبون المال في إسراف  
وأنا لا أستطيع أن أقبل تضحية الواحد والحياة في سبيل  
هذا المعبود الأصفر، وليس ذنباً أن أرى ما لا يراه الناس  
(فأى هكذا خلقت). فإذا نصحت لك أحد برأي غير ما رأيته  
لك فلا تنصتي، وثقي أن فراسة الإيمان والحب والإخاء  
لا تخيب.

وبعد فأنا أنزهك عن النظر إلى تلك الثروة الطائلة التي  
أضعتها عليك ولا زلت أزيحها بيدي بعيداً عنك...  
لك من أشعة الشمس ساعة الغروب، تشهدنيها وفي  
نفسك غبطة وفي قلبك حياة، ما يغنيك عن أكوام مكدسة  
من الذهب، لا تستطيع أن تسكب في قلبك قطرة واحدة  
من الحياة؟

لك من ضوء القمر الفضي اللامع، تستقبلينه في ظلام



الليل وأنت في غمرة من السعادة النفسية ، وفيض من جمال الحياة ، ما يغنيك عن كثير من المال ، تبيعين به حرارة الحياة وحياة الهدوء . . . . .

هي أكلات ثلاث يا عزيزتي ، لا طاقة لمعدتك على تحمل أكثر منها ، وهي سترة واحدة لا تتفاوت في تأدية الغرض سواء كانت من نسيج الذهب أو القطن ، فماذا وراء زواجك بالغنى يا أختاه ؟

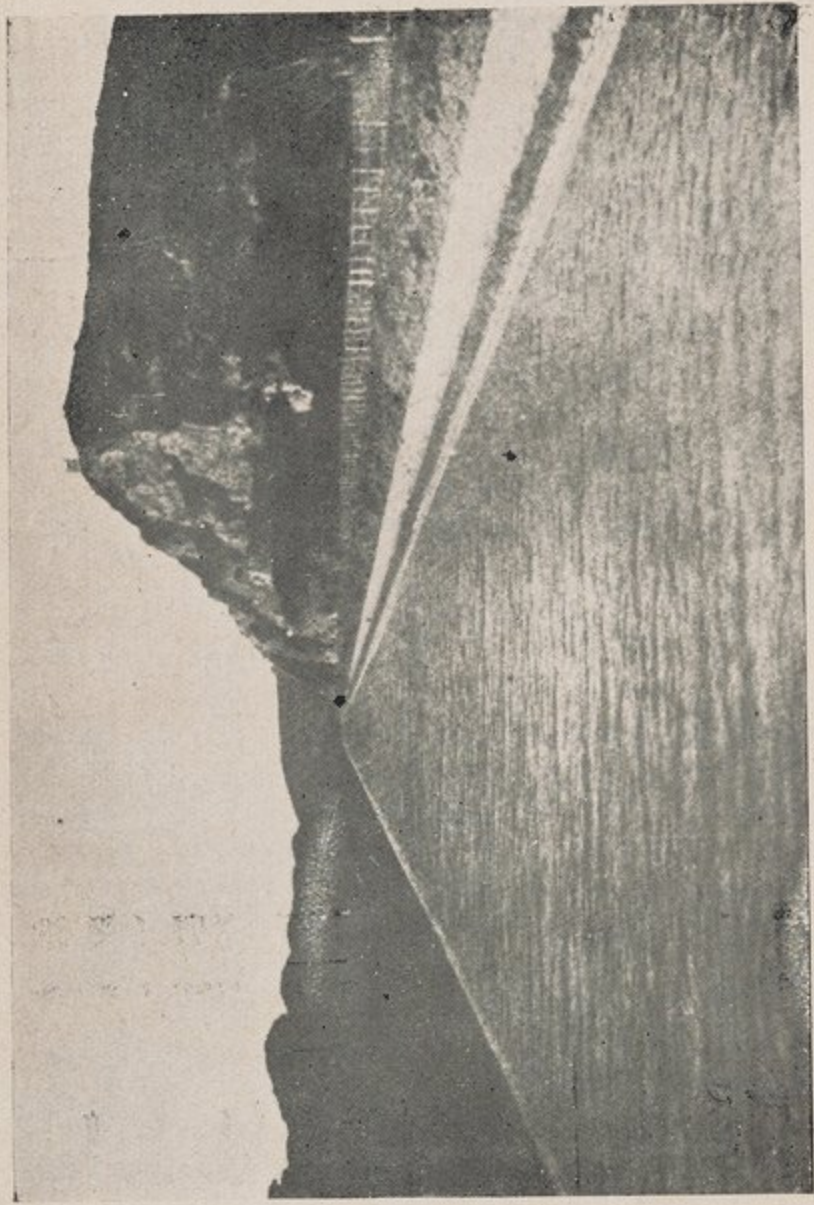
ثقي أن مكانا عزيزاً يعدده لك زوجك المثقف في قلبه خير من قصر نفخ يشيده لك هذا السكير من ذهبه ، وأن زهرة صغيرة يهديها لك زوجك رمز إخلاصه وحبه ، أسمى من عقد من أثمن الجواهر ، يخنق به الآخر عنقك دليل إعجابه ، وثماناً لما تمنحينه من حياة .

إن بريق عيني حسين ، المملوءتين حياة وطهارة ووفاء ، أعز من بريق الذهب ، ترينه لتذكرى في حسرة أليمة ، أنه أضاع سعادتك . وسلبك راحة البال وصدق اليقين .





ترعة ری رئیس، مبطنة بالجبر والاسمنت



UNIVERSITY OF CHINA  
LIBRARY



القسم السادس

تعليقات

## المال ... الداء والدواء

### في إصلاح القرية المصرية

مرحى بالجنس اللطيف يقف بين صفوف المصلحين . .  
مرحى مرحى بهذه الحماسة المتدفقة من الجنس اللطيف  
الذى لما أن أيقن أن تقدم الحياة المصرية لن يتحقق  
إلا بإصلاح حياة الفلاح القروية ، قام متكاثفا مع  
رجال الأمة في تحسين حالة الفلاح العلمية والاجتماعية  
والصحية . . . هذه هى - ابنة الشاطئ - نصح لها الطبيب  
بالراحة فى القرية فدخلتها بأئسة تعسة ، وخرجت منها أشد  
تعاسة وشقاء ، ذلك لأنها رأت أن بجانب فتنة القرية بؤسا  
يبعث الحزن من مكمنه ويثير الأسى من أعماق القلوب .  
هذه هى الحقيقة التى لمستها الآنسة ابنة الشاطئ ، فى  
زيارتها للريف وكل ما رآته إن هو إلا القليل مما نراه نحن  
أبناء القرى من أحوال أهلينا من الفلاحين الذين يعانون  
من بؤس وشقاء .



ويؤلمنى، وأنا من أبناء الريف، أن هذه الحقيقة السوداء لم تندلع فى قلبى بمثل هذه القوة إلا منذ بضع سنوات قمت فى أثنائها بدرس حالة هذا الفلاح كما درسها غيرى من الأطباء، وكان لنا فى ذلك صيحات متتاليات رن صداها فى الجمعيات والمؤتمرات .. غير أن هذه الأبحاث وتلك الجهود قد تحطمت كلها وتلاشت أمام تلك العقبة الكؤود، ألا وهى المال .

عندئذ عدت إلى نفسى وقلت : مالنا نحن الأطباء وحالة البلد المالية ؟ بل ما شأننا وشأن تنفيذ ما يتعلق بأبواب المصروفات من مجموع الميزانية ؟ فالواقع إنى أعتقد أننى كطبيب إذا ما دعيت لعيادة مريض أقوم بالكشف عليه ثم أقرر العلاج اللازم له مراعيًا أنه يتناسب مع كلتا الحالتين : حالة المريض وحالة المريض، أى قوته فى احتمال الدواء وباقي الوصفات العلاجية، ولست بعد ذلك أعد مقصرا إذا كان أهل المريض لا يقومون بالواجب عليهم ودفع ما يلزم لمريضهم من المصروفات فى شراء الدواء وما تتطلبه حالته المرضية .

وعلى هذا القياس نفسه أرى أن حالة الفلاح الصحية قد غنى بها أكبر عناية من حيث فحصها ودرسها ووصف دواء يتناسب وحالة البلاد الصحية والعلمية والاقتصادية . ولم يبق إلا أن نرى عناية أولى الأمر بتنفيذ الإرشادات واعتماد ما تتطلبه من مصروفات لإتمام هذه المشروعات الصحية . بل أذهب في معتقدي إلى أكثر من ذلك ، أعتقد أنه لو اضطررنا إلى مراجعة المصروفات لمختلف المشروعات وإبداء ما عن لنا من أفكار وآراء ، ثم عولنا في طلب التعديل أو الزيادة على التوسل والاستجداء ، أقول لو اضطررنا إلى ذلك لكانت هذه ظاهرة مخيفة أساسها عدم الاطمئنان إلى كرم المسئول من رجالنا الأوفياء .

وحتى تكون سيدتي الأنسة ابنة الشاطئ ، وغيرها ممن عنوا بحالة القرية على علم بهذه المجهودات التي بذلها الأطباء في هذا السبيل ، رأيت أن أسجل هنا مجمل ما قام به الكثيرون للتوفيق بين حالة البلد المالية ومطالب القرية الصحية .

طلب حضرة الأستاذ الدكتور عبد الواحد الوكيل اعتمادا بمبلغ ٢٠٠ مليون جنيه لمدة خمسين سنة أي أنه



قرر أن القرية المصرية في حالتها الراهنة بعيدة عن الإنقاذ والإصلاح ، ولا يوجد لها علاج حاسم أكيد سوى أن تزال جميعها رأسا على عقب لتخلفها قرى صحية أخرى في مساحات جديدة يشمل كل بناء منها ٦٤ مترا مربعا ، وهو لهذا يحتاج إلى مساحة قدرها ٧٦٢٠٠ فدان يبلغ ثمنها من ٨ إلى ١٠ ملايين من الجنيهات ، أما عدد المنازل فقد قدرها بمليونين ونصف مليون منزل بزيادة نصف مليون منزل على تعداد سنة ١٩٢٧ ، ورأى حسب مقايضة حضرة المهندس أحمد حسن أن المنزل يكلف ٧٥ ج فيكون جملة ما يتطلبه المشروع من وجهة التخطيط والمباني ١٩٠ مليون جنيه أى ما يقرب من ٢٠٠ مليون .

ويدهشك مع فداحة هذا المبلغ ثقة حضرة الدكتور الوكيل في تنفيذ هذا المشروع إذ يقول في ختام مقاله إن هذا المبلغ ما هو على ما نظن إلا تقديرا متواضعا شيئا ما ، ويضيف إلى ذلك أنه إذا فكرنا مليا في إمكان قيام الأمة المصرية حكومة وشعبا متكاتفين للتنفيذ ، لاستطعنا أن نقوم بهذا العمل فنخلق مصر جديدة في مدة خمسين سنة من اليوم ، بإنفاق أربعة ملايين جنيه في العام لهذا الغرض وهو

أقل مما ندفعه الآن لتسديد قسط الدين العام .  
ويتلو مشروع الأستاذ الوكيل في ضخامة المبلغ ، المشروع  
الذي قدمته مصلحة الصحة ونشرته « الأهرام الغراء في ١٩  
من سبتمبر ١٩٣٤ ، وقد جاء تنمة للبرنامج الصحي الذي  
وضعتة مصلحة الصحة سنة ١٩٢٧ وشمل المشروعات  
العامة والخاصة بالوقاية والعلاج ، وبلغت جملة تكاليفه  
٤٢ مليون جنيه ، خصص منها الجزء الأكبر لإصلاح حالة  
القرى التي غنى بها سعادة الدكتور شاهين باشا عناية كبرى ،  
كما يتضح ذلك في قراره المقدم لوزير الداخلية إذ يقول  
فيه : « وبما أن الحاجة أصبحت في أشد مساس إلى إصلاح  
حالة القرى وتحسين شؤونها الصحية ، وكذلك إلى مكافحة  
الأمراض المتوطنة بالبلاد ، رأت المصلحة أن يكون لذلك  
النصيب الأكبر في برنامج مشروعاتها الصحية للسنتين المقبلتين ،  
وقد أفردت لها مبلغ ٢٢ مليوناً و ٦٠٠ ألف جنيه أى  
مبلغ ٢٠٠ ر ٨٦٠ ج . م في السنة الواحدة ، على أن  
يتناول التحسين مساكن ١٠٥ من القرى سنوياً بواقع  
١٥ قرية في كل مديرية كل سنتين »  
ويتلو ذلك في ضخامة المبلغ ، المشروع الذي قدمته



للمؤتمر الطبي في يناير سنة ١٩٣٤ والذي جاء مشابها بعض الشبه لمشروع الدكتور وليم سليم حنا، وفيه قسمت دورة العلاج إلى مراحل ثلاث تستغرق ثلاثين سنة وتكلف ثلاثين مليون جنيه، أى بواقع مليون جنيه فى السنة الواحدة، وفى المرحلة الأولى نعمل على إنهاض الحالة الاقتصادية وتنوير الرأى العام من الوجهة الصحية ثم نقوم بالتمهيدات اللازمة للإنشاءات الأولية كإيجاد موارد للشرب نقية وتعميم الإنارة ودورات المياه.

وإتمام هذه الوسائل يؤهلنا لتتقدم للرحلة الثانية، وفيها يكون قد رفع مستوى الحالة الصحية والمادية فى القرى فلا يرضى الفلاح بقريته القديمة، وعندئذ تقوم الحكومة بتعيين المناطق المجاورة لانتقال القرى الحالية إليها بعد ضم القرى المجاورة فى صعيد واحد. ويستعيز أصحاب هذه الأرض بأرض القرى القديمة دون شراء أرض جديدة، وفى الوقت نفسه نقوم بالأبحاث الهندسية فى اختيار المواقع وتنسيق القرى.

بعد هذا نتقدم إلى المرحلة الثالثة والعملية وفيها تقوم الحكومة بتوزيع المساحات على القادرين على الانتقال

للقرى الجديدة مع اشتراط البناء بطريقة صحية خاصة ،  
وتستطيع الحكومة فى هذه المرحلة أن تبدأ فى إعانة فقراء  
الفلاحين فى بناء مساكنهم ، من المال المجتمع لها من مبلغ  
مليون الجنيه سنوياً على أن تعمل ١٥٠ مسكناً فى مبتدأ  
الامر ونحو ٥٠ كل سنة .

وما كنت أحسب يوماً أن أولى الأمر يرضون على  
الفلاح بمبلغ مليون جنيه كل عام ، لاسيما وأنى أعتقد أن  
ذلك فى مقدورهم حتى فى سنى الأزمات الحالية هذه . . . . .  
العام الماضى مثلاً ، كانت زيادة الإيرادات على المصروفات  
مليونى جنيه ضمناً إلى الاحتياطى وكان فى إمكانهم تخصيص  
مبلغ مليون منها للفلاح . كما كانت الزيادة هذا العام  
أربعة ملايين جنيه ضمت أيضاً إلى الاحتياطى العام ، وكان  
من السهل المستطاع إسعاف الفلاح بمليون منها لتحسين  
حالاته الصحية . وهذه ظاهرة إن دلت على شئ ، فهى لا تدل  
على العجز فى الاقتصاد والتوفير — ولكن أخاف أن  
تكون برهاناً يسجل علينا عدم التقدير « تقدير حالة ذلك  
الفلاح المعوز الفقير » وإلا فما كان أجدر هذا المشروع



بآلاف الجنيهات التي تصرف بسخاء في تزيين المدن  
وتجميل الشوارع ، أو الملايين تهدر في إتمام مشروعات  
في هذا القطر أو في خارجه ويعلم الله مبلغ نفعها لهذا البلد  
المنكود ..

أما ماتم من مشروع إصلاح القرى فهو ما قامت به  
مصر حكومة وشعبا وتكافحت على بكرة أبيها مع مختلف  
أحزابها لإنشاء قرية واحدة هي محلة زياد ، التي نكبتها  
النيران . فجمعوا الأموال من أكف المحسنين وسلموها  
إلى الحكومة التي اعتمدت مبلغا آخر للتنفيذ فحمدنا للأمة  
هذا المجهود الصغير وظللنا نرقب إنشاء هذه القرية شهراً  
بعد شهر وعاما بعد عام ، حتى فوجئنا من بضعة أيام بقرار  
رسمي جاء فيه « ترى اللجنة العدول عن فكرة إنشاء القرية  
النموذجية بجانب محلة زياد المحترقة والاكتفاء بفتح  
شارعين متقاطعين في القرية الحالية .. »

وهكذا سجلت الأمة على نفسها العجز ، ليس في  
إنشاء آلاف القرى الصحية المنشودة بل حتى في تجديد  
قرية صغيرة محترقة منكودة !

وفي مقال قادم قريب سأذكر لك يا سيدتي « ابنة  
الشاطئ » بيانا تفصيليا عن مبلغ تقديرنا لإصلاح  
قرانا ، مقارنة به تقدير أمم العالم المختلفة الغربية منها  
والشرقية .

دكتور أبولس بولس



AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY  
WASHINGTON, D.C. 20004



## القبور المهجورة الكئيبة

لم تترك الأنسة الكريمة في الواقع قولاً لريفى ابن ريفى  
مثلى وهى الريفية الصميمة من جهة الأب فقط . والظروف  
الحاضرة كذلك غير مستعدة فيما يظهر لاستساغة الحديث  
عن الريف ، أو على الأقل - عما فى قبور الأحياء المجاهدين ،  
أو على أقل من الأقل - الحديث عن القبور المهجورة  
الكئيبة ! وإنما هى تستسيغ وتشجع أيضاً الحديث عن  
الحرب والسلم ، وعن الدستور والحرية ، وعن الصداقة  
والعداء ولكن .. هنا نقف : من يدخل الحرب إذا كان هناك  
حرب ، ومن يصطلى بنارها وتتناثر أشلاؤه تحت قنابلها ؟  
من ينتظر الفرج من فوهة المدفع ؟ ! من يمد يده للصداقة  
والولاء ، أو يرجعها إعلاناً بالعداء ، من يطالب بالدستور  
ويهفو إلى الحرية ، أفى الأمة غير الفلاح ، والفلاح الغالب  
بعده ومجده ؟ ؟

لا أحد غير الفلاح المصرى ، ولا صوت غير صوته

إنه كما يعبرون — الكل في الكل ، وهو الجد الدؤوب  
والنبيل الصموت ، والروح القوية العليا . هو الفلاح لا أقل  
ولا أكثر وإذا فيجب أن نستسيغ ، دائماً ، الحديث عن  
الفلاح أو بالحرى عن قبوره المهجورة الكئيبة .

أعرف وتعرف معى أن الأرض ، سواء المستغلة منها  
أو البور تطلب حارثاً ؟ فلم يهجرها الفلاح إذن ؟ ؟  
هو جاهل وهو قنوع ، ولكن ليس إلى هذا الحد من  
الرضوخ للجور والاستنامة إلى الموت البطيء الفظيع .  
هو جائع منهوك ومحطم ومهدم ، ولكنه أخيراً بدأ  
ينزح إلى المدن وبدأ يزف إلى الوجود أحياء تنهافت بدورها  
على النزوح إلى حيث العزة — ولو مع الجوع .  
هو إذن مستضعف مظلوم فهل آن أن نرحمه وننصفه  
ونشعره بمتعة الحياة ونعيم الوجود ؟

ابراهيم عبد اللطيف



## صوت فروع !

سيدتى الأنسة ابنة الشاطىء .

طالعت فى الأهرام الغراء كثيراً من مقالات الكتاب فى الريف المصرى ، ويؤسفنى أن أقول إن كثيراً منها لم يصدر عن عاطفة حققة نحو الفلاح المسكين . ولم تكن كلها فى الصميم وجلها كتب ذراً للرماد حتى يتوهم الفلاح أن أسياده ينادون بإصلاح حاله . وما ذلك إلا من قبيل تخدير الأعصاب .

وكننت أحسب أن كتابات ( ابنة الشاطىء ) من هذا النوع حتى دفعنى فلاح مثلى إلى أن أقرأ مقالك ( موسولينى الفلاح ) المنشور فى أهرام ٤ من أغسطس سنة ١٩٣٥ فما قرأت المقطع الأول منه حتى التهمت باقيه بسرعة البرق . وراقى كثيراً وأثلج صدرى قولك :

« ظل الفلاح المصرى قروناً عدة يرسف فى أغلال البؤس والعوز والشقاء ( والظلم ) وكانت تتصاعد بين حين

وآخر صرخات بعض الأفراد تهيب بالحكومة أن تيسر  
للفلاح الشقى المجاهد حياة ممكنة . وهذه الصرخات تحدث  
صدى خافتاً لا يلبث أن يتلاشى »

الفلاح الصغير فى حاجة ملحة إلى حمايته من اضطهاد  
حضرات العمدة ومشايخ وأعيان البلاد .

فدافعوا أجور الخفر هم الفلاحون الفقراء ، وخفراء  
النيل أو بعبارة أصح ( حراس مساكن وأطيان حضرات  
الأعيان من طغيانه ) هم الفلاحون الفقراء . ورجال تنقية دودة  
القطن فى زراعات العمدة والأعيان والباشوات ، هم الفلاحون  
الفقراء . وواضعو فوانيس الإنارة أمام منازلهم فى القرى  
هم الفلاحون الذين لا يتمكنون من إنارة داخل مساكنهم .  
بله قيامهم بمطالب معيشتهم .

وبعد وقبل فالفلاح فى حاجة إلى قانون يحميه فهل  
بذلك يأسى دق تنادين وبهذا الخصوص تكتفين ؟  
إننا لما تعملينه لمنتظرون والله لا يضيع أجر المحسنين  
ويكفى يأسى دق أن تعرفنى أنا ...

الفلاح المسكين



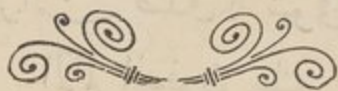
## من الريف المصرى

إلى الأنسة الفضلى ابنة الشاطىء

روح من الخلد قد جاءتك بالنور  
يا ( ريف مصر ) فأودت كل ديجور  
فاضت عليك بآيات محبية  
( بنت الشواطىء ) من نظم ومشور  
وحى من السحر ( بالأهرام ) يبعثه  
قرآن صدق له شوقى وتفكيرى  
أبدت من الألم المدفون علته  
( مثل الأشعة ) لا مثل العقاقير  
إن الطبيب الذى تحيا النفوس به  
من يكشف الداء فى سهل وميسور  
من يخلع الداء من أقصى أرومته  
ويبعث البشر بين الناس كالنور

عطر من الشكر تسديه أزاهره  
نحو التي أحسنت في خير تعبير  
والبر بالوطن المحبوب مفخرة  
تبقى على الدهر رغم الظلم والجور

فاقوس العبد روسي العباسي



AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY



## ليتبصر الأمر أولو الأمر

ذكرت الآنسة ابنة الشاطيء في مقال سابق ، حديثاً مع فلاحها المريض بإحدى القرى المجاورة لبلدة بنها ، وطلبت منه أن يسرع إلى الطبيب لمعالجة ما ألم بعينه الرمدائيتين . أُنحت عليه باللائمة لإهماله في معالجة نفسه ، لا سيما والمستشفيات الرمدية وغيرها منتشرة في أنحاء القطر ترحب بالعلاج المجاني للجميع . . فكان رد هذا الفلاح المريض ، « إنه لا يوجد طبيب في القرية وإذا وجد فلا طاقة لي بأجره و ثمن ما يصف لي من دواء . . أما المستشفيات فلن أستطيع أن أترك عملي وأرحل إلى بنها وهي على مسير ساعتين من القرية ، ولمن أترك أطفالي وزوجي وأين أعيش في بنها وأنى لي ثمن طعامي وأجر مسكني . . الخ » وخرجت الآنسة من هذا الحديث بأن وجهت نظر مصلحة الصحة إلى تعميم العلاج في القرى بعد أن أنشأت

نشرت في الأهرام في ٢٨ من أغسطس سنة ١٩٣٥

الكثير من المستشفيات في المدن حتى لتكاد تصيبها التخمة .  
وتعميم العلاج للفلاح أو العامل ، مشروع قديم له  
تاريخ حافل في أوربا ومصر . أما في أوربا فيرجع عهده  
إلى سنة ١٣٨٣ عندما سنت ألمانيا قانوناً يضمن للعامل  
المعالجة المجانية ، بل ويتقاضى مرتباً يومياً أثناء المرض  
- وقد أصدرت النمسا قانونها سنة ١٨٨٨ ، وتبعتها المجر  
في سنة ١٨٩١ - وفي سنة ١٧٩٣ صدر قانون مماثل في  
فرنسا .

وهذا القانون ينص على العناية «بجميع الفقراء المعدمين  
الذين لا مورد لهم»

وفي سنة ١٩١١ صدر في إنجلترا قانون التأمين الأهلى  
الصحى .

وهو يطبق على الأشخاص بين سن ١٦ ، ٦٥ الذين  
يقل دخلهم السنوى عن ٢٥٠ جنيه - ويتعاون في تدبير  
المال اللازم لهم ، العامل وصاحب العمل والحكومة ، وقد  
كان دخل هذا المشروع في سنة ١٩٢٦ مبلغ ٣٧ مليون  
جنيه - وفي سنة ١٩١٢ صدر في إنجلترا الأمر المنظم



لمعاهد قانون الفقراء المعدمين ، ويقوم على تنفيذه لجنة « الأمناء » ومن أعمال هذه اللجنة أنها تقوم بفحص وعلاج الفقراء المعدمين في منازلهم ، وتصرف لهم الأدوية مجانا ، وتبحث عن عمل للقادرين منهم وتدفن الفقراء من الموتى وبلغ مقدار ما صرفته هذه اللجنة من الإعانات سنة ١٩٢٧ مبلغ ٤٩٥٠٠ ر. ٠٠٠ جنيه

عدا ذلك توجد في إنجلترا « الجمعيات المعتمدة » التي اعترفت بها الحكومة بموجب قانون يرجع تاريخه إلى سنة ١٧٩٢ وغرض هذه الجمعيات هو تدبير العلاج لأعضائها ولعائلاتها . . وقد بلغ عدد هذه الجمعيات في إنجلترا ألف جمعية تقريبا تحت مباشرة وزارة الصحة . أما في مصر فيرجع تاريخ الاهتمام بتعميم العلاج في القرى إلى سنة ١٩٢١ عند ما اجتمعت الجمعية الطبية المصرية ، وقام حضرة الدكتور سامى كمال مطالبا بوضع قانون الإسعاف الطبي المجانى الإيجابى بالقطر المصرى . وقد تألفت لجنة بالفعل تحت رئاسة الدكتور على باشا ابراهيم ولكنها لم تسعد بوضع هذا القانون .

تلا ذلك مشروع الدكتور محمد عبد الحميد بك المسمى مشروع التعاون الصحى ، والذي حاضر به المجتمعين فى الجمعية الصحية فى مستشفى الملك سنة ١٩٢٧ ، وأساس هذا المشروع هو ما رآه حضرة الدكتور من أن التطبيب فى مصر يسير على نظام غير عادل من حيث توزيع الأطباء لأنحاء القطر ، وكذلك توزيع المرضى على الأطباء ، إذ أن أهل القرى والكفور وهم الأغلبية الساحقة ، مغبونون غبنا فادحا ومظلومون ظلما بينا - ولقد نهج فى مشروعه على النظام المتبع فى شارون بكنساس . فقد أسس أهلها جمعية سموها « جمعية التعاون الصحى » شعارها « لا تبخل على صحتك » ونظام هذه الجمعية أن يقوم الطبيب بعلاج سكان شارون بمرتب سنوى قدره ثلاثة آلاف دولار ، على أن يقدم له السكان محل العيادة ويدفعون له نفقات النور والغاز والتليفون . . . ويقوم الطبيب من جهته بتأثيث العيادة ونفقات سيارته - وقد نجح هذا المشروع منذ سنة ١٩٢٤ إلى الآن - وبعد أن شرح حضرة الدكتور عبد الحميد بك المواد العشرة لقانون هذه الجمعية ، اقترح أن يتبع هذا النظام فى مصر مع بعض التصرف .



وفي سنة ١٩٢٧ درست مصلحة الصحة طويلاً هذا الموضوع ، ثم أصدرت برنامج الإصلاح الصحى لمصلحة الصحة والمصدق عليه من المجلس الاستشارى الصحى بجلسته المنعقدة فى ١٦ من أبريل سنة ١٩٢٧ - وقد رأت أن تستغنى عن هذه المشروعات لتعمم بدلاً منها المستشفيات المركزية والقروية وتزيد فى الأقسام الأخرى كإدارة الطفل والأمراض الجلدية والزهرية ومستشفيات الأمراض المستوطنة - وقد بدىء فى تنفيذ برنامجها فعلاً فى سنة ١٩٢٨ إلى أن قابلتها الأزمات المالية الحالية ، فتباطأت بعد أن طمرت طفرة كانت موضع فخرنا وإعجاب الغربيين بنا .

ومضت فترة طويلة على مشروع تعميم العلاج بالقرى منذ ذلك التاريخ حتى فبراير سنة ١٩٣٤ ، حين أثار الأستاذ الدكتور خليل بك عجاج البحث بعد درس طويل مرهق ، فبذل فى ذلك مجهوداً مشكوراً محموداً . . . وللاستاذ خليل بك من طبيعة عمله وتغلغله فى القرى ونتائج أبحاثه الكثيرة ، ما يوجه نظره لسوء الحالة الصحية . . كما أن له من خبرته ونشاطه بإحدى القرى المصرية ، حافظاً قوياً دفعه للتفكير فى إصلاح حالة الفلاح الصحية ، وفى ٢١ من فبراير سنة ١٩٣٤

تقدم الدكتور خليل بك بمشروعه عن الالتزام العلاجي  
وأساس المشروع أنه يوفر للفلاح الذى يملك أقل من  
عشرين فداناً أو لا يملك شيئاً ، الفحص والمعالجة له ولأسرته  
مع بعض إصلاحات أخرى تتلخص فيما يأتى : -

١ - الفحص والعلاج بوساطة طبيب لكل عشرة  
آلاف نسمة من السكان .

٢ - يصرف الدواء مجاناً .

٣ - يخصص أطباء الصحة فى المراكز كل أوقاتهم  
للأعمال الصحية .

٤ - تعالج المستشفيات المرضى الذين يحولون عليها  
من أطباء مشروع الالتزام فقط .

٥ - يقوم أطباء الالتزام بالتبليغ عن الأمراض الوبائية .

٦ - يحرر أطباء الالتزام شهادة الوفاة بعد معالجة  
المريض .

وخوفاً من إرهاب الطبيب بلا داع ، رأى حضرة  
الدكتور أن يدفع كل مريض خمسة مليات رسوماً وهذا  
المبلغ الزهيد يكون له من الأيراد مبلغ ٥٠٠ ر ١٧٢ جنيه فى  
العام باعتبار ثلاث زيارات لكل مريض ، ويعطى للطبيب



ثلاثة قروش صاغ عن كل شخص في منطقته سواء مرض أو لم يمرض ، فيكون متوسط دخل الطبيب ٣٠٠ جنيه في السنة أى ٢٥ جنيهاً شهرياً — أما عدد السكان الذين يستفيدون من هذا المشروع فهو ٠٠٠ ر ٥٠٠ ر ١١ نسمة وعدد ما يلزم للمشروع من الأطباء هو ١١٥٠ طبيباً وجعل ما يتطلبه المشروع من مصروفات للأطباء والمفتشين وكتابة في الإدارة المركزية والدواء وتجهيزه والعيادات وخلافه ، ٥٢٠ ر ٠٠٠ جنيه يخفض منها إيراد رسوم خمسة المليمات وهو ١٧٢ ر ٥٠٠ جنيه ، فيكون جملة المطلوب للمشروع هو ٣٤٧ ر ٥٠٠ جنيه .

وقد اقترح حضرة الدكتور عدة اقتراحات لتدبير هذا المبلغ اللازم للمشروع ، منها أن تجبى رسوم إضافية قدرها ٤ ٪ من المال المربوط — فالفلاح الذى لا يملك شيئاً سيغتبط لها لأنه سيعالج مجاناً — ومالك الخمسة أفدنة سينال علاجه هو وأولاده وهذا بلا شك مبلغ تافه زهيد ، ومالك العشرين فداناً فأكثر سيدفع هذه الرسوم الإضافية لفائدة عماله وأهاليهم فيزيد إنتاجهم فى أرضه مما يعوض عليه أضعاف ما دفع — على أن عدد هؤلاء الملاك ليس بالكثير فهو

٣٤٢٠٥ نسمة من سكان القطر كله . وهناك اقترح آخر هو  
أن يزيد عدد الأشخاص في مركز العلاج لكل طبيب  
فيصبح ١٥٠٠٠ نسمة بدلا من عشرة آلاف نسمة ، ويدفع  
المريض قرشين بدلا من خمسة مليمات ، وبهذا تخفض  
المصروفات إلى ٥ ٪ . تتحمل مجالس المديرية ٣ ٪ منها  
وتتحمل مصلحة الصحة ٢ ٪ . وذلك نظير الوفر المنتظر  
في اعتماداتها المالية كمنقص كمية الدواء الذي يصرف في  
المستشفيات والاستغناء عن أكثر أطباء الأوبئة - وبهذا  
النظام لا يحتاج الأمر لتقدير ضريبة خاصة لهذا المشروع .  
وقد وضع حضرة الدكتور خليل بك هذا المشروع  
للمناقشة ، فكان له معضدون ومعارضون ، أما المزايا التي  
ذكرها المعضدون فمجملة أن هذا المشروع من الوجهة  
الصحية مشروع علاجي يقضى على سلطان الحلاق الذي  
دفعه كلوت بك منذ مائة عام ليهيئ الطريق لعصر الطبيب  
- ومن الناحية الاقتصادية يدبر عملا لألف ومائتي طبيب -  
ومن الوجهة الوقائية تحسين في الطرق التي تكتشف بها  
الأوبئة الآن - ومن الناحية العلمية يعطينا إحصائية موثوقة  
بها من الوجهة الطبية ، فتقل الحالات الجنائية التي لا تكتشف



وكذلك الدفن السرى - ففي تدوين شهادة الوفاة بواسطة الطبيب ما يرفعنا إلى مستوى البلاد الأوربية التي يمنع فيها إعطاء تصريح بالدفن ، بدون شهادة وفاة من طبيب معالج باشر علاج المتوفى لمدة ثلاثة أيام على الأقل ، قبل تاريخ وفاته ، وإلا فإنه يمتنع عن تحرير شهادة الوفاة وتتولى النيابة العامة نفسها الحالة والتحقيق فيها .

أما المعارضون فقسمان : قسم يحيز تخصيص هذه المصروفات إذا وجدت لإتمام مشروع البرنامج الصحى لإنشاء المستشفيات وحجته فى ذلك أنه بينما يوجد لسكان لندن وعددهم ثمانية ملايين نسمة ، ١٤٧٠٤٠٠ سرير أى بنسبة اثنين لكل ألف من السكان - وفى الولايات المتحدة مليون وأربعة عشر ألف سرير أى بنسبة ٨ فى الألف ، فإن الموجود فى مصر مع كثرة أمراضها المتوطنة وغيرها ، لا تتعدى نسبته سرير الكل ٤٨٠٠ نسمة من السكان - ولهذا يرى هذا الفريق أنه يجب أن يزداد عدد الأسرة لتصبح النسبة سريراً لكل ألف من السكان على الأقل .

ولإتمام هذه الغاية يجب أن ينشأ ٢٠٠ مستشفى مركزى جديد على أن يكون عدد الأسرة ٤٥ سريراً

في كل مستشفى ، وتعمم المستشفيات القروية ليصبح لكل ثلاثين ألفاً من السكان مستشفى قروي .

أما الفريق الثاني فرأى أن الوقاية خير من العلاج ، وأن أساس تحسين حالة الفلاح هو ولا شك العناية بتحسين القرى وحسن تخطيطها ، وبناء المنازل الصحية ، وتحسين غذاء الفلاح وملبسه وتوفير المياه النقية وما أشبه . وأعطى أحدهم لذلك مثلاً في قوله . ما قيمة الفائدة التي تعود على الفلاح المصاب بالنزلات الشعبية أو التهاب الرئة من إعطائه جرعة المزيج المنفس عندما يعود ليعتكف في غرفته التي لا ترى لها منفذا للهواء والشمس والملاصقة لحظيرة الحيوانات وما يحيط بها من آلاف الحشرات والجراثيم ؟ ؟

هذا مجمل ماتم بخصوص تعميم العلاج القروي في مصر . ولست راغباً في هذا المجال أن أنتصر لفريق دون فريق ، فكلها مشروعات نافعة للفلاح . . على أنني أحبذ كثيراً أن نبدأ بالمشروعات الخاصة بالوقاية ، أعني بإصلاح القرية نفسها وتوفير ماء الشرب فيها وغير ذلك مما جاء مفصلاً في مقالتي السابق - وإلا فإننا إذا عطينا بالعلاج قبل الوقاية فنكون قد وضعنا المركبة قبل الحصان كما يعبر المثل الانجليزي . وبعد فلا أجد ما أختتم به هذا المقال أحسن من ذلك



القول المأثور لحضرة صاحب العزة الدكتور عبد الرحمن بك عمر « من العار أن تكون قرانا بالحالة التي هي عليها الآن، وأن يكون أهلونا في الظروف غير الصحية التي يعانونها. ولا أمل في الإِصلاح قبل أن يشعر القرويون بحقوقهم في الحياة وقبل أن يتقَى الله أولو الأمر في أهلنا وذوينا »  
وليت شعري هل آن لنا بعد هذه المجهودات أن نتساءل متى تستيقظ مصر من نومتها لتقوم قومة واحدة، مطالبة بتقوى الله في أهلنا وذوينا من الفلاحين الذين حملوا هذه الأمة على أكتافهم أكثر من أربعين قرنا من الزمان، وهم يسفكون دماءهم يوما بعد يوم ليهبوا لنا الحياة رخيصة هادئة ويضيئوا لنا بأجسامهم المحترقة البالية طريق السعادة الناعمة الهائلة ؟ ؟ ..

وسواء عندي عرف أولو الامر هذه الحقيقة أو تجاهلواها فإنني على يقين مما تقوله الآنسة ابنة الشاطئ : « إنه مهما طال زمن إضاءة هذه الأجسام المحترقة فلا بد أنها واصله إلى النهاية المحزنة إذا لم تمدّها بعوامل الحياة — ولنا الله يوم يحترقون ويتركوننا نتخبط في ظلمات المجاعة والشقاء »؟

الدكتور أبو لى بولس

## في الريف المصرى

أتيح لى التجول فى بعض قرى الريف القريية من القاهرة لا لغرض التنزه أو الترويح عن النفس ، بل لأستطلع حال الفلاح المصرى على صدى ما كتبتة الأدبية الفاضلة « ابنة الشاطىء » على صفحات الأهرام الغراء ، ووصفت فيه حال هذا الفلاح البائس ، مناشدة أولى الأمر معاوته بقدر المستطاع ، تخفيفاً لما يعانيه من ضيق وعوز ، وما يقاسيه من شقاء وألم !! .

شعرت بالألم يحز فى جوانب نفسى حينما طالعت مقالات الكاتبة الفاضلة ، ولكنى شعرت باضعاف هذا الألم حينما شهدت الريف بنفسى ، ولمست الحال فيه عن كشب ، وليس الخبر كالعيان !!

خيمنت على الريف سحابة سوداء حالكة الظلمة ، فأظلمت الدنيا فى أعين أهله من جراء ما يقاسونه فى حياتهم من فقر مدقع ، وعوز شديد ، وليت الضنك انتهى عند



هذا الحد ، فقد شاء إلا أن يقضى على الفلاح قضاء عاجلاً  
سريعاً ، فرماه تحت عبء ثقل من الديون وفوائد الديون  
التي اضطر إلى استدانتها ليدفع الضرائب ، والضرائب في  
الريف سيف مسلط على الرقاب ، فأصبح الفلاح بعد أن  
باع أرضه ومواشيه مديناً بدين يزداد يوماً بعد يوم ، وهو  
بجانب ذلك لا يجد ما يسد حاجته هو وأطفاله التعساء ،  
الذين يشاركونه نصبه طيلة اليوم في أشق الأعمال ، وتكاد  
الشمس تذيب لحمهم وعظامهم ، يعيشون عيشة ضنك  
ويذوقون الشقاء ألواناً !! .

فأية حياة هذه ؟ ! . . .

نحن هنا في المدن نلهو ونمرح والفلاح يئن ويتوجع .  
نحن في المدن نحيا حياة البذخ والإسراف ونعيش من  
عرق الفلاح ، نأكل أطيب الأنواع ونشرب القراح ،  
والفلاح في الريف لا يجد ما يسد به جوعه . نحن في  
المدن نحيا حياة صحية تتمتع بالهواء والشمس والفلاح في  
الريف تفتك به الأمراض والحميات ! ! ! ! .

عيسى منولى

## الى ابيته الساطىء

لا يسع فلاحا مثلى يطيعه القلم قليلا إلا أن يشكر من  
صميم قلب القرية فيها نحن هؤلاء كما تعلمين صائرون إلى الفاقة  
بل أصبحنا فعلا في مجاعة شاملة ، نرى آثارها في تلك  
الأجساد الهزيلة ، والقوى المهدمة التي تعمل الآن في القرية  
والتي يمنعها من النزوح للمدينة ، ما بقي في النفس من عزة  
وحياء سوف لا يلبثان أن يزولا تحت ضغط هذا الفقر  
اللعين .

الحقيقة يا آنسة أن الأرض هي هي ، ولكن الذى  
أشقانا هو أن نفقها أصبحت أكثر من دخلها ، حتى  
أمسينا لاستفيد منها شيئا فجعلنا وعجزنا عن الخدمة الصادقة  
فكثرت الآفات ، وضعفت الأرض ، واشتد الكرب ،  
والأمر لله .

وقد عرفنا فى أحد مجالس أجران قرينتنا المتواضعة ،  
عرفنا الداء وصورناه ، فإذابه على حد إدراكنا معقول .



الداء ياقوم هو الغلاء فكل شيء في هذا البلد غال ، ولا سبب في ذلك إلا الضرائب الفادحة التي فرضت على مختلف الوارد والإنتاج ، فانظروا إلى ثمن البذرة والسماد والتقاوى فإذا بها لا تتناسب مع غلة الأرض ، ثم انظروا إلى حاجات الفلاح نفسه ، فالمنسوجات والبقول بأنواعها غالية ولا سبب لذلك إلا الضرائب التي أضافها التاجر بدوره على الأثمان ، فأصبحنا أمام الحقيقة والمعنى الصحيح ، وهي أن تلك الضرائب فرضت على الفلاح .

قد تأثرت كل الميزانيات كبيرة وصغيرة خلال الأزمة الطاحنة إلا ميزانية الحكومة فهي تحمد الله على هذا التوازن الذي جاء عن طريق الضرائب ، على الجمارك ، على الإنتاج ، على كل الموارد ، حتى صيرتنا في ما نحن فيه من بؤس وشقاء .

فاذا لم تفكر الحكومة في تخفيف هذا العبء الثقيل واستمرت على هذه الفروض لتسد المطالب المختلفة ، تلك المطالب التي لا تخفى على كل وطني غيور ، فعلى الدنيا السلام .

( ابن القرية )

## صورة ريفية

إلى الأنسة الفضلى ابنة الشاطيء

لم أنس تلك الساعات التي قرأت فيها مقالاتك الحزينة  
عن الريف الجميل المغبون ، تلك المقالات التي أثارت في  
نفسى ذكريات دفينه ما زالت تتجدد كلما خلوت بنفسي  
وجمعت أشتات حسى .

منذ أعوام ثلاثة ، كنت قد خرجت من أحد الامتحانات  
العامة مكدودا متعبا . فزين لى أحد الأصدقاء أن أسافر إلى  
الريف ، حيث هواء الحقول المنعش البهيج يتضوع بشذا  
أزاهير القطن الصفراء التي تحمل إلى مرضى القلوب  
والأجسام رسالة الشفاء .. رسالة العزاء والسلوى .

وكان الوقت ليلا حينما ركبت القطار لأول مرة إلى  
الريف المصرى الساحر ، وجاء صديق يودعنى ، وكان  
وداعا حارا مؤثرا فدهشت وقلت له متعجبا :

- مالك تودعنى هكذا وكأننى ذاهب إلى حيث لا رجعه ؟



فقال - لأننى لن أراك قبل مضى شهرين !

قلت - عجبا .. ومن أنباك بهذا ؟ .

قال - الريف يا صديقى ، الريف .. إنه كريم مضياف .

سوف يحتويك بين ذراعيه ويطوف بك ليريك لونا جديدا

ساذجا من ألوان الحياة ... سوف يسمعك من حفيف

الأوراق الذابلة المتساقطة وغناء الرعيان وبكاء النواير

وأهازيج عذارى القرية أروع موسيقا علوية شجية تذهب

كوا من الآلام والأشجان من النفوس المسكدودة الخائرة .

فقلت - حسنا يا صديقى ... هذه بداية طيبة ، إلى

الملتقى .

وتحرك القطار واختفى وهو يلهث فى جوف الليل

البهيم .

وفتحت لأول مرة نافذة حجرتى المطلّة على الحقول

المنبسطة كاللبساط النضير ، فداعبنى هواء الليل المبكر

وأرسل فى نفسى رقة وحنينا ، وأفاض فى ذهنى أحلاما

غامضة لذيذة هى آمال الشباب الوثائق الوثاب .. ورحت

أستنشق نسيم الليل بنهم شديد ، وبين حين وحين أرفع

بصرى إلى القمر الفضى الساطع الذى أخذ يظهر تارة

ويختفى أخرى بين طيات السحاب المتناثر .  
وأخذت أتطلع إلى الأفق البعيد فأرى غابات النخيل  
الباسقة تتراعى لى عن بعد بأغصانها المدلاة كشعور العذارى  
وكأنها أشباح من الجن تتراقص .

وطرق سمعى صوت غناء خيل إلى أن نفسى المضطربة  
قد تلاشت تحت تأثير سحره . . . وأن تلك النبرات العذبة  
الحنون التى يحملها إلى نسيم الليل ، والتى تنساب فى هدوء  
وسكون إلى أذنى المرهفة ، قد طغت على روى فأفنتها ،  
وأغلقت النافذة وقد عزمت على الذهاب إلى مصدر الغناء ،  
وبادرنى صوت أجش مكدود :

- من هناك . . . ؟

فقلت - ضيف .

فأجاب الصوت على الفور وقد أخذته نحوه العروبة :  
- يا مرحبا بالضيف يا مرحبا . . . تفضل .

وكان مضيفى شيخا اشتعل الشيب فى رأسه ، جالسا إلى  
منتصفه فى حفرة من الطين ، منحنيا على طنوره يديره  
بسرعة غريبة ليرفع به الماء من النيل إلى الحقول العالية  
المنزرعة .



قال - مرحبا .. أمن القاهرة ؟

قلت - أجل .

قال - أنعم بك وأكرم .

قلت - شكرا .. وأنت ؟

قال - من هنا .

قلت - ألم تر القاهرة ؟

قال - كلا ، ولم أخرج من بلدتي قط !

قلت - كيف ؟ أليس عندك متسع من الوقت لتزورها ؟

وضحك الشيخ الريفى ضحكة جافة . خيل إلى أنها

أشبهه بقهقهة أمواج النيل المتلاطم بجانبه ، ثم قال :

متسع من الوقت .. نحن قوم كتب علينا الشقاء فى

لوح المقادير من ضجعة المهد إلى رقدة اللحد .

قلت - ألهذا الحد . ؟ !

قال - نعم وأكثر من هذا الحد .

قلت - إن من كانت نفسيته هكذا لا يرفع عقيرته

بالغناء ؟

قال - كم ترى من ابتسامات مشرقة تلوح على شفاه

بدية لكن القلوب تزخر بالزفرات والآلام .

قلت - حدثني عن نفسك . . . عن عمك وعن قطنك ؟  
قال - أما عن نفسي فكما ترى . . . فقر مدقع وعيش  
كفاف وقوت بقدر البلاغ ، أما العمل فهو كفاح دائم  
مع قوى الطبيعة فتارة مع الماء والهواء ، وتارة مع الأرض  
المغلة . . فالريفى منا يستيقظ قبل أن يبرغ النهار ، يستقبل  
فأسه مع صياح الديكة ، ويثوب معه إلى بيته وقد جنحت  
الشمس إلى المغرب . . هى حياة متشابهة ملة ياسيدى تمضى  
على نسق واحد مرير .

أما القطن الذى أقام الفلاح بيته وأداره على هذا  
الحاصل ، فلم يعد له وواسفاه تلك القوى السحرية . . فنحن  
نأكل حبوب الأرض ونرصده وحده لقضاء الدين وأداء  
الضريبة وسداد العوز . . فإن بخست قيمته تزعزع البيت  
فألحف الدائن فى الطلب ، وأعنف الصراف فى التحصيل ،  
وأسرف البنك فى الحجز ، فنزلنا لهم عن قوتنا ورضينا نحن  
بالكسرة الجافة والماء الآسن .

قلت - كم أنتم بائسون  
فقال بصوت متهدج : أرأيت !



ورأيت عبرة تتألق في ضوء القمر وتنحدر في بطن  
مرير على لحية الشيخ البيضاء .

فقلت بصوت حزين - أتبكي يا شيخ . ؟

فاجاب الشيخ بنبرة فيها رنة البكاء .

« أبكى . ! ؟ كلا ، إنما يجب على الرجل الذى يستحق

أن يعيش فى هذه الحياة أن يتعلم كيف يتألم . »

وتنهى الشيخ بصوت هادىء غريب أشتم منه رائحة  
الآلم الدفين .

( عبد الخالق سید أبو رابطة )



## ميزانية الإصلاح وصحة الفلاح

هل آن لنا أن نستيقظ ؟

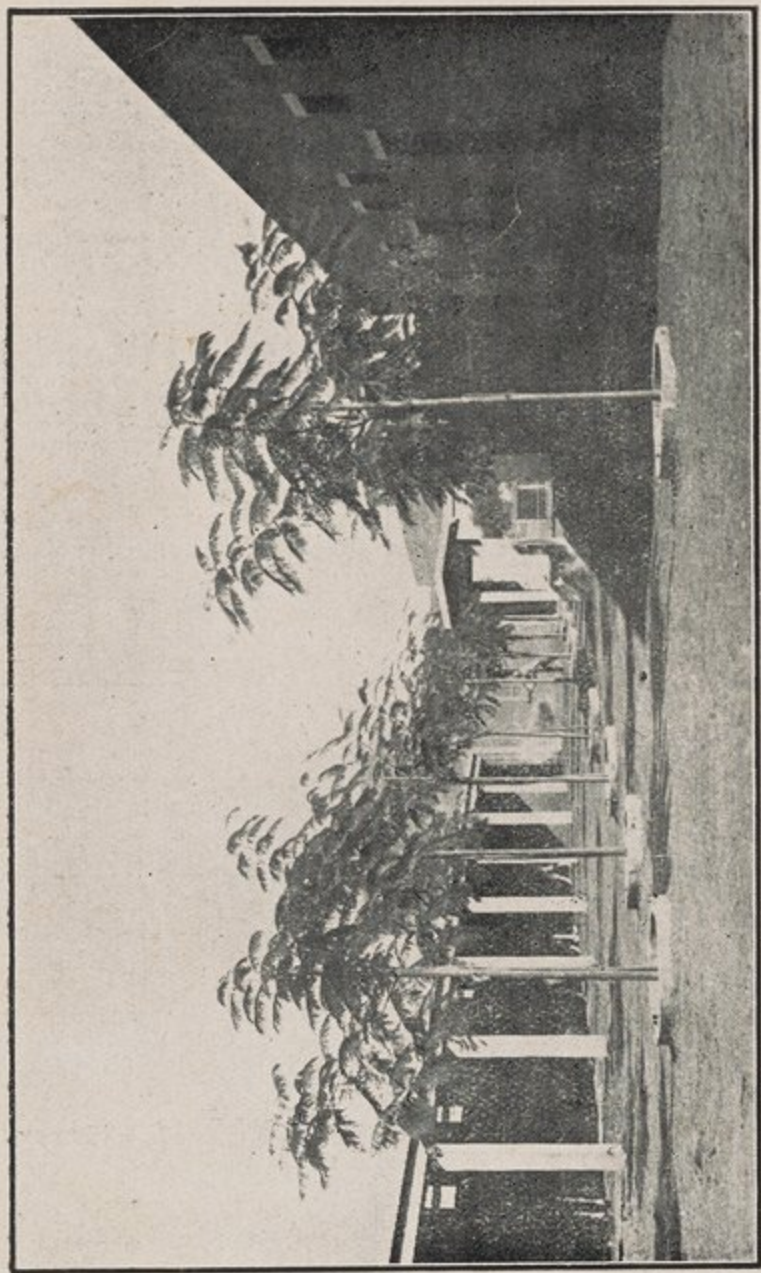
« هل آن لنا أن نستيقظ ؟ .. من يدري !! »

بهذا انتهت الآنسة « ابنة الشاطئ » من مقال لها .  
ولقد أعدت السؤال على نفسى مراراً وتكراراً وجلت  
جولة واسعة راجعت فيها مجهودات الماضى القريب ، وما  
بذلته فيه هذه الأمة الكريمة حكومة وشعباً لإنهاض حالة  
الفلاح الصابر القانع . فما وجدت قياساً أصدق على مبلغ  
تقديرنا لإسعاد فلاحنا من ميزانية الإصلاح وما اعتمد  
منها خاصاً بصحة الفلاح . وعقيدتى فى ذلك أن هذا المبلغ  
الذى اعتمد لإصلاح حالة الفلاح ونسبته إلى المبالغ الطائلة  
التي خصصت لمختلف مرافق الدولة ومشروعاتها ، إن هو  
إلا الدليل الدقيق على صحة التقدير فى إنهاض مستوى  
الفلاح . وهو فى الوقت نفسه جواب واف لسؤال الكثيرين :

نشرت فى الأهرام فى أول أغسطس سنة ١٩٣٥



مظائر صحفية في مزارع الجمعية الزراعية المالكية



AMERICAN UNIVERSITY IN CATO



هل آن لنا أن نستيقظ ؟ أم لانزال عن فكرة الإصلاح  
بعيدين وفي نومنا فقط غارقين !!! .

وجدير بنا ، ونحن في مستهل الحديث عن ميزانية  
الإصلاح وما يتعلق منها بصحة الفلاح ، أن نعطي لكل ذي  
حق حقه وأن لانغبط لرجل المالية حقوقه التي يستحقها  
عن جدارة وإخلاص . هاهو ذا واقف يلقي كلمة لرجال المال  
والأعمال من الإسكندريين في صراحة واضحة مأوها  
الشجاعة وعنوانها الوفاء « أن دونكم أيها السادة ظلم الفلاح  
فلقد أجمعت مختلف الطبقات من أصحاب البنوك والتجار  
إلى السماسرة وشركاء الكبس ووكلاء الشحن وبقية من لهم  
الشأن في تداول القطن في مختلف مراحلها ، على إرهاق هذا  
الفلاح البائس المسكين ، ولا أدل على ذلك من أن معظم  
المصروفات بقيت على حالها بينما تدهور سعر القطن إلى  
٥٠ ٪ أو أقل .. بل أسوأ من ذلك ، إن بعض التجار قد  
وصل بهم الجشع إلى أن يجعلوا فوائد التأخير ٩ ٪ فضلا  
عن الفوائد العادية ، وهكذا اتخذوا من إرهاق الفلاح موردا  
للربح بعد أن عجزوا في الحصول عليه من الترف بين أسعار  
الشراء والبيع .. » وهناك لسعادة الوزير صرخة مخلصه

محمودة جاءت مدللة مبرهنة على مبلغ إخلاصه للبلد عامة  
والفلاح خاصة . قال :

« إن من مصلحة كل مقيم في هذه البلاد أن يكون الفلاح  
بعيدا عن أحضان اليأس ، وأن لا تبدو عليه علائم السخط ،  
إذ أن جهود الفلاح هي وحدها مصدر الخير والبركة  
للكثير من وطنيين ، وأجانب ، فمن حقه إذن أن ننحى  
العطف وأن نهبه العناية الكفيلة برفاهيته ورخائه »  
ولعمري إن رجلا كسعادة وزير المالية هذا شعاره  
وهذا شعوره ، بل هذه مجهوداته في سبيل رقي الفلاح لجدير  
بأن يلقي منا كل تبجيل وتقدير .

غير أنني لو راعيت الصراحة في التعبير ، لقلت إن نشوة  
الطرب التي علتني عندما علمت بهذه المجهوات لم تدم طويلا ،  
إذ سرعان ما خلفها الكثير من روح اليأس والقنوط عند  
ما اطلعت على القرار الخاص بمذكرة مصلحة الصحة التي  
قدمتها للاعتماد في ميزانية الإصلاح للسنوات الخمس ، إذ  
جاء هذا القرار معولا هادما لصرح الآمال التي أملناها في  
سبيل رقي الفلاح منذ أن تبوأ هذا البحث المقام الأول في  
الصحف والجمعيات والمؤتمرات ، ورعيناه بكثير من المقالات



والنداءات . وإليكم نص هذا القرار حرفيا : « بحثت اللجنة طويلا في برنامج مصلحة الصحة وتبلغ تكاليفه ٢٦ مليون جنيه وانتهت إلى القول بأن أهم ما تضمنه هو توفير المياه الصالحة للشرب وتحسين حالة المساكن بالقرى ، وذكرت أن لمشروع المياه المقام الأول ، وتقتصر تكاليفه على مليونين من الجنيهات وقد اقترحت اللجنة البدء في تنفيذ هذا المشروع على أن ينفذ شطر منه مع برنامج الخمس السنين والشطر الآخر في السنوات التالية . . »

كان هذا قرار اللجنة المعسول ، ورغم بلاغته الظاهرة وبيانه الرائع فقد سجلت فيه هذه الحقائق المريرة . . أما أولها فإن اللجنة لم يعنها حالة الفلاح ، فحكمت عليه بالبقاء على ما هو عليه في زرائب هي أشبه بالكهوف أو بالقبور ، يعيش في مستوى حيواني بين أكداس القاذورات وروث البهائم والقمامات ، وفي وسط قريته الحالية وكل ما فيها باعث على ضعفه وسقمه بل موته وهلاكه ، لولا مسكة فيه من الإيمان والصبر وبقية من الجلد والثبات . . أما ثانيها فإنها وجهت نظرها إلى مشروع المياه فوجدت أنه يتسكلف مليونين من الجنيهات وكأني بها وقد هالها ضخامة

هذا المبلغ أيضاً يصرف للفلاح في خلال خمس سنوات ،  
رأت أن ينفذ شطر منه في برنامج الخمس سنين ، والشطر  
الآخر في السنوات التالية ، أما مبلغ هذا الشطر الأول فقد  
ترك دون تحديد حتى طلعت علينا المذكرة التفصيلية  
للمصروفات فكان جملة ما خص وزارة الصحة في  
الخمس سنوات هو ٨٠٨٠٠٠ ر - جنيه من جملة المطلوب  
وهو ٢٦ مليون جنيه »

وتغنيك النظرة الواحدة إلى نسبة العددين عن التعليق  
على مبلغ تقدير هذه اللجنة إلى ضرورة تحسين حالة  
الفلاح المكدود المرهق ، الذي تعلم أنه يموت جوعاً  
ليسعد أمته ، والذي يبذل كل ما أوتيته من نشاط وقوة وهمة  
ليفيض بخيره وفضله على أفراد هذه الأمة ، ويشقى بين  
المحراث والفأس فيحطمه المحراث ويفنيه الفأس ، وتقوم  
على عظامه النخرة وجسده الهزيل ثروة هذا القطر فنسعد  
به نحن نا كرى الجميل ، نعم فأى مظهر لنكران الجميل أشد من  
أن نأخذ منه ماله لنضع بين يديه بضعة آلاف من الجنيهات  
لإصلاح قرى القطر المصرى كله ، بينما تتمتع مصلحة  
التنظيم بالقاهرة وحدها بأكثر من المليون من الجنيهات !!



وينال الرى وحده ٢٠٠٠ ر ٢٦١ ر ٢٠ من الجنيهات ،  
 فإذا ما قيل لى إن فى تحسين حالة الرى إصلاح الأراضى  
 البور وتوسيعا لرزق الفلاح ، أجبنا على ذلك أن  
 الضرورة تحتم إصلاح صحة هذا العامل مع إصلاح  
 الأرض ، ودليل على ذلك ما رآه بعض الاقتصاديين من أن  
 السكان الذين يشتغلون بالزراعة يقفون على شفا الخطر  
 إذا عاش ثمانمائة منهم فى ميل مربع . أما فى مصر فقد بلغ  
 عدد الذين يشتغلون فوق الميل المربع الواحد ، ١٠٤٥ نسمة  
 حسب تعداد سنة ١٩٢٧ ، وهو الآن أكثر من ذلك . غير  
 أن هذا الخطر لم تدرك بعد حقيقته ولا ينتظر أن تزول نكبته  
 مادامت صحة الفلاح كما هى عليه ترزح تحت عبء  
 الأمراض والأسقام فتذهب بالكثير من قوته بل وتودى  
 بحياته وحياة أفراد عائلته .

إذن فكل خطوة تخطى فى سبيل تقدم حالة الفلاح ،  
 لا بد وأن تتناسب وحالته الصحية ، وهذه النظرية تنطبق  
 على كل نواحى التقدم حتى فى نهضة التعليم ، وإليك رأى  
 سعادة وزير المعارف فقد قال : « إن نهضة التعليم لا تكون  
 مجدية إلا إذا صحبها إصلاح اجتماعى وخاصة فى الشؤون

الصحية ، فقد ظهر من التقارير الطبية عن الفلاحين  
وأبنائهم أن الأمراض تنهك قوى أجسامهم وعقولهم  
فتؤخر نموهم وتقلل من ذكائهم . »

ولقد عرفت هذه الحقيقة أمم العالم فوضعت نصب  
عينها راحة الفلاح أو العامل البسيط وإنهاض حالته الصحية  
كأساس أولى من أعمال حكومتهم . فاية أمة تريدون أن  
أقدم لكم مثلاً؟؟ انجلترا وقد صرفت أربعائة مليون جنيه  
في عشر سنوات لتحسين مساكن الطبقة العاملة في المدن  
والقرى وهم مع ذلك غير قانعين بهذا القدر ، فقد ألقى  
السيد هلتوبونج وزير الصحة في ٢٦ من نوفمبر الماضى خطبة  
خطيرة طالب فيها الحكومة والشعب بالإكثار من المباني  
للفقراء ؟ .

أم فرنسا التي صرفت نيفا ومليارين ومليونين من  
الفرنكات في خلال ثلاث سنوات للغرض نفسه ؟ . أم  
ألمانيا التي شيدت حكومتها ملايين المنازل لفقرائها وعمالها  
وفلاحها . . وما أن قدم شهر مايو المنصرم حتى هرع  
وزرائها وكبار الرجال فيها وعلى رأسهم ألهر هتلمر على متن  
طياراتهم يجوبون مختلف القرى ليقفوا بأنفسهم على سعادة



أهلها ويشاركوهم في عيد الفلاحة، حتى إذا ما وصلوا إلى بلدة  
جسلار، وهي قاعدة الفلاحين الألمان، تقدم بعض من  
فلاحهم وأهدى للزعيم صندوقاً جميلاً من الفضة المأخوذة  
من جبل رامليبير يحتوى على وثيقة انتخابه فلاحاً وطنياً  
في بلدتهم. وإليك رد الزعيم الدال على مبلغ تقديره الفلاح،  
« إني أشكركم الشكر كله على هذا الشرف الذى أوليتمونى  
إياه وأؤكد لكم فى اغتباط كلى أن أحسن لقب يمكننى  
حمله هو لقب فلاح ألماني » - قارنوا هذا التقدير للفلاح  
بتقديرنا له، ونحن إذا ما أردنا أن نصف أحداً من الناس  
بكل نقيصة موجعة قلنا له فى هزء وسخرية « أما إنك  
فلاح !! »

بل مالى أقسو على هذه الأمم الغربية فاقارنها بأممتنا !  
لنتركها فالبون بيننا شاسع والفارق أعظم من أن يقارن،  
دعونا نيمم نظرننا نحو أمم الشرق فنرى تركيا التى أمدت كل  
فلاح يهدم بيته القديم بمال يبنى به بيته الجديد، وقسطت  
السلفة التى قدمتها له على مدة طويلة تسمح له بسدادها  
من غير فائدة، وأنشأت فى كل قرية، البيت النموذجى الذى  
يجب أن يقوم البيت الجديد على مثاله.

وهاهي ذى العراق وقد جاء في أنبائها أن دور الفقراء  
التي قررت أمانة العاصمة تشييدها لسكنى الفقراء ، على وشك  
الانتهاء ، ولهذا أوعزت إلى مأمورى الأقسام بتسجيل  
الأسر الفقيرة ، وتقديم قائمة بها إلى أمانة العاصمة .  
بل انظروا إلى الصين وتعجبوا ، ها قد قام زعمائها  
المحنكون فوازنوا بين جميع وجوه التقدم فى نواحي الحياة  
القروية ، فخللوا مشا كل الريف إلى الجهل ، وقد تولاه  
المستنيرون ؛ والضعف الجسماني ، وقد تولاه الفسيولوجيون ؛  
والجشع ، وقد تولاه الأخلاقيون ؛ والفقر وقد تولاه  
الاقتصاديون ؛ ثم قاموا متكاتفين فبدلوا الكثير من  
مجهوداتهم وأموالهم لإنهاض حالة قراهم ، وإن ما يبدو أنه  
من الشجاعة فى هذا السبيل لجدير بالتنويه وداع إلى الإعجاب .  
ولو أننا منذ قيام نهضتنا خصصنا نشاطنا لإصلاح قرانا  
لأقمنا الدليل للعالم كله على أننا أمة تغنى بإصلاح نفسها بنفسها ،  
ولجاءنا بعد ذلك الاستقلال طائعا مختاراً ، ولما كان هذا  
الاستقلال وطيداً متيناً ثابتاً لا تزغزعه العواصف ولا  
تعبث به الرياح .

(دكتور أبولس بولس)



## كلمة اخيرة

## كلمة صغيرة

تحدثت طويلا عن شقاء الفلاح ، ولكن هناك أشياء أخرى لم أتحدث عنها ، أقسى وأشد إيلاماً ، يخفيها عن عيوننا ضجيج الحياة ، وانشغالنا عن الريف بمشاغلنا المعروفة .

إن الفلاحين في مصر ، ضحايا ، نلهم عنهم وهم يهيمون في شقائهم ، ويتخبطون في ظلام أليم .

مشاكل القرية متعددة ، وهي تقتضي إصلاحاً متشعب النواحي ، وأعرف أن المال هو العقبة التي تعترض سبيل الإصلاح ولكن هل من العدل والرحمة أن نسكت مطمئنين عن شقاء الفلاح ، لتشعب نواحي الإصلاح ولقلة المال ؟ لقد تغافل السابقون عن الفلاح ، فلو تغافلنا نحن أيضاً ، كان معنى ذلك أن الفلاح قد قضى عليه بالموت ، وكتب له أن يرسف إلى الأبد في أغلال شقائه ومرضه وفقره .

نحن لا نيقصنا المال متى توفرت لدينا العزيمة الصادقة على الإصلاح ، ومتى شعرنا بشقاء الفلاح .



كل ماذكرته عن شقائه ، لا يكفي لأن يضع أمام  
حضرات المسؤولين صورة صادقة تجيد التعبير عنه ؛ لكي  
نفهم هذا الشقاء ، يجب أن نتجول في القرى ، وأن نرى  
بعيوننا حالة الأشقياء المجاهدين .

فداحة هذا الشقاء ، وخطورة تأثير تدهم الفلاح في  
مستقبل الأمة وحياتها ، يطلبان منا إصلاحاً عاجلاً ، ولنذكر  
أن نهضتنا القومية ، لا يعقل أن تقوم على غير اكتاف  
الفلاح ، فهما ارتقت صناعتنا فإنها ستقتصر حتماً على  
الاستهلاك المحلي وبعض الأسواق الشرقية ، وكل الأمم  
قد سبقتنا في هذا الميدان ، ومن الحق أن نظن أن صناعتنا  
ستقتحم الأسواق الأجنبية يوماً ما ، وإذن فكل عنايتنا  
بالصناعة يجب أن يقصد بها سد حاجة الاستهلاك المحلي ،  
بينما حاصلاتنا الزراعية تملأ الأسواق الغربية ، ولن يسهل  
الاستغناء عنها ، لأن الحاصلات المحلية في أية مملكة ، يعتمد  
تداركها على الطبيعة قبل أن يعتمد على المهارة والعلم ، وقد  
حبتنا الطبيعة أخصب أرض في العالم ، ونهرًا نفت السحر  
في الصحراء فأحالتها جنة ناضرة وبعث في جدها روح الحياة ،  
وظروفاً جوية ملائمة ، فثروتنا من الزراعة وستظل كذلك

ما عبد الله في الأرض ، ولكن مافائدة الذهب في باطن  
الأرض إذا لم يوجد من يخرج به ؟ وبالمثل مافائدة البيئة  
الزراعية العجيبة إذا تهدم الشخص الوحيد القادر على  
استغلالها ؟

المنتجات الزراعية في مصر ، تفيض عن الاستهلاك  
المحلي ، وتشق طريقها إلى الأسواق العالمية ، وهذا يقتضي  
أن يظفر الفلاح بأكبر نصيب من جهودنا واهتمامنا .  
لقد اطمان الناس جميعا إلى عدالة دولة نسيم باشا ،  
واستطاع كل مظلوم أن يسترد حقوقه ، فظفر المحامون  
والعمال والمفصولون ، بعطف الرئيس ورعايته ، وبقيت  
في المؤخرة ، تلك الفئة الشقية المجاهدة ، لا تقوى لضعفها  
على بسط مظلمتها ، أفما آن لها أن تظفر بحقوقها في الحياة ؟ !  
لقد بلغ مجموع الحجوز الإدارية ، التي وقعت  
بمراكز مديرية أسيوط وحدها في هذا العام ، نظير الأموال  
الأميرية المتأخرة ، ١٨٥٠٠ حجز ، ومعنى هذا أن  
ما يقرب من عشرين ألف أسرة خربت في مديرية واحدة !



في الغد . . . حين يهتم أولو الأمر بإنشاء مستشفيات  
لأخينا الفلاح قبل الأبقار والحمير ، وإقامة معارض لتحسين  
نسل الفلاح الإنسان بجانب معارض تحسين إنتاج الخيول  
والجاموس ، وتشيد عشرات المستشفيات المتواضعة  
الواقفة بالعرض بدلا من مستشفى واحد أنيق . . .

في الغد . . . حين يشعر الجميع بشقاء الفلاحين وبؤسهم ،  
وحين نذكر جميعا كلها قبضنا المرتبات الضخمة في أول كل  
شهر ، أنها من عرق أخينا الفلاح الجائع المنكوب . . .

في الغد . . . حين يجلس سادتنا الأغنياء الذين يفرون  
من الريف ، وشباننا المترفون الذين يجهلون واجبهم نحو  
الفلاح ، حين يجلس هؤلاء وهؤلاء إلى موائدهم المحملة  
المثقلة بالطعام الأنيق ، فيعترضهم شبح الفلاح ابن مصر  
البار ، ممسكا ببطنه حتى يهدى ثروة أمعائه ، ومتمارضا  
حتى يترك لأبنائه اللقيمات الجافة ، بينما يعمل دائما في إعداد  
الولية الفخمة للسادة الأغنياء والشبان الوارثين . . .

في ذلك الغد الذي أرجو أن يكون قريبا ، يتحرك قلم  
التاريخ الواقف بالمرصاد ليسجل : وتحررت مصر من

ريائها العجيب ، فأدركت أخيرا أن الإنسان أكرم من  
الحيوان ، وأن الترف والتأنق لا يكونان بجانب الجوع  
والمتربة والشقاء ، فغمرت القرى موجه من الإصلاح ،  
أتاحت حياة ممكنة للفلاح المصرى ، الذى ظل قرونا عدة  
يرزح تحت أعباء ثقال من شقاء يصعب وصفه وتصوره ،  
فهبزغت من الريف أشعة من القوة والمجد والثراء ، غمرت  
الوادي كله ، مؤذنة بانبثاق فجر النهضة من جديد ، ومؤذنة  
يوم صحو جميل ؟

ابنة الساطىء



AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO



قريباً يصدر كتاب

وحي الشاطئ

شعر - قصص

بقلم

الآنسة ابنة الشاطئ

فاتتظروه !

# الفهرست

ص

- ١ ..... الإهداء  
٢ ..... عطف جلاله الملك المعظم على الفلاح المصرى

## القسم الأول — شقاء الفلاح

- ٦ ..... فلاحنا المسكين . . كم نظله !  
١٦ ..... جرعة ماء !  
٢٧ ..... الجمال المشوه الحزين  
٣٤ ..... وراء الستار  
٤٦ ..... فى قبور الأحياء المجاهدين

## القسم الثانى — منى نستبقيظ ؟

- ٥٦ ..... خطر نلهو عنه فيلهو بنا  
٦٧ ..... ماذا أعددنا للغد  
٧٦ ..... ثروة مهملة  
٨٨ ..... ترف بالغ وشقاء أليم

## القسم الثالث — إصلاح القرية

- ١٠٠ ..... فى جنة الريف



|     |                                   |
|-----|-----------------------------------|
| ص   |                                   |
| ١١٥ | موسولنى الفلاح .....              |
| ١٢٣ | والآن .. هل يسمع المصريون ؟ ..... |
| ١٣٤ | حقائق عجيبه .....                 |
| ١٤٢ | فتياتنا والتعليم الزراعى .....    |
| ١٥٢ | اقترح جدى .....                   |

### القسم الرابع — على هامش الريف

|     |                                |
|-----|--------------------------------|
| ١٦٢ | ذبول ... ( قصة ريفية ) ..      |
| ١٧٢ | بين نارين ... ( قصة ريفية ) .. |
| ١٨٣ | خاتمة القصة .....              |

### القسم الخامس — تعليقات

|     |                                                          |
|-----|----------------------------------------------------------|
| ١٩٤ | المال ... الداء والدواء للدكتور أبولس بولس .....         |
| ٢٠٣ | القبور المهجورة الكئيبة للأستاذ ابراهيم عبد اللطيف ..... |
| ٢٠٥ | صوت فلاح . فلاح مسكين .....                              |
| ٢٠٧ | من الريف ( شعر ) . للأستاذ العيدروسى العباسى .....       |
| ٢٠٩ | ليتبصر أولو الأمر . للدكتور أبولس بولس .....             |
| ٢٢٠ | فى الريف . للأديب عيسى متولى .....                       |
| ٢٢٢ | الداء . لابن القرية .....                                |
| ٢٢٤ | صورة ريفية للأستاذ عبد الخالق أبو راية .....             |
| ٢٣٠ | ميزانية الإصلاح للدكتور أبولس بولس .....                 |
| ٢٤٠ | كلمة أخيرة للمؤلفة .....                                 |

## فهرست الصور

|                                                     |             |
|-----------------------------------------------------|-------------|
| جلال الريف وفتنة الطبيعة                            | أمام صفحة ٤ |
| حاملات الجرار                                       | » » ١٦      |
| الخلود والروعة والحياة ، في أهرام مصر وريفها ونيلها | » » ٢٨      |
| جهاد !                                              | » » ٤٦      |
| صحة وجمال . طرق القرية كما يجب أن تكون .            | » » ٦٦      |
| الراعى ...                                          | » » ٨٢      |
| منازل موظفى قرية بهتيم فى أحضان الحقول والأشجار     | » » ١٠٠     |
| فتنة الريف كما تبدو فى القرية النموذجية             | » » ١٠٨     |
| جمال وجلال !                                        | » » ١١٢     |
| منزل مزارع بمنطقة الإصلاح فى إيطاليا                | » » ١١٦     |
| حرث الأرض                                           | » » ١٢٢     |
| روعة الفن وسحر الطبيعة                              | » » ١٤٤     |
| المنزل النموذجى للفلاح المجاهد                      | » » ١٦٠     |
| ترعة رئيسية .                                       | » » ١٦٢     |
| حظائر صحية فى مزارع الجمعية الزراعية الملكية        | » » ٢٣٠     |



## مطبوعات مكتبة الوفد

بشارع الفلسكى بباب اللوق - تليفون ٥٥٨٩٨ بالقاهرة

### ابنة الرجل المجهول

تأليف بول دى فوا

تعريب ادوارد زيدان — ثمنها خمسة قروش

رواية أدبية تاريخية سامية الخيال بديعة الأسلوب منسقة الحوادث في ثوب مبتكر لا عهد لقراء الروايات به من قبل تمثل الفضيلة في أشرف مواضعها والعفة في أجمل مواقفها والشهامة بكل معانيها بلغة سهلة بليغة لا تعقيد فيها تملك على القارئ مشاعره فلا يتركها حتى ينتهى منها ومما زاد في طلاوتها ما جاء من رسوم أبطالها من الصور الانيقة والأشكال البديعة هي بغية الفتى ورعاية الفتاة وطلبة الرجل والأمل الخلاب الذى تفيض على كل قلب برويقه الغريب مطبوعة طبعاً متقناً على ورق جيد تطلب من مكتبة الوفد بباب اللوق

### أبو حامد الغزالي

حياته وآراءه ومصنفاته ثمنه ٣ قروش صاغ

بقلم الأديب محمد رضا أمين الجامعة المصرية كتاب من أنفس الكتب يستمد القارئ من بدائعه الرائعة معنى العبقرية الفياضة والحياة العظيمة الحافلة بكل لطائف الفلسفة العلمية ويستخلص منه تاريخاً حياً

حاراً . حياة الانسانية الحققة من ترجمة حجة الاسلام أبو حامد الغزالي  
وما كان له من نشأته وتاريخ ميلاده وسفره الى نيسابور وتلقيه العلم  
وانتقاله الى بغداد وقيامه بمهمة التدريس بها وكيف مرض حتى  
فارق بغداد

وصف مسهب بكيفية اشتغاله بالرياضة والمجاهدة وأهم ما اختص  
به هذا الكتاب

- (١) حياته الحافلة بكل مظاهر العظمة والجلال
- (٢) الآراء الفلسفية والعلمية من كل نواحي الحياة والعلم والدين
- (٣) مصنفاته ومغزاها والمواضيع التي صنف فيها وحسبك من  
ذلك حسن اعتقاده وسداد رأيه وبيان حجته وواضح برهانه الى أن  
اجتباها الله لجواره ويطلب من مكتبة الوفد بمصر

## آثار الزعيم الراحل

سعد زغلول باشا

جمعها ورتبها . الكاتب الأديب محمد الجزيري . كتاب نفيس من  
أروع الكتب الوطنية بيانا تصدى للإشارة ببطولة سعد باشا  
ووطنيته وحل نفسيته العالية في عظمتة الخالدة وما وهبه الله من  
المواهب الفذة في شخصيته السامية وأثبت أنه من أولئك الأبطال  
العظام الذين أنجبهم العناية وجاء في هذا الكتاب الشيء الكثير من مزاياه  
القوية بأسلوب فلسفي بديع جذاب غاية مآتعيه القلوب وتهيم به النفوس  
وفصل مواضعه إلى كلماته الساحرة وحكمه البليغة وخطابه الرائعة



وآثاره الباقية التي تتداولها الأحقاب من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل . والكتاب محلى بصور كثيرة للزعيم الجليل تمثله في الحوادث التاريخية والمواقف الخطيرة وبالجملة فهو من النفائس الأثرية التي لا يستهان بها . طبع طبعاً متقناً على ورق جيد . ثمنه ١٥ قرش ويطلب من مكتبة الوفد

## مصر الحديثة

قبل الاحتلال البريطاني وبعده

بقلم المرحوم عبد العزيز بدر

ثمنه عشرة قروش صاغ

يعتبر هذا الكتاب من أجل الكتب التي عالجت موضوع الحالة المصرية من كل نواحيها بأسلوب باهر وإسهاب واف وتصدى للنهضة الحديثة فجاء بكل أسبابها وشرح ما هنالك من ظروف هذه الأحوال شرحاً مستفيضاً ما ترك فيها كلمة لقائل مطبوعاً على ورق جيد

## اسماعيل أو في ظلال الأهرام

رواية أدبية تاريخية مصرية ثمنها ٥ قروش صاغ حدثت في عهد المغفور له الخديوى اسماعيل تمثل ما كانت عليه مصر في ذلك العهد وتصف الحالة الاجتماعية والعمرانية وما كان عليه الخديوى من العظمة والجلال وتلم بالشؤون المصرية من كل نواحي الحياة الأدبية والسياسية وناهيك بحوادث ذاك العصر الحافلة بكل مظاهر المجد والبذخ والاسراف والميول المتجهة إلى الحب تجد كل هذه المفاهيم مفصلة في هذه الرواية

تفصيلا وافى الشرح بلغة سهلة بديعة المعاني . وضع هذه الرواية كاتب أمريكي وجاء فيها بوصف معانين فذكر الحقيقة التي لا دخل للخيال فيها . وقام بتعريبها الكاتب الأديب محمد موسى إبراهيم فجاءت في ٣٤١ صحيفة ولا عجب اذا طلبنا من جمهور القراء مطالعتها ليروا ما انطوت عليه من الأسرار الرائعة والحوادث التي لا تخطر على بال .

عبد الرحمن الناصر

وثنه ٥ قروش صاغ

رواية أدبية غرامية تاريخية تمثيلية : مثلت في الأوبرا الملكية تشتمل على وصف بلاد الأندلس وحضارتها وعادات أهلها في زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر الأموي سنة ( ٣٠٠ - ٣٥٠ هجرية ) وما بلغت اليه دولته عن المتعة والسيادة وما بناه من القصور الفخمة وكيف كان يحتفل باستقبال ملوك أوربا بالهدايا وما كان من خروج ابنه عبد الله يطلب ولاية العهد لنفسه دون أخيه الحكم إلى غد ذلك بقلم عباس علام والرواية مطبوعة على أحسن ورق وأنظف طبع وتطلب من مكتبة الوفد

عمرو بن العاص

صحيفة خالدة من مجد العرب واتحاد المصريين رواية تمثيلية من أمتن الروايات المسرحية وضعا وأسلوبا ولا عجب إذا قلنا أنها صفحة من التاريخ بل هي مظهر من دولة العرب احتواه مظهر من دولة الأدب وصورة من اتحاد الأمة المصرية في ثوب قشيب من البلاغة العصرية . وسحر البيان الفتان وضعها الكاتب الأديب



الاسماعيل عبد المنعم . واعتمد في تأليفها على أصدق المدونات التاريخية المصدوقة من أخبار الفتح الاسلامي لمصر وقد أفن وأجاد في وصف الحالة النفسية التي كانت تتهاج المصريين في ذلك العهد وتصوير العواطف الأخلاقية التي هي مادة مجد العرب والرواية من حيث أسلوبها وساحر بيانها على غاية من الروعة والبلاغة لا بل أية من آيات القلم البليغ .

ثمها ٣ قروش صاغ ورق خشن و ٥ قروش ورق ناعم  
تطلب من مكتبة الوفد بباب اللوق

## جوكاست

تأليف الكاتب العظيم اناتول فرانس

تعريب الأستاذ عبد المنعم حسن  
الثن ٥ قروش صاغ

ان هذا الكتاب من أغرز الكتب مادة متين لوضع بديع الأسلوب هو الوحيد من نوعه وهو أول كتاب ألفه هذا العبقرى الكبير في فن القصص العصرية

## الكونت فولفان اوارسين لوبين

رواية أدبية غرامية بوليسية ثمها قرش صاغ وهي سامية الخيال مدهشة الوقائع بديعة الأسلوب مسترسلة الحوادث في قالب سحر يملك على القارئ مشاعره يقع في جزئين

## مختار القصص

بقلم الاستاذ كامل كيلانى

الأستاذ كامل كيلانى كاتب كبير من أدباء مصر والشرق وهو شاب ورع كثير الحركة والنشاط وافر العقل شديد الاحساس على جانب عظيم من الرزانة والفضل وهو مؤلف قدير اخرج للناس جملة مؤلفات أصبحت ذات شهرة ذائعة ونالت رواجاً باهراً فى عالم الأدب وهو من اولئك العلماء الذين تتحول الفكرة فيهم الى احساس دافق والمبدأ الى عاطفة مستفيضة . وهاهو فى مختار القصص يتحف عشاق الأدب بنفثات يراعه فيصور لهم على صفحات كتابه مطالب الحياة السامية فى صور محسوسة . فلم تكن هذه القصص من أوهام الخيال ولكنها من الحقائق الواضحة التى تكاد تثب من بين السطور وتظهر أمام القراء لتعيد لهم حوادث القصة على مسرح الحقيقة ناهيك بما هى عليه كل قطعة من روعة وجلال تختال فى ثوب قشيب من البلاغة وسحر البيان . وكفاها تقریظاً ارتياح جمهور القراء اليها واقبالهم على مطالعتها بشوق وشغف وهذه القصص على ما فيها من حكم ( مؤلفة ومعربة ) مزينة بالصور البديعة التى نريدها بهجة ورواء تقع فى ٢٥٤ صحيفة من القطع الكبير على ورق جيد ثمنها ٦ قروش صاغ



## الأدب الحديث

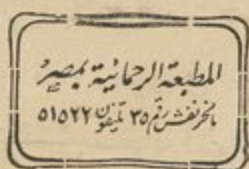
### مجموعة مقالات وابتحاث في الأدب والنقد

تأليف الأستاذ ابراهيم المصرى

كتاب جليل في الأدب المعصرى المبتكر من نوع جديد لا عهد للقراء به من قبل ويحتوى على مقالات شيقة تتناول أهم نواحي الحياة بحثا وتنقيا فتجعل القارئ يتلصص بشيء المتظاهر من جميع الطبقات وناهيك بما يراه من البيان وبلاغة التعبير جمال التنسيق وكأنها على طلاوتها تصادف من كل قارئ هوى في نفسه فيقبل عليها بشغف ليستطلع كنه معانيها وان قصتى سخرية الميول والانانية المذيلتان بهذا الكتاب هما من الأدب المبتكر الأولى تجعل للقارئ نظرة خاصة الى الحب ومعنى الحياة والثانية « دراما مصرية » وفي متانة هذا الكتاب وما أحدثه في عالم الأدب من صحة ما يغنى عن تقريره والاسهاب في وصفه : مطبوعا طبعا متقنا على ورق جيد ثمنه ١٠ قروش صاغ يطلب من مكتبة الوقف بباب اللوق

٢٠٠

١٠٨  
١٤٩  
١٥٠  
فلسفة النفاق الزراعية المتوسطة



AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO



B12103093

I 13393686

|||||



100-1000

100-1000

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

LIBRARY



main



0 0 0 0 0 0 8 6 5 5 3

HN 787 B5

25 SEP 1988

